الإدارة العامة للثقافة والنشر
سلسلة دعوة الحق
كتاب شهري محكّم



السعادة والحياة

رؤية تربوية لمفهوم السعادة وأسبابها في حياة المسلم المعاصر

أ/ عبدالكريم بن عوض اللبيني السلمي

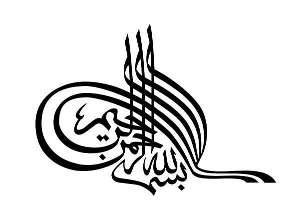
السنة الرابعة والعشرون العدد (٢٣٦)
العام ١٤٣٠ - ٢٠٠٩م

السعــادة والحيــاة

رؤية تربوية لمفهوم السعادة وأسبابها
في حياة المسلم المعاصر

تأليـــف :

عبد الكريم بن عوض اللبيني السلمي



قال الله تعالى :

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـٰوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾

[هود١٠٨]

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد :

فيأتي هذا الموضوع(السعادة وأسبابها في حياة المسلم المعاصر) في زمن كثر الحديث فيه – لاسيما بين الأوساط المثقفة من أبناء المسلمين– عن النجاح والطرق الموصلة إليه، وعن السعادة في الحياة، والسبل التي يبلغ بها الإنسان مداها، وعن الإنجاز في الحياة، ووسائله، وعن التغيير إلى الأفضل، والبحث عن الفوز في المستقبل، وغير ذلك من مجالات التطوير الذاتي التي يسعى إليها كثير من المثقفين، والمطلعين على التقدم المذهل السريع في عالم اليوم، والتي لا تخفى على المهتمين بأمر العلم والتربية، حتى أصبحت السرعة سمة بارزة من سمات هذا العصر.

ونحن اليوم نعيش في عصر لا مقياس له في سرعة الانتقال من شيء إلى شيء ومن حال إلى حال ، فهو عصر السرعة المسعورة، التي ضعفت بل وندرت فيه الضوابط والمقاييس ، وهو عصر مادي انفلت فيه زمام العقل بدافع الغرور العلمي ، وطغت فيه ظلمات الإلحاد على نور الإيمان، وانحسرت فيه القيم الروحية والأوضاع الخلقية و الفضائل الكريمة .

ولما كان هذا العصر من سمته التغير السريع، في كثير من نواحي الحياة، والتقلب، والاضطراب في مجالات متعددة، سواء في الأوضاع السياسية أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، إضافة إلى اختلاط بعض المفاهيم الإسلامية بغيرها نتيجة لما يعرف بـ(العولمة) حتى بات من السهل التأثير على تفكير المسلم المعاصر، وقناعاته بدعوى التجديد والمواكبة للعصر، وبدعوى البحث عن النجاح والسعادة والفوز والفلاح والإنجاز، لما كان الأمر كذلك وجب على المسلم الذي يعيش في هذا العصر أن يحرص كل الحرص على النعمة العظيمة والمنة الجزيلة التي وهبها له ربه عز وجل وحرم منها كثيرا ممن خلق ، تلك نعمة الإيمان والهداية إلى الطريق الموصل إلى الفلاح المحض الذي لا فلاح بعده، والفوز الكبير الذي لا فوز بعده، والنجاح العظيم الذي لا نجاح يدانيه أبدا ...

إنه الفوز الأخروي برضا الله تعالى والتنعم بنعيم الجنة كما قال تعالى ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** ﴾[1] وانه المستقبل الحقيقي الذي يجب أن ينال اهتمام المسلم في كسب السعادة فيه ، وفي القرآن الكريم تأكيد لهذا المعنى، وذلك في

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٥

قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [٢] .

والمتأمل في آيات القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما سطرته أيدي علماء الإسلام وأئمته العظام في بيان ذلك الأمر، وتكراره، والتنبيه عليه، والإشارة إليه بين الحين والآخر، يجد نفسه بحاجة ماسة إلى ممارسة كل سلوك يؤدي به إليه، وكل عمل يقربه من ذلك الفوز العظيم والسعادة الدائمة .

وليس هو الأمر الأخروي فحسب، بل حتى ما يتعلق بحياة المسلم في هذه الدنيا وسعادته فيها، فهو مرتبط برباط وثيق بذلك الفوز، ذلك أن السعيد هناك هو السعيد هنا في الفكر الإسلامي ، وقد أشار إلى هذا الفهم أحد علماء الإسلام، وإلى الربط بين تلك السعادتين بقوله (إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة[٣]) فيسميها رحمه الله جنة، للدلالة على النعيم ، والسعادة الحاصلة للعبد فيها، وهو في هذه الحياة .

لذا كان لزاما على من يبحث عن السعادة ، ويتطلع إليها ويريد النجاح في الدارين، أن يبادر إلى تمثل ما جاء عن الله

---

(٢) سورة العنكبوت، آية ٦٤

(٣) الوابل الصيب، ابن قيم الجوزية، ص١٠٥

تعالى في كتابه الكريم، والى ما أرشد إليه رسوله الأمـين عليـه الصلاة والسلام، وأن يجعل مبادئ الإسلام الثابتة نبراساً يضيء له طريقه وينير لـه مستقبله ، لأننا في زمن كثرت فيـه ظلـمات الفتن والشبهات، واختلطت فيه الأمور بعضها ببعض، حتـى قرب الزمان الذي يوشك أن يصبح فيه الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ويمسي مؤمنـاً ويصـبح كـافراً، يبيـع دينـه بعـرض مـن الدنيا،كما جاءت الإشارة إليه على لسان المصطفى عليه الصلاة والسلام .

وإن الحاجة ماسة للبحث في المصدر الأساس، والدستور الخالد القرآن الكريم وفي السنة النبوية المباركة عن كل ما يكون سبباً للنجاح والسعادة وتحقيق الفوز للمسلم المعاصر الذي يعيش هذا الزمن الصعب.

ولا شك أنه ما من خير إلا وقد تضمنه كتاب الله تعالى ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[٤] فهو الكتاب الذي بهداه اهتدى المهتدون، وفاز الأولون، ونجح الناجحون، وهو الكتاب الذي يهدي للتي هي أحسن بالطريقة التي هي أفضل، وأكمل ((**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**

---

(٤) الأنعام آية ٣٨

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا))[٥] و ما من خير إلا وقد أرشدنا إليه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم الذي قال (خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي و لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)[٦] والقائل (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[٧].

ولا شك أن في هذين المصدرين ما يعين المسلم المعاصر في التغلب على كثير من المشكلات، و ما يحقق له السعادة وأسبابها ودوافعها. وفي هذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ الكريم ، ما يعين بمشيئة الله تعالى على تقرير المفهوم الصحيح للسعادة في الحياة ، والأسباب الموصلة إليها .

وتجد أخي القارئ الكريم في ثنايا هذا الكتاب ما يوضح المفهوم الحقيقي لسعادة المسلم في حياته وذلك من خلال تحديد مفهوم السعادة في الحياة وذكر تفصيلي للأسباب التي تؤدي إلى تحقيقيها ، وكذلك بيان ما يكون عائقاً من عوائقها، وذلك في فصول الكتاب الثلاثة التالية :

---

(٥) الإسراء آية ٩

(٦) صحيح الجامع برقم ٣٢٣٢

(٧) صحيح الجامع ٤٣٦٩

الفصـــل الأول

مفهوم السعادة

المبحث الأول : معنى السعادة .

المبحث الثاني : اختلاف الناس في فهم السعادة .

المبحث الثالث : التصور الصحيح للسعادة .

المبحث الرابـع : الفرق بين السعادة والنجاح .

المبحث الأول

معنى السعادة

للسعادة معنى في اللغة، ومعان في الشرع وفي الاصطلاح، أحاول في هذا المبحث توضيحها ، وذلك على النحو الآتي :

أ - في اللغة :

السين والعين والدال أصل يدل على خير وسرور، خلاف النحس، فالسعد اليمن في الأمر، والسعادة خلاف الشقاوة .[8] جاء في مختار الصحاح :عند مادة سعد (السَّعْدُ اليُمن تقول سَعَدَ يومنا من باب خضع و السُّعُودة ضد النحوسة و اسْتَسْعَدَ برؤية فلان عدّه سعيدا و السَّعَادةُ ضد الشقاوة تقول منه سَعِدَ الرجل من باب سلِم فهو سَعيدٌ و سُعِدَ بضم السين فمَسْعُودٌ)[9].

يظهر من اشتقاق الكلمة أنها تعني ما يدل على الإيجاب والخير والحسن و ذلك من خلال أنها تقابل ما هو مكروه غير مرغوب فيه وهو (الشقاوة) . ومن مشتقاتها ما هو بمعنى الإعانة (الإسعاد) ،وما هو بمعنى القوة أو ما يساعد عليها

---

(٨) معجم مقاييس اللغة لابن فارس دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ، ٧٥/٣

(٩) مختار الصحاح للرازي دار الفكر للطباعة والنشر . ص٢٩٨،

(الساعدان). وحتى ما يشتق منها من أسماء النباتات فهو من أفضل الأنواع وهو(السعدان) .

ب - السعادة اصطلاحاً :

عرفت السعادة بتعريفات متعددة أذكر منها ما يلي :

١ـ السعادة هي معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير ويضادها الشقاوة .(١٠)

٢ ـ السعادة هي القناعة والقناعة هي السعادة لأن الغاية من القناعة غرس الطمأنينة في النفس في كل شيء في السراء والضراء، والشدة والرخاء، وهذه الطمأنينة هي عين السعادة.(١١)

٣ـ السعادة ضد الشقاوة وهي الرضا التام بما تناله النفس من الخير .(١٢)

٤ ـ السعادة سلوة خاطر بحق يحمله، وانشراح صدر لمبدأ يعيشه، وراحة قلب لخير يكتنفه.(١٣)

---

(١٠) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني مكتبة الأنجلو المصرية ص٣٤٠،

(١١) الخلق الكامل، محمد أحمد جاد ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، الأزهر ،الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ (١/٢٩٩)

(١٢) المعجم الفلسفي جميل صليبيا ، دار الكتاب اللبناني. ٦٥٦/١

(١٣) لا تحزن، عائض القرني، مكتبة العبيكان، الطبع الرابع عشرة ١٤٢٥هـ ص ٣٠٢

٥ ـ السعادة هي حالة الإنسان الموافقة لإرادته وآماله المنبعثة في حدود الفضيلة[١٤] .

٦ـ السعادة شيء معنوي لا يرى بالعين ، ولا يقاس بالكم، ولا تحتويه الخزائن، السعادة شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه ،صفاء نفس، وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير .[١٥]

٧- وعرف علماء النفس والتربية السعادة بأنها : (**الشعور والإحساس الدائم ، للمرء بخيرية الذات ، وخيرية الحياة ، وخيرية المصير**)[١٦]. فهي في نظر علماء النفس عبارة عن شعور داخلي يحسه الإنسان بين جوانبه يتمثل في سكينة النفس، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وراحة الضمير، نتيجة لاستقامة السلوك الظاهر، والباطن .

وهي بهذا المعنى قد تحصل لأي إنسان، إذا ما أخذ بأسبابها الموافقة لما يريد . لكن بصورة مؤقتة وليست على سبيل الدوام .

---

(١٤) السعادة عند بعض علماء الإسلام ، محمد الخضر حسين، المطبعة السلفية ومكتبتها ، ١٣٤٧هـ ص١٤

(١٥) الإيمان والحياة، د. القرضاوي ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٧هـ ص٩٠

(١٦) مقداد يالجن في كتابه، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام دراسة مقارنة مكتبة الخانجي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ .ص٦٣

المبحث الثاني

اختلاف الناس في فهم السعادة وتصورها

أ ـ السعادة عند العامة :

عند التأمل في أحوال الناس في حياتهم ونظرتهم للسعادة نجد أن الذي يقاسي شدائد الفاقة ، والبؤس، وينظر إلى حال الأغنياء والمترفين يرى السعادة : في الغنى ووفرة المال ، ومن تتقلب به الأوجاع والأسقام يميناً وشمالاً، أو يفقد أحد أعضائه يرى السعادة : في صحة البدن وسلامة الأعضاء والعافية من الأمراض. والمستضعف الذي تسلب حقوقه علانية ولا يستطيع خلاصها يرى السعادة : أن يكون للإنسان سلطان أو جاه عند ذي سلطان ، ومن أشرب في قلبه الفسوق والخلاعة يرى السعادة : في أن تحف به الشهوات من كل جانب فيطلق فيها عنانه كيف يشاء ، ومن وجد منفعته الخاصة في أمر من الأمور رأى السعادة فيه .

هذه إحساسات خاصة في أحوال خاصة، سرعان ما تتبدل وتتغير، فالرجل الذي يبدو له أن السعادة في الغنى أو في صحة البدن ـ مثلاُ ـ إنما حدث له هذا الفهم من ألم الفقر أو شدة المرض، ومن الممكن جداً أن ينتقل إلى يسار أو صحة فيتغير رأيه في السعادة، ويذهب في تصورها إلى شيء آخر

أصبح يحس بحاجته إليه، كصلاح حال الولد أو الزوجة أو الأصدقاء ، أو الترقي في مجال العمل الدنيوي ونحو ذلك[١٧].

وإلى هذا يشير أحد الباحثين بقوله : (لو استفتيت مائة إنسان عن السعادة لخرجت بمائة وعشرة أجوبة مختلفة)[١٨]، وليس هناك أمر اختلف الناس في تحديده وتعريفه مثل السعادة، وفي استفتاء أُجري[١٩] على حوالي ١٦ ألف شخص، سُئلوا ماذا تعني لهم السعادة فأتت النتائج على النحو التالي :

- ٣٨٪ قالوا : السعادة تعني : الحب .
- ٢٨٪ رأوا : أن السعادة هي : الرضا .
- ١٧٪ رأوا : أن السعادة هي : الصحة .
- ٧٪ قالوا : أن السعادة هي : الزواج .
- ٥٪ قالوا : أن السعادة هي : المال .
- وقال ٣٪ : أن السعادة هي : الأطفال .
- وقال ٢٪ : أن السعادة هي : السفر .

---

(١٧) انظر السعادة عند بعض علماء الإسلام _ لمحمد الخضر حسين ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، ١٣٤٧ ، ص٥ وأيضاً مفهوم السعادة في الفكر الإسلامي ،عند كل من الرازي، والفارابي، وابن سينا ، عبد العزيز أبو مندور بحث ماجستير، بجامعة الإسكندرية، ص١١ .

(١٨) الدكتور صلاح الراشد في لقاء في موقع الجزيرة نت ١٤٢٥هـ .

(١٩) محاضرة صناعة السعادة ـ الدكتور سلمان فهد العودة، موقع الإسلام اليوم .١٤٢٥هـ .

ب ـ مفهوم السعادة عند علماء الإسلام :

ونجد من علماء المسلمين الأوائل من ذكر السعادة في كثير من الكتب ، والمؤلفات ، بمفاهيم مختلفة أكتفي منها بما يلي :

١ ـ يذهب فخر الدين الرازي[٢٠] إلى نفي أن تكون هناك لذة غير الحكمة ، وقال لا لذة إلا في المعارف ، وأما ما يسميه الناس لذة حسية كالأكل ، والشرب إنما هو لدفع ألم الجوع، والعطش وما يسمونه لذة خيالية كالرياسة إنما هو دفع ألم القهر.[٢١]

والرازي لا يفرق بين اللذة والسعادة بل يعتبرهما بمعنى واحد ، وذلك ما أورده عنه بعض الباحثين ، من خلال استقراء لآرائه في السعادة[٢٢]، حيث قسم السعادة إلى مراتب ثلاث: روحانية ، وبدنية ، وخارجية ، والروحانية تشمل العلم والعمل ، والبدنية تشمل الصحة والجمال ، والخارجية تشمل المال والجاه .

---

(٢٠) هو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي الطبرستاني ولد عام ٥٤٤هـ وتوفي عام ٦٠٦هـ

(٢١) انظر السعادة عند بعض علماء الإسلام ــ لمحمد الخضر حسين ص٥ ، المطبعة السلفية ومكتبتها ص٨

(٢٢) انظر السعادة في المنظور الإسلامي ـ للباحث / عبد الله محمد العامري رسالة ماجستير غير منشورة من جامعة بغداد . ص٧٣

٢ ـ ويرى أبو النصر الفارابي[٢٣] أن السعادة هي غاية ما يتشوقه كل إنسان، وأنها أكمل ما يؤثر ويسعى إليه من الخيرات، وذكر أن الخيرات التي يؤثرها الناس ويتوجهون إليها ثلاثة أنواع :

الأول : ما يؤثر لتنال به غاية أخرى كالثروة فإنه يرغب فيه ليتوصل بها إلى مآرب أخرى إما محمودة كالإنفاق في وجوه البر ، أو غير محمودة كإغراق النفس في ملاذها وشهواتها الطاغية .

الثاني : ما يؤثر لذاته، وقد يقصد منه غاية أخرى مثل الرياسة فإنها مرغوب فيها لذاتها، وقد يسعى إليها من يبتغيها وسيلة إلى غرض بعدها كجمع المال أو الانتقام من العدو أو نحو ذلك ، وقال بعد أن ذكر النوعين السابقين أن هذين النوعين ليسا من السعادة ولا السعادة منهما .

الثالث : ما يؤثر لذاته ولا يقصد في وقت من الأوقات لتنال به غاية أخرى، وما هو إلا الخلق الجميل وقوة الذهن ثم

(٢٣) فيلسوف عربي إسلامي لقب بالمعلم الثاني ولد في فاراب من خراسان عام ٢٦٠ هـ وتوفي بدمشق عام ٣٣٩هـ، انظر الموسوعة العربية العالمية ١٧/١٧٨

قال (وهذا هو أكمل الخيرات وهذا ما يسمى سعادة)[٢٤].

٣ ـ يرى ابن مسكويه[٢٥] أن الغايات التي يتوجه إليها الناس ترجع إلى قسمين :

الأول : ما يشترك فيه الناس والحيوان كالمأكل والمشرب ونحوهما وهو ما يسميه الناس لذيذاً ، هذا مما يظنه الناس سعادة وليس الأمر كما يظنون، فإن ما كان مشتركاً بيننا وبين البهائم ليس من شأنه أن يكون كمالاً لنا من حيث أنا أناس فلا يدخل في باب سعادتنا .[٢٦]

الثاني : ما يختص به الإنسان ولا يشاركه فيه غيره من الحيوان وهو الأفعال الفاضلة والخلق الجميل وقوة الذهن ، وبهذه الأمور الثلاثة تتحقق السعادة [٢٧].

٤ - الإمام ابن الجوزي[٢٨] رحمه الله تعالى يرى : أن لذة العلم والأخلاق الفاضلة هي سعادة حقيقية وذلك بقوله : (لقد

---

(٢٤) انظر السعادة عند بعض علماء الإسلام ـ لمحمد الخضر حسين ص٥، المطبعة السلفية ومكتبتها ص١٠

(٢٥) هو أحمد محمد يعقوب مسكويه، مؤرخ بحاث، أصله من الري، وسكن أصبهان وتوفي بها عام ٤٢١هـ اشتغل بالفلسفة، والكيمياء والمنطق ثم بالتاريخ، انظر الأعلام لخير الدين الزركلي ١ /

(٢٦) انظر الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، د. مقداد يالجن، ص٦٠،

(٢٧) المصدر السابق ص١٢

غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها، واللذة فيها شرف العلم، وزهـرة العفـة ، وأنفـة الحميـة ، وعـز القناعـة ، وحـلاوة الإفضال على الخلق فأما الالتذاذ بالمطعم والمنكح : فشـغل جاهل باللذة لأن ذلك لا يراد لنفسه بل لإقامة العوض في البدن والولد. وأي لذة في النكـاح وهـي قبـل المبـاشرة لا تحصل، وفي حال المبـاشرة قلـق لا يثبـت عنـد انقضـائها، وكأن لم يكن ، ثم يثمر الضعف في البدن ، وأي لذة في جمع المال فضـلاً عـن الحاجـة ،فإنـه مسـتعبد للخـازن ، يبيـت حذراً عليه، ويدعوه قليله إلى كثـيرة، وأي لـذة في المطعـم وعند الجوع يستوي خشنه وحسنه، فإن ازداد الأكل خاطر بنفسه)[29] . وقال أيضاً مبيناً أن لذات الدنيا جميعها مشـوبة بالنغص :

(من تأمل الدنيا علـم أنـه لـيس فيهـا لـذة أصـلاً ، فـإن وجدت لذة شيبت بالنغص التي تزيد على اللذة أضعافاً ، فمن اللذات النساء ، فربما لم تثبت المستحسنة ، وربما لم تحب الزوج،

---

(٢٨) هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ولد عـام ٥١٠ وتـوفي عام ٥٩٧هـ من الأئمة الأعلام والعلماء الأفذاذ صاحب التصانيف الكثيرة .

(٢٩) صـيد الخـاطر، دار اليمامـة للطباعـة والنشـر والتوزيـع ، بـيروت، الطبعـة الأولى ١٤٢٠هـ ص٣٠٢

فمتى علم ذلك، انعزل عنها ، وربما خانـت ، وذلـك الهـلاك، فإن تمت المرادات، فذكر الفراق زائد في التألم على الالتذاذ.

ومن اللذات الولد، ومقاساة البنـت إلى أن تتـزوج ، ومـا تلقى من زوجهـا ، وخـوف عارهـا محـن قبيحـة ، والابـن إن مرض ، ذاب الفؤاد ، وإن خرج عن حد الصلاح زاد الأسف، وإن كان عدواً فمراده هلاك الأب ، ثم إن تم المراد فذكر فراقه يذيب القلـوب ..... ومـن هـذا الجـنس الالتـذاذ بالمـال، وفي تحصيله آثام ، وفراقه حسرة ، وذهاب العمر بـه غبينـة.) الى أن قال (فينبغي لمن وفقه الله أن يأخذ الضروري ، الذي يميـل إلى سلامة الدين والبـدن والعافيـة، ويهجـر الهـوى الـذي نغصـه تتضاعف على لذته ، ومن صبر عـلى مـا يكـره قصـد النفـع في العاقبة ، التذ أضعافاً كطالب العلم ، فإنه يتعب يسـيراً، وينـال خير الدارين مع سلامة العاقبة)[٣٠].

ولعل ابن الجوزي رحمـه الله عنـدما خـص طلـب العلـم بالذكر من بين سائر الأعمال الصالحة لم يقصد حصر اللذة فيه، وإنما ذكره مثالا للعبادات، والأعمال الصالحة التي يراغم العبد فيها هواه، وليبين فضل العلم ومعرفة الله تعالى .

---

(٣٠) المصدر نفسه ص٥٠٢ .

٥ - الإمام أبو حامد الغزالي[٣١] يقول :(إن كيمياء السعادة لا تكون إلا في خزائن الله سبحانه وتعالى ففي السماء جواهر الملائكة وفي الأرض قلوب الأولياء العارفين ، فكل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرة النبوة فقد أخطأ الطريق)[٣٢]، وقد قسم السعادة إلى قسمين :

الأول : سعادة مطلقة، وهي السعادة الروحية (النفسية) التي اعتبرها أفضل أنواع السعادات وأشرفها، لأن لها صلة عظيمة بسعادة الآخرة .

الثاني : سعادة مقيدة ، وهي ما كانت مقصورة على زمان أو مكان محدد .[٣٣]

٦ - الإمام ابن القيم [٣٤] يرى : أن أنواع السعادة التي تؤثرها النفوس ثلاثة سعادات :

---

(٣١) هو حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ولد بطوس عام ٤٥٠هـ وتوفي عام ٥٠٥ هـ

(٣٢) كيمياء السعادة ص١٠٦ نقلاً عن بحث السعادة في المنظور الإسلامي، مرجع سابق .

(٣٣) انظر السعادة في المنظور الإسلامي ص٦٩ مرجع سابق .

(٣٤) هو العلامة ابو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ولد عام ٦٩١ـ ٧٥١هـ .

الأولى : سعادة خارجة عن ذات الإنسان تتمثل في المال والحياة. وذكر أنها ليست حقيقية ، فإنها سرعان ما تتبدل وتتغير .

الثانية : السعادة البدنية ، وتتمثل في الصحة ، واعتدال المزاج ، وتناسب الأعضاء وحسن التركيب ، وصفاء اللون ، وقوة الأعضاء ، وعبر عن هذه السعادة بقوله (وهذه ألصق به من الأولى ولكن هي في الحقيقة خارجة عن ذاته فإن الإنسان إنسان بروحه وقلبه، لا بجسمه وبدنه كما قيل :

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح في ما فيه خسران
انهض إلى الروح واستكمل فضائلها
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فنسبة هذه إلى روحه وقلبه كنسبة ثيابه ولباسه إلى بدنه)[٣٥].

الثالثة : السعادة الروحية (النفسانية) القلبية :

يرى ابن القيم رحمه الله أن هذه السعادة حقيقية، وأنها سعادة العلم النافع وهي الباقية على تقلب الأحوال

---

(٣٥) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١٠٧/١، وانظر السعادة في المنظور الإسلامي، مرجع سابق

والمصاحبة للعبد في جميع أسفاره في دوره الـثلاث، دار الدنيا ، ودار البرزخ، ودار القرار وبها يترقى في معارج الفضل ودرجات الكمال .

ويلخص رحمه الله الفـرق بـين تلـك الأنـواع الثلاثـة السابقة بقوله (أما الأولى فإنها تصحبه في البقعة التي فيها ماله وجاهه، والثانيـة تعرضـه للـزوال والتبـدل بنكس الخلق والرد إلى الضعف، فلا سعادة حقيقة إلا في الثالثة التي كلما طـال الأمـد ازدادت قـوة وعلـواً، وإذا عدم المال والجاه فهي مال العبد وجاهـه وتظهـر قوتها وأثرها بعد مفارقة الروح البدن إذا انقطعت عنه السعادتان الأوليان، وهذه السعادة لا يعـرف قـدرها ويبعث على طلبها إلا العلم بها فعادت السعادة كلهـا إلى العلم وما يقتضيه والله يوفق من يشاء لا مـانع لمـا أعطى ولا معطي لما منع).[٣٦]

هذا ما استطاع المؤلف الوقوف عليه من آراء العلـماء والفلاسفة حول مفهوم السعادة، وذلـك مـن خـلال كتاباتهم مباشرة أو عمن نقل عنهم، ويظهر التفـاوت الكبير في المفاهيم بين من نور الله بصيرته بنور الوحي

---

(٣٦) المصدر السابق ١/ ١٠٨

فهو على نور من ربه ، وفي معرفة عظيمة بربـه ، وهـم علماء الإسلام، وبـين مـن تخـبط في ظلـمات الجهـل، فضل عن سواء السبيل، وهم أهل الفلسـفة، البحتـة الذين اعتمدوا على العقل وأهملوا النقل .

ج ـ تعريف المؤلف للسعادة :

عنـدما نظـرت في آيـات القـرآن الكـريم والسـنة النبويـة وجدت أن الإشارة إلى كلمة السعادة أتـت في موضـعين مـن كتـاب الله، وهمـا (سـعيد) و(سـعدوا) وذلـك في قولـه تعالى﴿**يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**﴾[٣٧] وقوله تعالى ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّـةِ خَالِـدِينَ فِيهَـا مَـا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ**﴾[٣٨] .

قال ابن كثير رحمـه الله تعـالى[٣٩] : (يقـول تعـالى "وأمـا الذين سعدوا" وهم أتباع الرسل "ففي الجنة" أي فمأواهم الجنة "خالـدين فيهـا" أي مـاكثين فيهـا أبـدا "مـا دامـت السـماوات والأرض إلا ما شاء ربك") .

---

(٣٧) سورة هود آية ١٠٤

(٣٨) سورة هود آية ١٠٨

(٣٩) تفسـير القـرآن العظـيم لابـن كـثير تحقيـق سـامي السـلامة دار طيبـة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ . ٣٥٢/٤

وأما في كتب السنة النبوية فقد أتت كلمة (السعادة) صريحة في مواضع متعددة في جملة من الأحاديث النبوية ،و منها ما يلي:

١) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل)[٤٠] .

٢) وعنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من سعادة ابن آدم ثلاثة ومن شقوة ابن آدم ثلاثة من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء)[٤١].

---

(٤٠) رواه الإمام أحمد ، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند سعد بن أبي وقاص، برقم ١٣٦٧ ، ورواه أيضاً الترمذي بلفظ آخر، كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضا، برقم ٢٠٧٧.قال الذهبي فيه محمد بن أبى حميد المدني ضعفوه (ميزان الاعتدال ٤٧١/٤

(٤١) رواه الإمام أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند سعد بن أبي وقاص، برقم ١٣٦٨ ، إسناده ضعيف انظر صحيح المسند لأحمد شاكر ٢٨/٣

٣) عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من نفس منفوسة إلا قد سبق لها من الله شقاء أو سعادة.[٤٢])

٤) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أربع من السعادة:المرأة الصالحة و المسكن الواسع و الجار الصالح و المركب الهنيء و أربع من الشقاء:المرأة السوء و الجار السوء والمركب السوء و المسكن الضيق)[٤٣] .

٥) وعن علي رضي الله عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : (ما منكم من أحد ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتب شقية أو سعيدة فقال رجل يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة قال أما

---

(٤٢) رواه الإمام أحمد، مسند العشرة المبشرين، مسند علي رضي الله عنه، برقم ١٢٧٨، إسناده صحيح، انظر صحيح المسند لأحمد شاكر ٣٤٤/٢

(٤٣) السلسلة الصحيحة، وقال الألباني هذا سند صحيح على شرط الشيخين . برقم ٨٢٨،

أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة ثم قرأ ﴿**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى**﴾ الآية[٤٤]

٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يؤتى بأربعة يوم القيامة، بالمولود وبالمعتوه ، وبمن مات في الفترة ، والشيخ الفاني ، كلهم يتكلم بحجته ، فيقول الرب تبارك وتعالى، لعتق من النار ابرز ، فيقول لهم : إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم ، وإني رسول نفسي إليكم ، ادخلوا هذه ، فيقول من كتب عليه الشقاء : يارب أين ندخلها ومنها كنا نفر ؟ قال ومن كتب عليه السعادة ، يمضي فيقتحم فيها مسرعاً، قال فيقول تبارك وتعالى : أنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية، فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار)[٤٥].

يتبين للباحث من خلال الآيتين الكريمتين و الأحاديث النبوية السابقة أن كلمة السعادة أتت في سياقين :

---

(٤٤) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر برقم ١٢٧٤.

(٤٥) رواه أبو يعلى في المسنده، برقم ١٤٦٩ ، ٤٢٢٤/٧ ، مسند أحمد بن علي الموصلي، الطبعة الأولى، دار المأمون، للتراث ١٤٠٦هـ تحقيق /حسين سليم أسد ، وهو في الصحيحة برقم ٢٤٦٨ ، قال ابن عبد البر معلول من أحاديث الشيوخ، انظر التمهيد ١٢٨/١٨

الأول : ما يتعلق بالآخرة، والحياة الأخروية، وما فيها من نجاة من عذاب الله تعالى، و ذلك بمقارنتها بالشقاء، وكتابته على العبد، وأن من كتب عليه الشقاء فهو الشقي، ومن كتبت له السعادة فهو السعيد ، وأيضاً من ذكر الجزاء المترتب على ذلك، وهو دخول الجنة كما جاءت بذلك الآية الكريمة من سورة هود.

الثاني : ما يتعلق بالوسائل الدنيوية التي تعين المسلم على السعادة مثل الجار الصالح، والمرأة الصالحة، والمركب الهنيء، والدار الواسعة ، والدابة الوطيئة وعند التأمل في ذلك نجد أن ذكر هذه الوسائل الدنيوية المذكورة في الأحاديث النبوية ليس مقصوداً لذاتها بل لما تحققه للمسلم من إعانة على أن يعيش متصلاً بالآخرة وهو في حياته الدنيا، يقول الإمام الطحاوي رحمه الله (... وإذا كان ذلك كذلك للجار على الجار كان توفيته إياه ذلك سعادة للموفي فهذا معنى ما روي في الجار في هذا الحديث، وأما ما روي من سعة المنزل فليكن صاحب المنزل بذلك حامدا لله عز وجل وعارفا بنعمائه عليه وتفضيله إياه على غيره فيكون من الشكر له عز وجل على ما يكون عليه مثله في ذلك، وأما ما فيه من المركب الهنيء فأن يكون ذلك برفع الشغل عن قلبه ويكون في

ركوبه على أحد وجهين . إما متشاغلا بذكر ربه – عـز
وجل – وإما غير مشغول القلب بما يؤذيه مـن مركبـه
وكل ذلك سعادة ...)[46] .

ويمكن أن يقال ذلك كذلك في المرأة الصـالحة، حيـث أن بها يحفظ الزوج نفسه من الوقوع في معصية الله ، ويكون من الحافظين فروجهم، إضافة إلى ما تساهم به المرأة الصـالحة مـن إعانة على الخير واستقرار نفسي يعيش به الزوج مطمئناً مستقراً هادئ البال، مما يعينه على معايشة هموم الحياة بتقبل تام وصـبر طويل حتى يفوز ويفلح، أرأيـت إلى أم المـؤمنين خديجـة رضي الله تعالى عنها كيف أعانت رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم، وهدأت من روعه عندما فاجأه الوحي أول مرة، فكـان لهـا في تلك الكلمات البسيطة التي ثبتت بها رسول الله صلى الله عليـه وسلم أثراً بالغاً في طمأنته وإعانته والوقـوف معـه كـما يـروي ذلك الإمام البخاري في صحيحه (..... فرجع بها رسـول الله يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة وأخبرها الخبر حتى قال لقد خشيت على نفسي ، قالت كـلا والله لا يخزيـك الله أبـداً، إنـك لتصـل الـرحم وتحمـل الكـل، وتكسـب المعـدوم ، وتقـري الضيف، وتعين على نوائب الحـق ...)[47]، وكـذلك موقـف أم

---

(٣٦) مشكل الآثار للطحاوي (ت ٣١١هـ) دار صادر بيروت ط الأولى . ٢٣/٤

(٤٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان . باب بدء الوحي برقم ٣ ، ٢٣/١

سلمة رضي الله عنها بإبداء الرأي السديد للنبي عليه الصلاة والسلام عندما امتنع الناس من امتثال أمره، كما ورد في أحداث صلح الحديبية عندما (.. فرغ رسول الله من قضية الكتاب قال للناس قوموا فانحروا ثم احلقوا فما قام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة : يا نبي الله أتحب ذلك، اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحداً حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً غماً)[48].

وبعد التأمل في السياق الذي ذكرت فيه كلمة السعادة في الكتاب والسنة ، والاطلاع على بعض ما كتبه علماء الإسلام حول مفهوم السعادة[49]، نستطيع أن نقول إنَّ السعادة شرعاً هي:

غاية ما يطلبه الإنسان من النعيم الدائم في الدنيا، وفي الآخرة ، يتمثل في الدنيا: بالشعور النفسي بالرضا والطمأنينة

---

(٤٨) البداية والنهاية ابن كثير، سياق البخاري لعمرة الحديبية دار الريان ١٤٠٨هـ ٢/ ١٧٨ والحديث في البخاري برقم ٢٥٢٩

(٤٩) شيخ الإسلام ابن تيمية (في كثير من كتبه) وتلميذه ابن القيم (في مفتاح دار السعادة ، وطريق الهجرتين وباب السعادتين وغيرها) والإمام ابن الجوزي (صيد الخاطر وغيره) والماوردي (في كتاب أدب الدنيا والدين) والإمام الغزالي (في إحياء علوم الدين).

عند التوفيق بين تحقيق المصالح الدينية والدنيويـة، ويتمثـل في الآخرة : بدخول الجنة والفوز برضوان الله تبارك وتعالى .

فهذا التعريـف يمكـن أن يكـون جامعـاً وشـاملاً وذلـك لتضمنه الخصائص الآتية:

أولاً ـ أن السعادة غاية ما يطلبه الإنسان :

أخرج هذا القيد الغايات التي لا يشـترك في طلبهـا جميـع الناس، فإن هناك غايات تكون خاصة بأناس دون غيرهم مثل من غايته أن يكون تاجراً، فليس كل الناس كذلك، ومن غايـة مراده أن يكون وزيراً، أو عظيما ، فلـيس كـل النـاس يريـدون ذلك، لكن الناس كلهم مشتركون في طلب النعيم بـلا شـك، والمسلم غاية مـا يريـد أن يصـل إليـه هـو النعـيم الأخـروي، ويشهد لذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل مـا تقـول في الصـلاة؟ قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار أمـا والله مـا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال: حولها ندندن[٥٠] .

وهذا القيد يخرج أيضاً، ما يريده المسلم لفترة زمنية محددة ، أو ما يريده في الدنيا فقط ،كأن يكون هدفاً مرحلياً في فترة مـن

---

(٥٠) صـحيح الجـامع بـرقم ٣٦١٦٣ ، ورواه ابـو داود في كتـاب الصـلاة ، بـاب تخفيف الصلاة برقم ٦٧٢ قال النووي إسناده صحيح، الأذكار برقم ٩٦.

فترات عمر الإنسان، مثل الزواج للشاب، والاستقرار الوظيفي للموظف ، وصلاح الأولاد للأب، وغير ذلك من الأهداف التي لا تعتبر غايات نهائية يراد الوصول إليها .

ثانياً ـ النعيم الدائم :

هو ما تتنعم به روح الإنسان وتلذ به ، وهو نعيم الإيمان والعمل الصالح ، ومعرفة الله تعالى في الدنيا ، كما يروى عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قوله (إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة)(٥١)، وكما قال إبراهيم بن أدهم (إنه لتمر على القلب ساعات يرقص فيه طربا يقول إن كان أصحاب الجنة في مثل ما نحن فيه إنهم لفي عيش طيب) وقوله أيضاً (لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجا لدونا عليه بالسيوف)(٥٢). هذا في الدنيا أما في الآخرة فإنه نعيم الجنة ورضوان الله تعالى.

كما يخرج هذا القيد لحظات اللذة والفرح التي قد يعيشها الإنسان لفترة محددة ، والتي لا تلبث أن تزول وتنتهي ، كلذة النكاح ، والاستمتاع بما في الطبيعة من مناظر جميلة، وكالسرور العابر المرتبط بظرف سريع الزوال، مثل سرور العروس ليلة الزفاف، وسرور النجاح والتفوق، والإنجاز، لأي أمر من

(٥١) الوابل الصيب لابن القيم دار ابن حزم الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ص٧٩
(٥٢) المصدر نفسه ص٨٠

أمور الحياة ، ومثل اللحظات الجميلة التي يقضيها الأب مع أفراد عائلته في نزهة بحرية على شاطئ البحر، وغير ذلك من اللحظات التي ستنتهي وتزول وتتغير وتتبدل، ولا دوام ولا استمرار إلا بما هو كائن في قلب المؤمن من المعرفة بالله تعالى والإيمان به وبما أعده الله تعالى لعباده هناك .

ثالثاً ـ في الدنيا وفي الآخرة :

أخرج هذا القيد ما يتوهم كونه سعادة في الدنيا فقط بمعزل عن الآخرة ، مثل ما يحدث من النعيم لغير المسلمين ، فإنه لا يسمى سعادة حقيقة لعدم اتصاله بنعيم الآخرة ، بل هو متاع لهم في الدنيا فقط ، كما قال الله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ**﴾(٥٣) .

كما يخرج أيضاً الشعور بالطمأنينة والرضا الناتج عن مصلحة دنيوية غير مشروعة، فلا تسمى سعادة لعدم توافق هذه المصلحة مع المصالح الشرعية في كسب الحسنات والبعد عن السيئات . وسيتعرض المؤلف في المبحث التالي للتصور الصحيح للسعادة ،الذي خص الله تبارك وتعالى به المؤمنين المقتفين آثار الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

---

(٥٣) سورة محمد آية ١٢

المبحث الثالث

التصور الصحيح للسعادة

أ ـ مفهوم التصور :

قبل مناقشة التصور الصحيح للسعادة ، يتعين التعريف بمفهوم التصور وذلك بشئ من الإيجاز على النحو التالي :

١ ـ التصور هو حصول صورة الشيء في العقل.[٥٤]:

و هو الطريقة التي ترى بها الأشياء على حقيقتها جلية واضحة، ليست الرؤية الحسية بالعين المجردة فقط بل و الرؤية المعنوية أيضاً ، بمعنى الرؤية التي تشمل فهم الأمور وتفسيرها والحكم عليها وربط معانيها ببعضها . والتصور حيال الأشياء يملكه كل أحد ، ولكنه قد يكون باهتاً في بعض الأحيان فلا يرى الإنسان الشئ على صورته الصحيحة ، فكل إنسان يتحرك، ومعه تصور معين لما يريد الوصول إليه تحدده عوامل شتى ، وتصور الإنسان ليس بالشيء الثابت بل هو قابل للنمو،والارتكاس بل وربما التغيير الكامل.

(٥٤) التعريفات للجرجاني، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ص٨٣

إن التصورات التي نحملها في ذهننا للأشياء تشبه تماماً الخرائط التي نستعملها للوصول إلى موقع معين في مدينة ما، فإن كانت الخريطة صحيحة ، كان الوصول للموقع ممكناً سهلاً ميسراً، وإن كانت الخريطة خاطئة، أو لمدينة أخرى غير التي نريد، فعندئذ لا تنفع الأساليب ، ولا التقنيات، ولا الاستراتيجيات في إيصالنا إلى الموقع الذي نريد، وعليه أقول إن مفهوم التصور أيضاً أنه: عبارة عن خارطة تستعمل للوصول إلى مكان ما .

٢ ـ التصور مبدأ الأفعال الإرادية :

كذلك مجموع التصورات يمكن أن تكون متناسقة متجانسة تتجمع ،وتتحد لتعطي تصوراً كاملاً موحداً عن الكون والحياة ، ويمكن أيضاً أن تكون تصورات مضطربة متناقضة لا يمكن أن تؤلف تصوراً موحداً.

ومن المعلوم ـ في أمور الحياة ـ أنه إذا أراد مهندس أن ينشئ بيتاً أو شارعاً أو مدينة فلا بدَّ له قبل الشروع في البناء الفعلي من تصوُّر واضح لما يريد أن يقوم به، وبقدر دقة هذا التصور وصوابه تكون السرعة والنجاح في العمل، وهكذا في كلِّ جوانب الحياة، لا بدَّ للعاقل من تصوُّر يتحرّك على ضوئه،

فكيف إذا كان هـذا الأمـر هـو تصـور يتعلـق بغايـة مـا يريـد الإنسان الوصول إليه، وهو (السعادة) .

وقد أشار الإمام ابن القيم[٥٥] في معرض حديثـه عـن أهميـة التصور الصحيح وخطورة الكذب عليه كمبدأ كل فعـل إرادي، حيث قال: "إياك والكذب، فإنه يفسد عليك تصور المعلومـات على ما هي عليه، ويفسد عليـك تصـويرها وتعليمهـا للنـاس"، وقوله: "وإذا فسدت عليه ـ أي الكاذب ـ قـوّة تصـوُّره وعلمـه التي هي مبدأ كل فعل إرادي فسدت عليه تلك الأفعال ، وسرى حكم الكذب عليها".[٥٦]وقـال أيضـاً: "مبـدأ كـل علـم نظـري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار؛ فإنها توجب التصوُّرات، والتصـورات تـدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضيـ وقـوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة، وجِماع ذلك أن تشغل فكـرك في باب العلوم والتصـورات بمعرفـة مـا يلزمـك مـن التوحيـد وحقيقته، وفي الموت وما بعده إلى دخول الجنة أو النار، وفي آفات الأعمال وطرق التحرُّز منها.. الخ".[٥٧] وقال أيضاً: "أصل الخير والشر من قِبَل التفكُّر، فإنَّ الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهـد

---

(٥٥) الفوائد ، ابن القيم، المكتبة العصرية ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ص١٦٨

(٥٦) المرجع السابق ص١٦٨

(٧٥) المصدر نفسه ص٢١٥

والـترك والحُـبّ والـبغض". [58] ولا يخفـى أنّ الفكـر والتفكُّـر والأفكار كلّها تشير إلى الطريقة التي نرى بها الأشياء، أو الفكـرة التي نكوِّنها عن الأشياء ونفهمها بها ونتحرّك مـن خلالهـا وهـو مفهوم التصور .

٣ـ التصور والشخصية :

سبق القول بأن التصور ينتج أفعالاً، والأفعال تتكرّر لتصبح عادات (خصالاً)، والعادات (الخصال) تتوالى لتنتج شخصية، والشخصيات تتجمَّع لتولِّد توجهاً، وكما قال الإمام ابن القيم: " مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار؛ فإنها توجب التصوُّرات، والتصورات تدعو إلى الإرادات، والإرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة) [59]، فتصور المسلم لحقيقة السعادة كما ذكرنا تجعل منه شخصية سعيدة ، أمله بعيد ، ورؤاه منبثقة من مبادئ ثابتة لا تتغير، شخصية تنعم بالسمو ، وتشعر بالارتقاء، وتأمل في جوار النبيين والصديقين والشهداء .إن إدراك المسلم لهذا التصور الإسلامي، هو الذي يكفل لـه أن يكون عنصراً صالحاً

---

(٥٨) نفسه ص٢٤١

(٥٩) نفسه ص٤١

في بناء هذه الأمة ، ذات الطابع الخاص المتفرد المتميز، وعنصراً قادراً على القيادة والإنقاذ .

٤ ـ أهمية التصور الإسلامي :

إن التصور الصحيح عند المسلم فيما يخص حياته الدنيا والآخرة هو التصور الذي يرتبط بالمبادئ الأساسية الثابتة التي تنطلق من نصوص الوحي ومن منطلق العقيدة الصحيحة التي يعتقدها في هذا الحياة ولا يمكن أن يمسها تغيير أو تبديل، و التي هي قوانين ربانية مجربة تحكم نمو وسعادة الإنسان ،كما قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ** ﴾[٦٠] ، فهذه الآية تعني أن الأبرار دائما في نعيم ، وتعني في تصور المسلم أنه متى وجد البر وجد النعيم، ولذلك أتت كلمة (نعيم) نكرة فهي تعم كل نعيم في الدنيا والآخرة ، قال ابن سعدي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية :(المراد بالأبرار، هم القائمون بحقوق الله ، وحقوق عباده ، الملازمون للبر، في أعمال القلوب، وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم، النعيم في القلب، والروح والبدن ، في دار الدنيا، وفي دار البرزخ ، وفي دار القرار)[٦١] يقول سيد قطب رحمه الله (ومفرق الطريق بين

---

(٦٠) سورة الانفطار آية ١٣

(٦١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان دار عالم الكتب الطبعة الثانية ١٤١٤هـ٥/٣٧٢

التصور الفلسفي والتصور الاعتقادي أن التصور الفلسفي ينشأ في الفكر البشري، لمحاولة تفسير الوجود وعلاقة الإنسان به، ولكنه يبقى في حدود المعرفة الفكرية الباردة، وأما التصور الاعتقادي ـ في عمومه ـ فهو تصور ينبثق في الضمير، ويتفاعل مع المشاعر، ويتلبس بالحياة، فهو وشيجة حية، بين الإنسان والوجود، أو بين الإنسان وخالق الوجود، ثم يتميز التصور الإسلامي بعد ذلك، عن التصور الفلسفي بأنه تصور رباني ، صادر من الله للإنسان، وليس من صنع الإنسان، تتلقاه الكينونة الإنسانية بجملتها من بارئها، وليست الكينونة الإنسانية هي التي تنشئه ، كما تنشئ التصور الوثني أو التصور الفلسفي، وعمل الإنسان فيه هو تلقيه، وإدراكه، والتكيف به، وتطبيق مقتضياته، في الحياة البشرية)[٦٢].

ب ـ التصور الصحيح للسعادة عند المسلم :

للحديث عن التصور الحقيقي لسعادة الإنسان، من منظور الدين الإسلامي، أرى أن أبدأ بإيضاح شيخ الإسلام ابن تيمية له وذلك بقوله، رحمه الله :

---

(٦٢) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب دار إحياء الكتب العربية الطبعة الثانية ١٩٦٥م ص٥٠

وانظر أيضاً ، ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسى إبراهيم، دار عمار، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ. ص٢٩

(إن العبد بل كل حي بل وكل مخلوق هو فقير محتـاج إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، والمنفعة للحى هـي مـن جـنس النعيم واللذة ، والمضرة هي من جنس الألم والعذاب). فلابـد لكل عبد من أربعة أمور :

١) المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع ويتلذذ به .

٢) المعين الموصل المحصل لذلك المقصود .

٣) المكروه المبغض مطلوب العدم .

٤) الوسيلة إلى دفع ذلك المكروه .

فهذه الأمور الأربعة ضرورية للعبد بـل ولكـل حـي لا يقوم وجوده وصلاحه وسعادته إلا بها .)[٦٣]

هذا العبارات الرائعة من شيخ الإسلام رحمه الله تلخص في مجملها كل ما يريده الإنسان و يصبو إليه، وكذلك كل ما لا يريده ويرغب في الفرار منه في مسيرته في هـذه الحيـاة، وأيضـاً تبين أن لكل منهما وسائل توصل إليهـا، فالصـلاح والسـعادة والشقاء والخسارة تعتمد على وضوح هذا المعنى والإيمان به بل ورسوخه في تصور المؤمن ووضوحه وضوحاً تامـاً لا يخالطـه أدنى شك .

وللسعادة الحقيقية المرتبطة بهذا التصور وجهان :

---

(٦٣) فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٦

الوجه الأول:

أن الله تعالى هو الذي يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب، وهو المعين على المطلوب، وما سواه هو المكروه ، وهو سبحانه المعين على دفع المكروه ، فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه وهذا معنى قوله تعالى : ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ (٦٤) . و تمام العبودية يتضمن أصلين عظيمين :

١) الأصل الأول هو : المقصود المطلوب على أكمل الوجوه .

٢) الأصل الثاني هو : المستعان وهو الذي يستعان به على المطلوب .

فالأول من معنى الألوهية ، والثاني من معنى الربوبية، إذ الإله هو الذي يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالا وإكراما، والرب هو الذي يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة وغيرها ،وكذلك قوله تعالى:﴿**عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾(٦٥) وقوله ﴿**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**﴾(٦٦) ،وقوله :﴿**عَلَيْكَ**

---

(٦٤) سورة الفاتحة آية ٥

(٦٥) سورة هود آية٨٨

(٦٦) سورة هود آية ١٢٣

تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٦٧] وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾[٦٨] وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[٦٩] وقوله: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[٧٠].[٧١]

الوجه الثاني:

أن الله خلق الخلق، لعبادته الجامعة لمعرفته، والإنابة إليه، ومحبته والإخلاص له، فبذكره تطمئن قلوبهم، وبرؤيته في الآخرة تقر عيونهم، ولا شيء يعطيهم في الآخرة أحب إليهم من النظر إليه، ولا شيء يعطيهم في الدنيا أعظم من الإيمان به .

فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم ، وبذلك يصيرون عاملين متحركين، ولا صلاح لهم ، ولا فلاح، ولا نعيم، ولا لذة بدون ذلك بحال، بل من أعرض عن ذكر ربه فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى، ولهذا كان الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ولهذا كانت لا

---

(٦٧) سورة الممتحنة آية ٤

(٦٨) سورة الفرقان آية ٥٨

(٦٩) سورة الرعد آية ٣٠

(٧٠) سورة المزمل آية ٩،٨

(٧١) انظر الإيمان والحياة ص١٠٥

إله إلا الله أحسن الحسنات، وكان التوحيد بقول لا إلــه إلا الله رأس الأمر.

وكما يروى في الأثر (يـا ابـن آدم خلقـت كـل شيء لـك وخلقتك لي فبحقى عليـك أن لا تشـتغل بـما خلقتـه لـك عـما خلقتك له)[٧٢] .

وحق الله على عباده أن يعبدوه لا يشركوا بـه شـيئا كـما في الحديث الصحيح الذي رواه معاذ رضي الله عنه عن النبي أنـه قال:أتدرى ما حق الله على عباده؟ قـال : قلـت : الله ورسـوله أعلم، قال: حق الله على عباده ،أن يعبـدوه ، ولا يشـركوا بـه شيئا. أتدرى ما حق العباد عـلى الله إذا فعلـوا ذلـك ؟ قـال : قلت: الله ورسوله أعلم قـال حقهـم أن لا يعـذبهم.)[٧٣]وهـو يحب ذلك ويرضى به ويرضى عن أهله ويفرح بتوبـة مـن عـاد إليه كما أن في ذلك لذة العبد وسعادته ونعيمه .

فليس في الكائنات ما يسـكن العبـد إليـه ، ويطمـئن بـه، ويتنعم بالتوجه إليه، إلا الله سبحانه، ومن عبـد غـير الله، وإن

---

(٧٢) انظـر فتـاوى ابـن تيميـة ١/٢١ ، ومختصـر منهـاج القاصـدين، ابـن قدامـه مكتبة الشباب المسلم، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ ص٣٨٣ .

(٧٩) رواه مسلم، كتاب الإيمان ، باب الـدليل علـى أن مـن مـات علـى التوحيـد دخل الجنة، حديث رقم ٤٥ .

أحبه ، وحصل له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة ، فهو مفسدة لصاحبه أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم .

ثم إن فقر العبد إلى الله، وأن يعبد الله لا يشـرك بـه شـيئا، ليس له نظير فيقاس به، لكن يشبه من بعض الوجـوه، حاجـة الجسد إلى الطعام، والشراب، وبينهما فروق كثيرة،فـإن حقيقـة العبد قلبه وروحه، وهى لا صلاح لها إلا بإلهها الله الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره، وهى كادحة إليه كدحا فملاقيته، ولابد لها من لقائه، ولا صـلاح لهـا إلا بلقائـه، ولـو حصل للعبد لذات، أو سرور بغـير الله، فـلا يـدوم ذلـك بـل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهـذا في وقت، وفى بعض الأحوال، وتارة أخرى يكون ذلك الـذي يتنعم به ، والتذ به غير منعم لـه، ولا ملتـذ لـه بـل قـد يؤذيـه اتصاله به ، ووجوده عنده ، ويضره ذلك، وأما إلهـه فلابـد لـه منه في كل حال، و في كل وقت وأينما كان فهو معه ولهـذا قـال إمامنـا إبـراهيم الخليـل صـلى الله عليـه وسـلم :"لا أحـب

الآفلين"[٧٤] ولهذا كان أعظم آية في القرآن الكـريم "الله لا الـه إلا هو الحى القيوم"[٧٥].

ثم إن خلق الخلق لهذه الغاية العظيمة وهي عبودية الله عز وجل والإيمان به سبحانه وتعالى مبني على أصلين عظيمين :

الأول : أن نفس الإيمان بالله ، وعبادته ومحبتـه وإجلالـه، هو غذاء الإنسان وقوتـه وصـلاحه وقوامـه، كـما عليـه أهـل الإيـمان، وكـما دل عليـه القـرآن ، فإنــه وإن كـان في الأعــمال الصالحة ما هو على خلاف هوى النفس ، والله سـبحانه يـأجر العبد على الأعمال المأمور بها مع المشقة، كما قال تعـالى:﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ**﴾[٧٦] الآيـة ، وقـال صـلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها :(أجرك على قدر نصبك)[٧٧] فليس ذلك هو المقصود الأول بالأمر الشرعي، ولهذا لم يجئ في الكتاب والسـنة وكـلام السـلف إطـلاق القـول عـلى الإيـمان والعمل الصالح أنه تكليف وإنما جاء ذكر التكليف في موضـع النفي كقوله ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[٧٨]، ﴿**لاَ تُكَلَّفُ**

---

(٧٤) سورة الأنعام آية ٧٦

(٧٥) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٧٦) سورة التوبة آية ١٢٠

(٧٧) رواه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج برقم ٢١٢٠

(٧٨) سورة البقرة آية ٢٨٦

﴿**إِلاَّ نَفْسَكَ**﴾[٧٩]، ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾[٨٠] أي وإن وقع في الأمر تكليف فلا يكلف إلا قدر الوسع لا أنه يسمى جميع الشريعة تكليفا مع أن غالبها قرة العيون، وسرور، القلوب، ولذات الأرواح، وكمال النعيم، وذلك لإرادة وجه الله، والإنابة إليه، وذكره ، وتوجه الوجه إليه فهو الإله الحق الذى تطمئن إليه القلوب، ولا يقوم غيره مقامه في ذلك أبدا، قال الله تعالى : ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٨١].

الثاني : أن النعيم في الدار الآخرة هو النظر إليه بل اللذة والنعيم التام في حظهم من الخالق سبحانه وتعالى ، كما في الدعاء المأثور (اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة)[٨٢]. وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون : ما هو ألم يبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه سبحانه، فما أعطاهم شيئا أحب إليهم

---

(٧٩) سورة النساء آية ٨٤

(٨٠) سورة الطلاق آية ٧

(٨١) سورة مريم آية ٦٥

(٨٢) رواه النسائي كتاب الصلاة، باب السهو برقم ١٢٨٨ الحديث من رواية عمار بن ياسر، قال الألباني إسناده جيد، الآحاد برقم ٢٢.

من النظر إليه، وهـو الزيـادة)[٨٣]، فبـين النبـي صـلى الله عليـه وسلم أنهم مع كمال تنعمهم بما أعطاهم الله في الجنـة لم يعطهـم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وإنـما يكـون أحـب إلـيهم لأن تنعمهم وتلذذهم به أعظم من التنعم والتلذذ بغيره ، فإن اللذة تتبع الشعور بالمحبوب فكلما كان الشيء أحب إلى الإنسان كان حصوله ألذ له ، وتنعمه به أعظم .[٨٤]

وأما ما يتعلق بتصور السعادة الدنيوية عنـد المسـلم فإنهـا هي الحياة الطيبـة التـي يحياهـا المـؤمن في الـدنيا كـما قـال الله تعالى:﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[٨٥] .

قال ابن كثير في تفسيره : (هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيـه صـلى الله عليه وسلم من ذكر أو أنثـى مـن بنـي آدم وقلبـه مـؤمن بـالله ورسوله ، وإن هذا العمل المأمور به مشروع مـن عنـد الله بـأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة والحيـاة الطيبـة تشـتمل وجـوه الراحـة مـن أي جهـة كانت... وعن ابن عباس أنها هي السعادة .)[٨٦]

---

(٨٣) رواه الترمذي في السنن كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب بارك وتعالى، رقم ٢٤٧٥ وصححه شيخ الإسلام انظر الفتاوى ٦/ ٤٩٩

(٨٤) انظر الفتاوى لشيخ الإسلام بن تيمية ١/ ٢٦

(٨٥) سورة النحل آية ٩٧

(٨٦) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٦٠١

وقال القرطبي في تفسيره : "وفي الحياة الطيبة خمسة أقوال: (الأول) أنها الرزق الحلال. (الثاني) القناعة؛. (الثالث) توفيقه إلى الطاعات فإنها تؤديه إلى رضوان الله؛. (الرابع) هي الجنة، (الخامس) هي السعادة .

وقيل هي حلاوة الطاعة. وقيل أن ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره إلى الحق. وقيل هي المعرفة بالله، وصدق المقام بين يدي الله. وقيل: الاستغناء عن الخلق والافتقار إلى الحق. وقيل: الرضا بالقضاء.)[٨٧]

هذه هي الحياة التي يجب أن يحياها المسلم ، الذي يعيش في هذا العصر المتوتر الذي بعدت فيه البشرية عن المنهج الإلهي وأصبح طغيان المادة الأرضية هو الذي يسيطر على أفكار البشر، فليس هناك ما يعين المسلم على معايشة هذا الزمان والسعادة فيه إلا اتباع الصراط المستقيم ﴿ **صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَـوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ** ﴾[٨٨] .

وإن إدراك المسلم لهذا التصور الإسلامي ، هو الذي يكفل له أن يكون عنصراً صالحاً في بناء هذه الأمة، ذات

---

(٨٧) الجامع لأحكام القرآن دار الحديث - القاهرة ١٠/ ١٨٢

(٨٨) سورة الشورى آية ٥٣

الطابع الخاص المتفرد المتميز، وعنصراً قادراً على القيادة والإنقاذ والسعادة والإسعاد.[٨٩]

إن من يعيش الحياة بهذا التصور يصدق عليه أنه قد دخل جنة الدنيا ، وشهدها كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً عظم ذلك (فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها .وكان بعض العارفين يقول : "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ، وقال آخر مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل وما أطيب ما فيها؟ قال محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا ، وقال آخر إنه لتمر على القلب ساعات يرقص فيها طرباً يقول إن كان أصحاب الجنة في مثل ما نحن فيه إنهم لفي عيش طيب" .

فمحبة الله تعالى ، ومعرفته ، ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب ، والخوف، والرجاء، والتوكل والمعاملة، بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد، وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا ، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين ، وحياة العارفين)[٩٠].

---

(٨٩) انظر منهج الإسلام في تزكية النفوس، أنس كرزون، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ ص٥٩٢

(٩٠) الوابل الصيب ص ٨٠ ، مرجع سابق .

والخلاصة :

يتضح لنا من خلال هذا المبحث أن السعادة الحقيقية، للمؤمن إنما تكون بامتثاله لما أمره الله به والقيام بما خلق له، وأن النعيم كل النعيم إنما يكون بذلك ، وهو القيام بالعبودية الكاملة لله رب العلمين ، لأن نفس العبودية سعادة ونعيم، لتوافقها مع الفطرة السوية التي فطر الناس عليها ، والذي يقوم بهذه العبودية يشعر بالتوافق التام مع الكون كله، بأفلاكه ومجراته بجماداته وأحيائه ونباتاته ، بجزيئاته وعناصره وذراته ، فكل الكون يسجد لله وكل المخلوقات تسبح الله، وكل الكون ذليل عابد خاضع لله ، كما أخبر الله عن ذلك بقوله : ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَـٰوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾[91] وقوله تعالى:﴿ **يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾[92] ، وقوله عز وجل ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ**﴾[93]،﴿ **وَللهِّ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**

---

(٩١) سورة الإسراء آية ٤٤

(٩٢) سورة الجمعة آية ١

(٩٣) سورة الحج آية ١٨

مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٩٤] وأيضاً لأن الله تعالى أعد للمؤمن في الآخرة ما هو أنعم له وأسعد ، ألا وهو دخول الجنة والتنعم فيها بأعظم نعيم وأتم سعادة وهو رضوان الله تعالى و رؤية المعبود سبحانه وتعالى والتلذذ بالنظر إليه .

وأما في الحياة الدنيا فإنها الحياة الطيبة، الهنيئة التي يعيشها المؤمن المتصل بعبودية ربه عز وجل، الذي يدرك معنى قوله تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[٩٥]، والذي يمتثل قول الله تبارك وتعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً**﴾ [٩٦]، ويمتثل قوله تعالى ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[٩٧] ويعلم أن كل شئ في حياة الإنسان على هذه الأرض على المستوى الاجتماعي أو الفردي يجب أن يكون معبراً عن العبودية لله سبحانه وتعالى، وهذا يعني توحيده وإخلاص العبادة له وعدم الإشراك به، ويعني صياغة التوجهات وممارسة السلوكيات حسب الشريعة الإلهية، ويعني كذلك بناء السياسات والنظم والقوانين

---

(٩٤) سورة النحل آية ٤٩- ٥٠ .
(٩٥) سورة الذاريات آية ٥٦ .
(٩٦) سورة البقرة آية ٢٠٨ .
(٩٧) سورة الأنعام آية ١٦٢ .

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمهنية في ضوء المبادئ والتوجيهات والأوامر الربانية .[98]

عندها يعيش الإنسان مطمئن النفس هادئ البال مهما احتوته الظروف والأحوال، يعيش موفقاً بين مصالح دينه ومصالح دنياه وحينئذ يشعر بالرضا التام عن كل ما يقوم به من عمل وذلك هو حقيقة السعادة ، وله في سلف هذه الأمة الأسوة الحسنة فقد عاشوا سعداء وماتوا سعداء، مع ما ينتظرهم من نعيم مقيم وسعادة أبدية في دار الخلود .

---

(٩٨) انظر المرشد للسعادة والنجاح، د. القعيد ، دار المعرفة للتنمية البشرية ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ص١٨

المبحث الرابع
الفرق بين السعادة والنجاح

مقدمة :

عندما تذكر كلمة السعادة غالباً ما تكون مرتبطة بكلمة النجاح في كثير من الكتابات المعاصرة ، مما أدى إلى ضعف التفريق بينهما أحياناً، ومما قد يؤدي أيضاً إلى حصر مفهوم السعادة في النجاح عند المسلم المعاصر، وهذا الأمر له تأثير كبير على مستوى الهوية الذاتية للفرد المسلم، و على قناعاته المنبثقة من خصائص العقيدة الإسلامية، والتصور الصحيح لحقيقة الحياة .

ويرجع سبب ذلك إلى جملة أسباب، منها أن من تصدر الآن لقيادة العالم والتأثير فيه في مختلف النواحي والاتجاهات، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغيرها هو من لا يفقه شيئاً عن السعادة الحقيقية بمفهومها الإسلامي ـ أعني القيادات العلمانية الغربية ـ كما أخبر الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾[99] فأصبح اليوم للمسلم استيراداً بدون تصدير، ليس فقط للمنتجات المادية والمستهلكات الغذائية، والآلات

---

(٩٩) سورة الروم آية ٧

الصناعية، والأجهزة التقنية، بل حتى لكيفية التفكير، وكيفية التخطيط ، وطريقة التعامل مع الآخرين، وكيفية جذب الاهتمام للتأثير، وكيفية النجاح حتى في الحياة! وغير ذلك مما قد يؤثر مستقبلاً على المفاهيم الفكرية الثابتة عند المسلم .

ولا يفهم من هذا رفض كل ما يأتي من الغرب ، من العلوم الحديثة، لكن يعني الحذر والانتباه من التأثير الخفي الذي يصاحب ذلك لا سيما في عصر الانهزامية العامة التي يعيشها بعض المسلمين في هذا العصر.

ومنها كذلك هذا السيل الجارف من الاتجاهات المادية الحديثة في الحياة الاجتماعية المعاصرة، في كافة المجالات، وتقديس النظرة إلى المال عند كثير من الناس، حتى أصبح تقييم الإنسان ليس بما يحمل من مبادئ وقيم ولكن بماذا عنده من المادة، ولعل هذا العصر هو العصر المشار إليه في قول النبي عليه الصلاة والسلام : (إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر ، وتفشو التجارة)[100]، فكثرة المال (المادة) أدى إلى التنافس الشديد عليها وإلى جري الناس في البحث عنها، حتى ظنوا أن الفوز بها هو السعادة .

---

(١٠٠) رواه النسائي في السنن، كتاب البيوع، باب التجارة برقم ٤٣٨٠ وهو في السلسلة الصحيحة للألباني من رواية عمرو بن تغلب برقم ٢٧٦٧ .

أ ـ تعريف النجاح :

في اللغة :

جاء في تـاج العـروس عنـد مـادة (ن، ج ، ح) النجـاح، بالفتح، والنجح بالضم الظفر بالشئ والفوز[١٠١] .

و في مختار الصحاح (الـنُّجْحُ بـوزن النُّصـح و النَّجَـاحُ بالفتح الظَّفر بالحوائج و أَنْجَـحَ الرجـل فهـو مُـنْجَحٌ صـار ذا نُجْحٍ وما أفلح ولا أنجح و أَنْجَحَ الحاجـة قضـاها و نَجَحَـتِ الحاجة أي قُضيت و نَجَحَ أَمره سهُل وتيسرـ)[١٠٢].فيظهـر مـن دلالة اللفظ اللغوي، أن النجاح فيه معنى الحصول على الشيء والفوز به أو تجاوزه إلى غيره، وذلك من خلال ألفاظ (الظفـر، قضاها، سهل أمره) .

أما في الشـرع فلم ترد كلمة (النجاح) في الكتـاب ولا في الصحيحين، وإنما ورد لفظ النجـاح في الـدعاء بطلـب خـير النجاح ـ وهذا يعني أن النجاح لـيس خـيراً كلـه ـ في حـديث أخرجه الحاكم في المسـتدرك بلفـظ((اللهـم إني أسـألك خـير

---

(١٠١) تـاج العـروس، محمـد مرتضـي، الطبعـة ١٣٨٩، تحقيـق عبدالسـلام هارون. ١٤٧/٧

(١٠٢) مختار الصحاح مرجع سابق ص١٦٥ .

المسألة وخير الدعاء وخير النجاح))[١٠٣] وورد أيضاً ماهو من معاني النجاح مثل الفوز والفلاح والنجاة .[١٠٤]

في الاصطلاح :

النجاح : تحقيق انجازات محددة ، دينية كانت أو دنيوية، يرى أثرها واضحاً في حياة الإنسان، على المستوى الشخصي، والأسري ، وعلى المستوى الاجتماعي ، والوظيفي، أو المهني[١٠٥] .

والنجاح هو كفاح الشخصية الإنسانية، وتعاملها الفعال مع معطيات الزمان والمكان، في ضوء القدرات والإمكانات المتاحة. و يعني كذلك التعود على الحياة بطريقة معينة، ومواجهة المشكلات بطريقة فاعلة، والتعود على معاملة الناس بطريقة متميزة والتعود على التعامل مع الوقت بطريقة محددة، والتعود على ممارسة المهنة أو العمل والوظيفة باحتراف وانضباط، وطريقة مدروسة. فالنجاح عبارة عن مجموعة من العادات، وبقدر ما يبني الإنسان هذه العادات ويطورها في

---

(١٠٣) رواه الحاكم (١/ ١٩١١)

(١٠٤) وإن كان قد ورد من اشتقاقات الكلمة (أنجح) كما في حديث (تربوا صحفكم فإنه أنجح لها) رواه النسائي برقم ٤٦١ ، وأيضاً في حديث (قد أفلح وأنجح) رواه ابن ماجه برقم ٣٧٦٤ .

(١٠٥) دليلك إلى السعادة والنجاح د. إبراهيم القعيد ص١٧ ، دار المعرفة للتنمية البشرية ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ

شخصيته، ويستثمرها في عمله، وفي حياته الخاصة، يكون نجاحه وتحديده لمكانته الاجتماعية ومستواه الوظيفي ودرجة احترافه.[106]

فمن خلال هذا العرض لرؤية النجاح، ومقارنته بمفهوم (السعادة) ، نجد أن السعادة بيئة ملائمة لتحقيق النجاح في الحياة ، كما أن السعيد أميل الناس إلى تحقيق النجاح، ولكن الناجح في أمور الدنيا ليس بالضرورة أن يكون سعيداً، بل قد يكون النجاح في مثل هذه الحالة وبالاً على صاحبه .

وأيضاً السعادة مشاعر مرتبطة بالسعي من أجل النعيم الدنيوي الذي يوصل إلى النعيم الأخروي ، بينما النجاح قد يكون مرتبطاً بما هو في الدنيا فقط" .

ب ـ قصور النظرية الغربية عن تحقيق السعادة والنجاح :

(وعند النظر فيما يطرح في أوساط البيئة الغربية المعاصرة، في تحقيق السعادة والنجاح، والخلط بينهما، وتلهف من يظن أنها يمكن أن تقدم سعادة ، وفاقد الشيء لا يعطيه، فلا يمكن أن تفلح البشرية اليوم في سعادتها ونجاحها المطلق ، بما هو بعيد كل البعد مفهوم عن السعادة والنجاح، بل الواقع

(١٠٦) المصدر نفسه ١٧ .

المعاصر يشهد بالآثار المدمرة الناتجة عن)[107] الحضـارة الغربيـة التي بنت نجاحها على تحطيم الآخـرين، وشـل كـل مقومـات التفكير الصحيح، ويظهـر ذلـك في صـور بشـعة، مـن صـور الإخلال بأدنى قيمة للإنسـانية عنـد أولئـك القـوم، ويعـايش المسلم في هذا العصر مشاهد من القتـل والإبـادة والاحـتلال، ومصادرة الحريات، والتغطرس الغربي الفاضح، ولذلك فقـد ضل كل من حاول أن يبحث عن الهدى في غير ما جاء عن الله تعالى، كما جـاءت الإشـارة إلى ذلـك في الحـديث عـن القـرآن الكريم (من ابتغى الهدى في غيره أضله الله)[108]، فالذي يريـد النجـاح في غـير هـدى الله تعـالى سـواءً النجـاح الـدنيوي، أم النجاح الأخروي فإن النتيجـة الحتميـة لـذلك هـي الضـلال والشقاء، الضلال الدنيوي، والشقاء الأبدي كما قـال تعـالى : ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْـرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾[109] .

---

(١٠٧) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ ص١٩٤ .

(١٠٨) رواه الترمذي في السنن، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضائل القرآن، برقم ٢٨٣١ ، فيه شعيب بن صفوان لا يتابع عليه انظر ذخيرة الحفاظ، ابن القيسراني، ١٣٤٨/٣ .

(١٠٩) سورة طه آية ١٢٤

يقـول أحـد الفلاسـفة الغـربيين المعـاصرين ـ وأحـد المشهورين في مجال النجاح ـ (ستيفن كوفي) ، معترفاً بوجـود خلل أساسي في تعامل الغرب مع النجاح في الحياة :

(إن تحليلي لما كتب خلال الخمسين سنة الماضـية في العـالم الغربي يوحي بأن أغلب مـا كتـب تشـوبه السـطحية ، ويقـدم وصفات مهدئة سهلة جاهزة للتعامل مع مشـكلات ضـخمة، وهـذا لا يسـهم في حـل هـذه المشـكلات إلا بصـفة مؤقتـة، والنتيجة أن هـذه المعضـلات تعـود مـرة أخـرى لتظهـر عـلى السطح)[110] وقد تحول الاتجاه بعد الحـرب العالميـة الأولى كـما يقول كوفي:(من التركيز على الجوانب الأخلاقية في الشخصية مثـل الالتـزام والشـجاعة والاسـتقامة والصـبر والعـدل والتواضـع، إلى جوانـب الفاعليـة الشخصـية بمعـزل عــن الأخلاق، وخرجت الكتب والمراكز المتخصصـة، والـدورات التدريبية، والمدارس الفكرية ،التي تبشر بهـذا الفكـر الجديـد، وتبحث في تطوير أساليب واستراتيجيات ، الفعالية الشخصية مثـل " التركيـز عـلى العلاقـات" ، "مواقفـك واتجاهاتـك"، "الابتسام يكسبك الأصدقاء أكثر"، "كـل مـا يمكـن تصـوره

---

(١١٠) العادات السبع لاستيفن كوفي ، الطبعة (١٩٨٩م) الإنجليزية، ص١٨ نقلاً عن العادات العشر للشخصية الناجحة ص١١ .

يمكن تحقيقه"، واتجه الأمر إلى تشجيع مهارات وأساليب واتجاهات استغلالية خادعة، مثل استعمال أساليب معينة لتحبيب الناس إليك، وممارسة هوايات تجذب إعجاب الآخرين ، الاهتمام بالزى والمظهر للتأثير في الناس ......".[111]

وهذا الأمر هو نتيجة طبيعية للنهج العلماني "اللاديني" الذي يعتني بالحياة الدنيا ومباهجها وتيسيراتها وتحقيق شهوات الجسد المادية، ورفاهيته على حساب الروح، والأخلاق ، والمثل العليا حيث تقوم العلاقات بين الأفراد والمجتمعات على أساس نظرية المنفعة والذرائع[112] ، أما الدين والأخلاق فلا دخل لهما في شؤون الحياة وإدارة أنشطتها، وبالتالي فقدت هذه الحضارة المعاصرة أن تقدم سعادة ونجاحاً حقيقيين .ذلك أن الأوربي العادي، سواء كان ديمقراطياً، أم فاشياً رأسمالياً، أم بلشفياً صانعاً أم مفكراً يعرف ديناً إيجابياً واحداً هو التعبد للرقي المادي، أي الاعتقاد بأن ليس في الحياة

---

(١١١) المصدر السابق .

(١١٢) تسمى (البراجماتزم)، انظر الإنسان الصالح وتربيته من منظور إسلامي، د. علي خميس، دار طيبة الخضراء الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ. ص ٣٥٩ والبراجماتية مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملاً، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما كونها مفيدة ، والبراجماتي: كل ما يهدف إلى النجاح أو إلى منفعة خاصة، انظر المعجم الفلسفي، إبراهيم الحاج علي، مرجع سابق ص٣٣

هدف آخر سوى جعل هذه الحياة نفسها أيسر فأيسر، أو كما يقول التعبير الدارج (عندهم) طليقة من ظلم الطبيعة . إن هياكل هذه الديانة إنما هي المصانع العظيمة، ودور السينما، والمختبرات الكيميائية ، وباحات الرقص ، وأماكن توليد الكهرباء ، وأما كهنة هذه الديانة : فهم الصيارفة، والمهندسون، وكواكب السينما ، وقادة الصناعات ، وأبطال الطيران(١١٣) .

ج ـ خصوصية النجاح والسعادة عند المسلم المعاصر :

يتساءل المؤلف هل يراد للمسلم الذي يعايش هذه الثورة البركانية من العلوم والتقنيات الحديثة أن يكون حاله كحال ذلك الأوربي الذي تمرد على الدين بحثاً عن النجاح فأصبح يعيش بلا أخلاق ، بل بلا قيم ، بل بلا مبادئ،؟ فلم يعد للدين الذي هو مصدر الأخلاق، مكانة وقيمة ، ولا اعتبار في السلوك والأخلاق، بل حلت الرغبات ، والشهوات، والمصالح الذاتية، محل الآداب، والأخلاق، وظهرت نظريات تدعو إلى نسبية الأخلاق ، وتغيرها من زمان إلى زمان، ومكان إلى مكان ، وأنه لا مبادئ أخلاقية مطلقة ، حتى أصبح من

---

(١١٣) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد ، دار العلم للملايين ـ الطبعة السادسة ١٩٦٥م ص٤٧، ٤٨ .

مبادئ العلاقات الدولية المعاصرة "علاقات مصالح لا مبادئ " ونتج عن ذلك كله تفكك أسري ، وعقوق للوالدين، والأقارب، وفوضى في العلاقات الجنسية، وعزوف عن الزواج وتكوين الأسرة، وكثر اللقطاء وأولاد الزنا، رغم انتشار موانع الحمل، وكثرت عمليات الإجهاض المبكرة.[١١٤] ".

أهذه هي صورة النجاح المزعومة
التي يجري وراءهـا عالم اليوم ؟

أم أنها صورة الخسران المبين ، الذي كتبه الله تعالى على جميع الناس واستثنى منهم المؤمنين العاملين للصالحات المتواصين بالحق والمتواصين بالصبر كما أخبر سبحانه وتعالى عن ذلك بقوله : ﴿**وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)**﴾[١١٥]، يقول سيد قطب رحمه الله : (الحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة هي هذه : إنه على امتداد الزمان في جميع الأعصار، وامتداد الإنسان في جميع الأدهار، ليس هناك إلا منهج واحد رابح (ناجح) وطريق واحد ناج، هو ذلك المنهج الذي ترسم

---

(١١٤) المدخل إلى علم التاريخ د. محمد صامل السلمي، دار الوطن للنشر الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ص١٣٥ .

(١١٥) سورة العصر الآيات (١ ـ ٣)

السورة حدوده ، وهو هذا الطريق الذي تصف السورة معالمه ، وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار.(١١٦)

ولا يخفى أن للمسلم المعاصر خصوصيته الثقافية والفكرية، التي يجب عليه المحافظة عليها حتى لا يستهويه الشيطان فيكون من الغاوين، الذين حرموا السعادة وكتب عليهم الشقاء الأبدي والخسارة الأبدية، كما قال الله تعالى ﴿**إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ**﴾(١١٧).

أما النجاح المادي وهو ما تركز عليه الحضارة الغربية المعاصرة(١١٨) فإنه لم يكن في يوم من الأيام هو السعادة المنشودة، وليس هو غاية في حد ذاته أبداً، بل تجد أن من كان علمه فقط في نجاحات الدنيا وصفه الله تعالى بعدم العلم كما قال تعالى ﴿**وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾(١١٩).

---

(١١٦) في ظلال القرآن لسيد قطب دار الشروق، ١٤٠٠هـ ٣٩٦٤/٦

(١١٧) سورة الشورى آية ٤٥

(١١٨) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٢٤٢ ، مرجع سابق .

(١١٩) سورة الروم آية ٦- ٧.

وهنا يسأل المؤلف، هل المسلم محتاج إلى تتبع الحضارة المعاصرة فيما يخص الأخلاق والقيم بدعوى النجاح والسعادة؟ أم أنه يملك من الأسباب التي توصله إلى السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة ما يجعله مستقلاً، بقيمه ومبادئه، مع الاستفادة من كل ما هو مفيد من الثقافة الغربية من آليات، وتقنيات، لا تخرجه عن خصوصيته الفكرية والثقافية الرائدة .

إن المسلم عنده بلا شك منهج متكامل لنظام الحياة، يرشده إلى سلوك طرق النجاح والسعادة، والأخذ بأسبابها، ويشعره بالتوافق التام بين متطلبات الروح والجسد ، ويلبي له كل احتياجاته ، النفسية والاجتماعية التي يريدها .



الفصــل الثانـي

أسباب السعادة في الإسلام

المبحث الأول : الإيمـان .
المبحث الثانـي : العمل الصالح .
المبحث الثالث : الدعوة إلى اللّه
المبحث الرابع : حسن الخلق .

تمهيد :

قبل الحديث عن أسباب السعادة أو تفصيلها، يستحسن إعطاء فكرة مبسطة عن معنى السبب، وأهميته، وذلك على النحو الآتي :

السبب في اللغة كل شيء يتوصل به إلى غيره [١٢٠]، وبهذا المعنى اللغوي ورد في قوله تعالى ﴿**وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾[١٢١] والمعنى آتاه الله من كل شئ ذريعة ومعرفة يتوصل بها فاتبع واحداً من تلك الأسباب . وقال الزمخشري : السبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة[١٢٢]. فالمنظور كون الشيء سبباً هو كونه موصلاً إلى غيره سواء كان هذا الشيء مادياً أم كان معنوياً كالعلم والقدرة [١٢٣].

وقد دل القرآن الكريم على أن لكل شئ سبباً سواء كان هذا الحدث يتعلق بالجمادات أو النبات، أو بالحيوان أو

---

(١٢٠) لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد (ت ٧١١هـ) ط ١٣٨٨ دار صادر ودار بيروت ٤٣/١

(١٢١) سورة الكهف آية ٨٥، ٨٤

(١٢٢) تفسير الزمخشري دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة ١٤١٥هـ، وانظر أيضاً تهذيب مدارج السالكين ١٠١٤/٢ مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ. ٢/ ٧١٥

(١٢٣) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ ص٢١

بالإنسان، أو بالأجرام السماوية أو الظواهر الكونية، فقانون السببية وربط الأسباب بالمسببات، والنتائج بمقدماتها، عام شامل لكل ما في العالم ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا وفي الآخرة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (فليس في الدنيا ولا في الآخرة شئ إلا بسبب ، والله خالق الأسباب والمسببات)[١٢٤]، فمن الأسباب المادية قوله تعالى ﴿**وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ**﴾[١٢٥]، ومن الأسباب المعنوية: ﴿**إَن تَتَّقُواْ الله يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً**﴾[١٢٦].

وكذلك ـ مجال البحث ـ السعادة وسببها ، يقول الله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[١٢٧]، والقرآن الكريم كما يقول ابن القيم[١٢٨] مملوء من ترتيب الأحكام الكونية والشرعية والثواب والعقاب على الأسباب بطرق متنوعة ، فيأتي بباء السببية تارة ، كقوله تعالى : ﴿**كُلُوا**

---

(١٢٤) فتاوى ابن تيمية ١/ ٧٠

(١٢٥) سورة البقرة آية٢٢

(١٢٦) سورة الأنفال آية٤٠

(١٢٧) سورة النحل آية ٩٧

(١٢٨) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ١٠١٥/٢ الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ مؤسسة الرسالة.

وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[129]، وتارة يـأتي بـاللام كقوله تعالى ﴿ **كِتَـابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْـرِجَ النَّاسَ مِـنَ الظُّلُـمَاتِ إِلَى النُّـــورِ بِـإِذْنِ رَبِّـهِـمْ**﴾ [130] ويـأتي بـذكر الوصـف المقتضـي للحكم تارة كقوله تعالى ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾[131] ، فالله تعالى اقتضت حكمته ربط النتائج بأسبابها .[132]

وفي هذا الفصل سيقوم المؤلف بـذكر الأسـباب الدينيـة، التي توصـل إلى السـعادة بمفهومهـا الإسـلامي، والتـي هـي الأسباب الأساسية الضابطة لمفهوم السعادة عند المسـلم التـي حدد المولى تبارك وتعـالى أركانهـا في سـورة العصـــر، وهـي : الإيمان ، والعمل الصالح، والتواصي بالحق (الذي هو الـدعوة إلى الدين الحق)، والتـواصي بالصـبر(والـذي هـو مـن أبـرز الأخلاق الإسلامية التـي تحقـق للمسـلم سـعادته ونجاحـه) وذلك على النحو الآتي :

(١٢٩) سورة الحاقة آية ٢٤

(١٣٠) سورة إبراهيم آية ١

(١٣١) سورة الطلاق آية ٢

(١٣٢) انظر الفوائد لابن القيم ص ٦٦.

المبحث الأول

الإيمـــــــان

أ ـ مفهوم الإيمان :

لغــة: الإيمان ضد الكفر . والإيمان بمعنـى التصـديق ، ضـده التكذيب .[133]

شرعاً: هو تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان.[134]

والإيمان هو أصل الحياة الكبير، الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير، وتتعلق به كـل ثمـرة مـن ثـماره ، وإلا فهـو فـرع مقطوع من شجرته ، صائر إلى ذبول وجفـاف . وهـو المحـور الذي تشد إليه جميع خيوط الحياة الرفيعة ، وهو المـنهج الـذي يضم شتات الأعمال، ويرده إلى نظام تتناسـق معـه ، وتتعـاون فتسلك في طريق واحـد، والإيـمان دليـل عـلى صـحة الفطـرة وسلامة التكوين الإنساني، وتناسقه مع الكـون كلـه ، ودليـل التجاوب بين الإنسان والكون من حوله .وإن المؤمن لـه عـالم

(١٣٣) انظر لسـان العرب لابن منظـور ١/ ١٤٠ ، وانظـر في ظلال الإيمـان د. صلاح الخالدي، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ ص١٣،

(١٣٤) انظر تهذيب شرح العقيدة الطحاوية، د. صلاح الصاوي، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ ص٩ والرائد في التربية والدعوة، مازن الفريح دار المنطلق للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ١/ ١٦٦وانظر إحياء علوم الدين دار الخير للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١/ ١٥٤

من السعة والشمول والامتداد والارتفاع والجمال والسعادة بحيث تبدو إلى جانبه عوالم غير المؤمنين صغيرة ضئيلة ، هابطة هزيلة ، شقية ، خاسرة أي خسران .[135]

والإيمان كلمة جامعة إذا أفردت فإنها تشمل معاني الدين العظيم كله[136] ، وإذا قرنت بالإسلام ، فإنها تعني أعمال الدين الباطنة أي الاعتقادات والأعمال القلبية،والتي تشمل أركان الإيمان الستة، الإيمان بالله وتوحيده في ألوهيته، وربوبيته وأسمائه وصفاته ،والإيمان بالملائكة ، وبالكتب وبالأنبياء وباليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، والإسلام يعني أعمال الدين الظاهرة والتي هي أعمال الجوارح أو أركان الإسلام الظاهرة ، كما ورد ذلك في حديث جبريل الذي أخرجه الإمام مسلم [137] ، في بيان مراتب الدين ، قال ابن رجب رحمه الله (إن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة ، عند إفراده وإطلاقه ، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسميات ، والاسم المقرون به دالاً على باقيها ، هكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل

---

(١٣٥) في ظلال القرآن ص٣٩٦٦ بتصرف

(١٣٦) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، لابن سعدي، مكتبة دار الأقصى، الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ ص٧ ، وانظر فتاوى ابن تيمية ٦٤٢/٧

(١٣٧) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان السلام والإيمان والإحسان برقم ٩

فيه الآخر ، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، ودل الآخر على الباقي)[١٣٨]، وقد ورد عطف العمـل الصـالح عـلى الإيمان في كثير من آيـات القـرآن الكـرم ، وهـو يتضـمن هـذا المعنى أيضاً فإن العمل الصالح مـن الإيـمان كـما هـو مقـرر في عقيدة أهل السنة والجماعـة ، قـال الأوزاعـي رحمـه الله (كـان السلف لا يفرقون بين العمـل والإيـمان)[١٣٩] وإذا ذكـر العمـل الصالح مع الإيمان وعطف عليه فـإن هـذا مـن بـاب عطـف الخاص على العام ، وأن الإيمان يقصد به أعمال القلب، والعمل الصالح يقصد به أعمال الجوارح الظاهرة .

وعلى هذا الأساس فسـوف يـورد المؤلـف بعـض أعـمال القلوب والتي هي من مظاهر الإيمان على أنها من جملة أسباب السعادة فيما يتعلق بهذا المبحـث (الإيـمان بـالله)، وذلـك عـلى سبيل التمثيل لمظاهر الإيمان وأعمال القلـوب التـي توصـل إلى السعادة، وليس على سـبيل الاستقصـاء لكـل الأعـمال، لكـن سيختار ما رآه بعد البحث، يبين معنى جلياً من أسباب سعادة المسلم المعاصر في حياته .ويعتبر ذلك نموذجاً لتلك العبـادات القلبية الأخرى .

---

(١٣٨) جـامع العلـوم والحكـم، مكتبـة طيبـة المدينـة المنـورة، الطبعـة الثانيـة ١٤١٠هـ ص٢٧

(١٣٩) المصدر السابق ص٢٦.

ب ـ مظاهر الإيمان :

للإيمان مظاهر عديدة لها أثر كبير في تحقيق السعادة للمسلم وسأكتفي بذكر شيئ منها على النحو التالي :

أولاً : **التوكل** :

معنى التوكل :

التوكل لغة مشتق من مادة (وكل) يقال وكل بالله وتوكل عليه واتكل:استسلم له [140] و(وكل إليه الأمر وكلاً و وكولاً : سلمه وتركه)[141].

واصطلاحاً :

تعددت تعريفات العلماء رحمهم الله للتوكل على النحو التالي:

١ - هو علم القلب بكفاية الرب للعبد[142].

٢ - هو تسليم الأمر من هو له، وعزل نفسه منازعات مالكه، واعتماده عليه فيه ، وخروجه عن تصرفه بنفسه وحوله وقوته، إلى تصرفه بربه وكونه به سبحانه دون نفسه، وهذا مقصود التوكل.[143]

---

(١٤٠) لسان العرب لابن منظور(٧٣٤/١١) .

(١٤١) القاموس المحيط للفيروز أبادي مجد الدين محمد يعقوب، ط١٣٧١هـ نشر مكتبة مصطفى الباني الحلبي . (٦٧/٤) .

(١٤٢) تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ٢/ ٥٣٦ .

(١٤٣) المصدر السابق ٥٣٧/٢ .

٣ - حقيقة التوكل هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا، والآخرة كلها، وكلت الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه [١٤٤].

٤ ـ التوكل حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير، والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فيوجب له اعتمادا عليه وتفويضاً إليه، طمأنينة به، وثقة به ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه [١٤٥] .

ويختلف الناس من حيث سعادتهم واطمئنانهم اختلافاً بيناً، بناءً على اختلاف مراتبهم في توكلهم على الله تبارك وتعالى . فأهل العلم والدعوة، يتوكلون عليه في الإيمان به، ونصرة دينه، وإعلاء كلمته ، وجهاد أعدائه، وفي محابه وتنفيذ أوامره . ودونهم من يتوكل عليه في استقامته في نفسه ، وحفظ حاله مع الله، فارغاً من الناس، ودون هؤلاء من يتوكل عليه في معلوم يناله، من رزق وعافية، أو نصر على عدوه، أو زوجة، أو

(١٤٤) العبادات القلبية د. محمد عقيل موسى دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ . ص ١٢٩

(١٤٥) التوكل وعلاقته بالأسباب د عبد الله الدميجي، دار الوطن، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ص ٢٢

ولد .وأفضل التوكل هو التوكـل في الواجـب، واجـب الحـق وواجب الخلق، وواجب النفس، وأما أوسع التوكـل وأنفعـه، فهو التوكل في التـأثير في الخـارج، في مصـلحة دينيـة، أو دفـع مفسدة دينية، وهو توكـل الأنبيـاء ، في إقامـة ديـن الله، ودفـع فساد المفسدين في الأرض وهذا هو توكل ورثتهم ، ثم النـاس بعد في التوكل على حسب هممهم ومقاصدهم[١٤٦].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى مبيناً أن أعظم التوكل هو مـا كـان فيه سـعادة الـدنيا والآخـرة ، وهـو مـا يتعلـق بخدمـة الـدين ونصرته :

(وكثيراً من المتوكلين يكون مغبوناً في توكلـه، إلى حاجـة جزئية استفرغ فيها قـوة توكلـه، ويمكنـه نيلهـا بأيســر شـئ، وتفريغ قلبه للتوكل في زيادة الإيمان، والعلم، ونصرـة الـدين، والتأثير في العالم خيراً، فهذا توكل العـاجز قـاصر الهمـة ، كـما يصرف بعضهم همته، وتوكله ودعاءه إلى وجع يمكن مداواتـه بأدنى شئ، أو جوع يمكن زوالـه بنصـف رغيـف، أو نصـف درهم، ويدع صرفه إلى نصرة الدين، وقمع المبتـدعين، وزيـادة الإيمان ، ومصالح المسلمين، وحال النبي صلى الله عليه وسـلم وحال أصحابه محك الأحوال، وميزانها، بها يعلـم صـحيحها،

(١٤٦) تهذيب مدارج السالكين ٢/٥٣٦

من سقيمها، فإن هممهم كانت في التوكل أعلى من همم من بعدهم ، فإن توكلهم كان في فتح بصائر القلوب، وأن يعبد الله في جميع البلاد، وفتحوا بلاد الكفر وجعلوها دار إيمان، وهبت رياح روح نسمات التوكل على قلوب أتباعهم فملأتها يقيناً وإيماناً)[147]

وعند تنزيل كلام الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى على حال المسلمين اليوم نجد أن بعض أهل الإسلام قد ضعف توكله على الله تعالى في نصرة الدين، وإعلاء كلمته، وخدمة الأمة والدفاع عنها، فنسي أو تناسى أن هذا الدين هو دين الله، وأن الناصر هو الله، والمعز هو الله ، وأنه سبحانه وتعالى ناصر دينه لا محالة، وحافظ لكتابه ولا شك، كما أخبر سبحانه وتعالى بقوله ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾[148] ، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي كتب الذل والصغار على كل من خالف دينه وحاد عن صراطه المستقيم، كما قال تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[149]، ولضعف

(١٤٧) تهذيب مدارج السالكين ٢/ ٥٤٧
(١٤٨) سورة غافر آية ٥١
(١٤٩) سورة المجادلة آية ٢٠ ، ٢١

هذا التوكل، نتج اعتماد كبير على الأسباب [150]، مما أدى إلى تدهور في أحوال كثير من المسلمين المعاصرين ـ الذين ينشدون نصر الأمة والنهوض بها ـ وأصبح هناك من ينادي بدعوات مادية بحتة لإصلاح حال الأمة ونسيان التوكل على الله ، بل ظهر في هذا العصر من لا يرى إعزاز الأمة إلا بالقوة والمادة، حتى وصل الأمر ببعض المسلمين، إلى مخالفات صريحة لمبادئ الدين،وفروض الإسلام، في سبيل نصر الأمة!![151]

وهذا لا يعني بلا شك عدم اعتبار الأسباب، و لكن نحن في صدد الحديث عن أثر قوة التوكل على الله، في إحداث السعادة، وأن أكبر ما يجب التوكل فيه على الله تعالى هو ما يتعلق بنصرة دين الله تبارك وتعالى .

وفي القرآن الكريم عناية خاصة بالتوكل تارة بالأمر به، كقوله تعالى ﴿ **وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[152] ، وتارة ببيان كفايته تعالى لمن توكل عليه كقوله تعالى ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[153]، وتارة ببيان حال أوليائه ﴿**رَّبَّنَا عَلَيْكَ**

(١٥٠) انظر مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة مكتبة الشباب المسلم، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ ص٣٧١ .

(١٥١) ذلك مثل النظرة المتطرفة في فهم الجهاد في سبيل الله، مما أدى إلى قتل النفس وقتل المسلمين بعضهم بعضاً بعيداً عن الهدف المقصود من الجهاد وهو منازلة الكفار والمشركين .

(١٥٢) سورة ـ المائدة آية ٢٣ .

(١٥٣) سورة الطلاق آية٣ .

تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[154]، وتارة بمخاطبة رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ** ﴾[155].

والنبي عليه الصلاة والسلام كان يدعو بدعاء المتوكلين فيقول (اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، ولك خاصمت)[156]، بل كان عليه الصلاة والسلام يرغب أصحابه الكرام في التزام التوكل بشكل دائم وذلك بقوله : "من قال - يعني إذا خرج من بيته - بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان "[157]، وقال عليه الصلاة والسلام مبيناً عظمة التوكل على الله (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً)[158].

---

(١٥٤) سورة الممتحنة آية ٤ .

(١٥٥) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(١٥٦) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر باب التعوذ من شر ما علم ومن شر ما لم يعلم برقم ٤٨٩٤ .

(١٥٧) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الدعوات باب ما جاء ما يقول إذا خرج من بيته برقم ٣٣٤٨ . حسن صحيح انظر صحيح الكلم الطيب للألباني برقم ٥٩ .

(١٥٨) أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الزهد باب في التوكل على الله، برقم ٢٢٦٦ صحيح، انظر صحيح الترمذي للألباني برقم ٢٣٤٤ .

وكذلك السعداء من سلف الأمة، كانت حياتهم ترجمة لمعنى التوكل على الله تعالى، يقول سعيد بن جبير رحمه الله (اللهم أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك) وكان يقول التوكل على الله جماع الإيمان [159]. (وقيل لحاتم الأصم : على ما بنيت أمرك في التوكل؟) قال : على خصال أربع :

١ـ علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي .

٢ـ وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به .

٣ـ وعلمت أن الموت يأتي بغتة فأنا أبادره .

٤ـ وعلمت أني لا أخلو من عين الله فأنا مستحيي منه .[160]

إن من يعيش الحياة ـ بمثل هذه القناعات المنبثقة من الإيمان الحق الذي لا يخالطه أدنى شك ـ إنه في نعيم دائم وفي اطمئنان مستقر لا يتزعزع، وإلا فبماذا يضيق صدر الإنسان وتتشتت همومه في أودية الدنيا ويشقى فيها؟ إما بنقص في توكله على الله في رزقه، أو بخلل في عمله وإضاعة له، أو بتسويف في أعمال الآخرة والاسترسال مع شهوات الدنيا، أو بضعف في الإيمان بالله تعالى، وفي مراقبته عز وجل .

---

(١٥٩) نزهة الفضلاء، محمد عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء الطبعة الثانية ١٤١٥هـ . ٣٩٣/١ .

(١٦٠) نزهة الفضلاء ٨٤٨/٢ .

وقد ذكر أهل العلم للتوكل على الله درجات يتفاوت الناس فيها بحسب المتوكل وقوة إيمانه بالله تعالى وعزمه وهمته وينشأ عن ذلك تفاوتهم في نعيم الحياة الدنيا :

١ ـ الدرجة الأولى : معرفة بالرب سبحانه وتعالى وصفاته، من قدرته ، وكفايته ، وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في التوكل .

٢ ـ الدرجة الثانية : إثبات الأسباب والمسببات. فالتوكل من أقوى الأسباب في حصول المتوكل عليه .

٣ ـ الدرجة الثالثة : رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل .

٤ ـ الدرجة الرابعة : اعتماد القلب على الله ، واستناده إليه وسكونه إليه ، وعلامة هذا أن لا يبالي بإقبال الدنيا وإدبارها ، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها ، وإقبال ما يكره ، لأن اعتماده على الله وسكونه إليه، واستناده إليه قد حصنه من خوفها ورجائها .

٥ ـ الدرجة الخامسة : حسن الظن بالله تعالى فعلى قدر حسن الظن بالله ورجائه يكون التوكل عليه، إذ لا يتصور التوكل على من أسأت به الظن، ولا التوكل على من لا ترجوه، ولذلك قال الله عز وجل في الحديث القدسي(أنا عند

ظــن عبـدي بـي) [١٦١] وقال عليه الصـلاة والسـلام قبـل وفاته بثلاث (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بـالله عز وجل)[١٦٢]

٦ ـ الدرجة السادسة : استسلام القلب لـه، وانجذاب دواعيه كلها إليه ،و قطع منازعاته.

٧ـ الدرجة السابعة : التفويض، وهو روح التوكل وحقيقتـه، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختيـارا، لا كرهاً واضطراراً ، فيعلم المفوض أن الله تعالى يقضي له مـا هو خير له في معاشه ومعاده، وإن كان المقضي له خلاف ما يظنه خيراً فهو راض به،لأنه يعلم أنه خير له، وإن خفيـت عليه جهة المصلحة فيه[١٦٣]

ومن ذلك مشـروعية الاسـتخارة، فالمسـتخير يتوكـل على الله عز وجل في تبيين الخير من الشر والنـافع مـن الضـار، ويسلم له في ذلك كله[١٦٤] .

(١٦١) مسلم بشرح النووي برقم ٤٨٣٢

(١٦٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الجنة ونعيمها باب الأمر بحسن الظن بالله عند الموت، برقم ٥١٢٥

(١٦٣) انظر تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٥٣٨ مرجع سابق

(١٦٤) العبادات القلبية عقيل موسى ص٨٨ .

ثانياً : الإخلاص :

أ - معنى الإخلاص :

لغـة :

خلص الشـيء يخلص خلوصـاً، وخلاصـاً، إذا كـان قـد نشب، ثم نجا وسلم، والمخلص الذي وحد الله تعـالى خالصـاً والمخلص الذي أخلصه الله، جعله مختاراً خالصاً من الـدنس، وكلمة الإخلاص كلمة التوحيد، والإخلاص في الطاعة تـرك الرياء [١٦٥]

واصطلاحا :

١) استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن .

٢) ألا تطلب على عملك شاهداً غير الله .

٣) تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين .[١٦٦]

والإخلاص مـن الأعـمال الباطنـة التـي لا يعلمهـا ملـك فيكتبها ولا شيطان فيفسدها[١٦٧]، ففي الحديث النبوي عنه عليـه الصلاة والسلام (يؤتى يوم القيامة بصحف مختمة، فتنصب بين يدي الله تعالى، فيقول تبارك وتعالى، ألقـوا هـذه واقبلـوا هـذه،

---

(١٦٥) لسان العرب لابن منظور، ٢٦/٧

(١٦٦) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ٥١٥/١

(١٦٧) المصدر السابق ٥١٥/١

فتقول الملائكة وعزتك وجلالك ما رأينا إلا خيراً ، فيقول الله عز وجل إن هذا كان لغير وجهي)(١٦٨) .

والله تبارك وتعالى قد أمر عباده بالإخلاص وبين لهم شأن المخلصين ، فقال تعالى: ﴿ **فَاعْبُدِ الله مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ أَلَا لله الدِّينُ الْخَالِصُ** ﴾(١٦٩) ، وقال أيضاً ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾(١٧٠)، وقال أيضاً ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾(١٧١).

ب ـ أثر الإخلاص في سعادة المسلم :

الإخلاص له أثر عظيم في طمأنينة الإنسان ، ونعيمه ، وراحة نفسه ، ذلك أن المخلص يشعر بلذة التعبد لله رب العالمين، وهو يؤدي العمل، مهما كان شاقاً، لأنه ينوي بذلك خدمة سيده، ومن لا يسعد ولا ينعم وهو يستحضر أنه يقوم بخدمة من يحبه، ويأمل في القرب منه؟

إن المخلصين دائماً في سعادة ، ويشهد لذلك أن ما يحصل من تأثر لأحوال القلوب من الخوف والخشية، والإنابة، لا يمكن

---

(١٦٨) الترغيب والترهيب للمنذري برقم ٥٧ ، المكتبة التجارية الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ ١/٥٣.

(١٦٩) سورة الزمر آية ٢ ـ ٣ .

(١٧٠) سورة الكهف ١١٠ .

(١٧١) سورة البينة آية ٥ .

أن تتم تلك الأحوال لغير المخلصين.[172] وأيضاً فإن الإخلاص (يمد العامل بقوة الاستمرار، فإن الذي يعمل للناس، أو لشهوة البطن أو الفرج يكف إذا لم يجد ما يشبع شهوته ، والذي يعمل أملاً في شهرة أو منصب يتراخى ويتثاقل إذا لاح له أمله بعيد المنال، والذي يعمل لوجه الرئيس أو الأمير ينقطع أو يتوانى إذا عزل الرئيس أو مات الأمير، أما الذي يعمل لله فلا ينقطع ولا ينثني ولا يسترخي أبداً، لأن الذي يعمل له لا يغيب ولا يزول، فوجه الله باق إذا غابت وجوه البشر .... ، ولهذا قال الصالحون : ما كان لله دام واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل، وهذا ما صدقه الواقع ورأيناه ولمسناه ، ولا زلنا نراه ونلمسه في كل زمان ومكان)[173] .

والذي يعمل بدون إخلاص لله تبارك، كادح متعب نفسه فيما لا طائل من ورائه، ولا أجر له فيه، بل قد يكون عليه نقمة يوم القيامة، كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا** ﴾[174].

---

(١٧٢) انظر مختصر منهاج القاصدين ، لابن قدامة ص٤١٣

(١٧٣) النية والإخلاص د القرضاوي نشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. ص١٠٣، ١٠٤

(١٧٤) سورة الفرقان آية ٢٣

ومن الناس الذين كان عملهم صواباً ظاهراً لم يكن مقصوداً به وجه الله تبارك وتعالى، اعتراهم القلق والاكتئاب، والهموم والغموم، نظراً لعدم حصولهم على ما كانوا يؤملونه ممن كان العمل لهم ومن أجلهم، حتى يؤدي الحال ببعضهم إلى ترك العمل الصواب الذي كان يعمله كلية. وأيضاً وهم متلبسون بالعمل وغارقون فيه لم يجدوا المتعة واللذة لأنها لم تكن مقصودة أصلاً، وإنما كان المقصود هو الوصول إلى رضا المخلوقين أو الحصول على شهوة زائلة، بينما حال المخلصين أنهم وهم في عملهم يشعر أحدهم بالمتعة والنعمة وهو يؤدي عمله خالصاً لله رب العالمين، ولهذا السبب نجد أن الذين يعاملون الله تعالى ويخلصون له العمل أكثر اطمئناناً وأكثر ثباتاً في الأزمات ، بل وأكثر هدوءاً واستقرارا في جميع الأحوال.

ج ـ حاجة المسلم المعاصر للإخلاص :

المسلم المعاصر الذي يعايش أحداث هذا العصر، وماديته، وتقلباته، هو أشد حاجة لتمثل الإخلاص في حياته، لأن جل ما يحيط به إنما هو شهوات مادية، وأكثر اهتمامات الناس المعاصرين تتركز على النماذج المادية، حتى أصبح عند بعض من يتصدى للعلم والدعوة في هذا العصر، تركيزاً بيناً على نتائج العمل المحسوسة، وهذا مما يضعف جانب

الإخلاص عند المسلم ـ إن لم يتدارك ـ لأن الذي يعمل العمل الديني وهو ينوي نتيجة محددة (هدفاً) فإنه يستغرق وقتـه في العمل للحصول على هذا الهدف ، والوصول إلى تلك النتيجة، الأمر الذي قد يجعل ذلك مقصـوداً مـن دون الله، أو مقصـوداً مع الله ، ومن هنا يضعف الإخـلاص بـل قـد يتلاشـى تمامـاً، ولهذا بدأت تظهر على السطح ـ في وسط الصحوة الإسلامية ـ مظاهر ضعف الالتزام ممن يكثر العمل ، وبـدأت تظهـر أيضـاً حـالات الانتكاسـة بشـتى صـورها وأشـكالها وبـدأ يظهـر الانحراف بجميع مجالاته ومختلـف صـوره، هـذا مـع وجـود العمل الصواب وظهوره، مما يشير إلى فقدان روح العمل ولبـه وهو الإخلاص لله تبارك وتعالى .[١٧٥]

وهذا الأمر هو نتاج للمعاصرة المادية وتقبلها والتأثر بهـا، حتى على مستوى التشجيع والمكافأة فإن ما يظهر هو مزيد من إضعاف جانب الإخـلاص و(يمثـل الحـافز (المـادي) أعـلى درجـات التشـجيع، وأعظـم المحفـزات في الغـرب، لإقنـاع العاملين في تحسين أدائهم،وهذه الحوافز قد تتفاوت ،فيما بينهـا

(١٧٥) انظر آفات على الطريق السيد محمد نوح دار اليقين، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١/١٨٧ ، وانظر أيضاً ، أصول التربية الإسلامية ، النحلاوي، دار الفكر، بيروت، طبعة عام ١٤١٧هـ . ص١٧٢

في القدر، إلا أن القاسم المشترك الذي ينتظمها جميعاً هو : تحقيقها لمبدأ العوض أو المقابل المادي لكل جهد مادي مبذول.
ويشمل ذلك الإغراء بالمال أو بكل ما يدور في فلكه من صور المكافآت المتعددة، كما يشمل المنصب، والترقية إلى درجة أعلى في السلم الوظيفي، ولربما اختلط هذا المفهوم للحوافز في أذهان البعض مع مفهوم الحوافز والتشجيع في التربية الإسلامية ، لكن ما بينهما من الفرق كما بين السماء والأرض، بالنظر إلى محتوى العمل القلبي الذي تحرص على تثبيته التربية الإسلامية ، والذي يمثل (الإخلاص) أعلى ركائزه، والصدق والمراقبة أعظم أركانه وأقطابه . وإلا فكيف تكون كلمة مجردة مثل : "جزاك الله خيرا" أو "بارك الله في جهودك" أو " وفقك الله" ـ عندما تقال بصدق ويتلقاها العامل بصدق أيضاً ـ وساماً غالياُ يتمنى العامل المسلم أو الطالب المسلم أو الداعية المسلم الحصول عليه، بل يعده أغلى من كل مال، وأثمن من كل ترقية؟ إن الوصول لهذه الغاية العظيمة لن يكون إلا بتربية عظيمة .. وعظيمة جداً يعدل فيها أثر هذه الكلمة التي لا يأبه لها المادي مثاقيل الدنيا وبهارجها، وتلك هي الهداية الحقيقية،

وذلك هو النجاح بكل معاني النجاح وأشكاله[176]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[177].

ثالثًا : **الرجاء** :

أ ـ معنى الرجاء :

لغة : الأمل[178]

اصطلاحا :

١ ـ تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل .[179]

٢ ـ الرجاء هو حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب وهو الله والدار الآخرة.

٢ ـ الرجاء هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

٣ـ الرجاء هو الثقة بجود الرب تعالى .

---

(١٧٦) تربية العظماء ، جمال الحوشبي، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ . ص١٤٢،

(١٧٧) سورة يونس آية ١٠.

(١٧٨) التعريفات للجرجاني، ص١٤٦

(١٧٩) المصدر نفسه ص١٤٦

والفرق بينه وبين التمني أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد . والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل.(١٨٠)

والرجاء من أجل المنازل، وأعلاها وأشرفها وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله، وقد مدح الله أهله، وأثنى عليهم(١٨١) : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾ (١٨٢)

وأخبر الله تعالى في كتابه عن عباده الذين كان المشركون يتقربون بهم الى الله، أنهم كانوا راجين لله تعالى خائفين منه كما قال تعالى : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾(١٨٣)

والمسلم دائماً وأبداً هو محتاج إلى الرجاء فهو دائر بين ذنب يرجو غفرانه، وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها، وقرب من الله

---

(١٨٠) إحياء علوم الدين ٤/ ٤١١

(١٨١) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم١/ ٤٧٥

(١٨٢) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(١٨٣) سورة الإسراء آية٥٧ .

ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها[184]. فحال الرجاء يورث طول المجاهـدة بـالأعمال والمواظبـة عـلى الطاعـات كـيفما تقلبـت الأحوال .

(ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبـال عـلى الله تعـالى والتـنعم بمناجاته والتلطف في التملق له فإن هـذه الأحـوال لابـد وأن تظهر على كـل مـن يرجـو ملكـاً مـن الملـوك أو شخصـاً مـن الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى) .[185]

وهناك معاني للرجاء ومرادفات له عند البحث والتأمل نجد أنها تعطي المسلم المعاصر تأكيداً على ضرورة استصحاب هذه المعاني القلبية ، ومن ذلك الأمل والتفاؤل.

١ ـ الأمل :

الأمل هو الرجاء ، وهو ظن حصول ما فيه مسرة [186] .

فالأمل هو توقع حصول أسباب المسرات ومنها السعادة، فإن هذا التوقع أو الظن قد يحيا في نفس الإنسان وقد يمـوت، على حساب ما يلاقيه في حياته من مبشـرات بحصول مظنونـه أو غير ذلك ، ولا يحيـا الأمـل في الإنسـان إلا بـروح تبعثـه في

---

(١٨٤) العبادات القلبية ص١٦١ مرجع سابق .

(١٨٥) موعظـة المـؤمنين مـن إحيـاء علـوم الـدين ، للقـاسمي ، ، دار الكتـب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ . ص٢٩٠

(١٨٦) المفردات للراغب الأصفهاني مادة (رجا) ٢/ ١٩٠

نفسه، كما لا يحيا الجسد إلا بالروح تدب في أركانه ، وروح الأمل هي التي تجعله حياً في النفس بالأسباب التي تبقي هذا الأمل حياً كالمبشرات التي تسره وتدفعه دائماً إلى الحركة والعمل، كما أنها تدفع عن نفس صاحبها كل الأسباب التي تميت الأمل في النفس، كالمتغيرات التي تدفعه إلى اليأس والقنوط .[١٨٧]

ويذكر الغزالي رحمه الله : (أن كل ما يلقاه الإنسان في حياته من محبوب أو مكروه إما أن يكون قد حدث له في الماضي أو يحدث له الآن أو ينتظر حدوثه في المستقبل، فإذا خطر بباله ما حدث له في الماضي سمي ذلك ذكراً وتذكراً، وإذا خطر بباله ما يحدث له في الحال سمي ذلك وجداً ، وإذا كان ما خطر بباله يحدث في المستقبل سمي ذلك انتظاراً وتوقعاً) .

فإن كان ما ينتظره الإنسان في المستقبل مكروهاً سمي خوفاً وإشفاقاً ، وإن كان ما ينتظره محبوباً له وتعلق قلبه به سمي رجاء، فالرجاء إذن هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده .[١٨٨]

---

(١٨٧) انظر منهاج القاصدين ص٣٣١

(١٨٨) إحياء علوم الدين : ١٤٩/٤، ١٥٠

والأمل هو انشراح النفس في وقت الضيق والأزمات، بحيث ينتظر المرء الفرج واليسر لما أصابه ، وهو بهذا المعنى الإيجابي يدفع الإنسان إلى إنجاز ما فشل في إنجازه من قبل، ولا يمل حتى ينجح في تحقيقه .(١٨٩)

والأمل المحمود المقصود هنا هو الأمل في تحصيل الخير والنفع كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ** ﴾(١٩٠) وليس هو الأمل المذموم الذي خافه رسول الله على أمته وبين خطورته بقوله (لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل)(١٩١) والأمل مذموم في نظر الشارع إذا تعلقت النفس الأمارة بالسوء بالدنيا واستجابت لوسوسة الشيطان .

وللأمل أثر كبير في إسعاد المسلم فإن من مصادر الأمن والنعيم والسكينة لدى المؤمن ما يغمر جوانحه من أمل، ذلك الشعاع الذي يلوح للإنسان في ظلمات الحياة فيضيئها له، وينير له المعالم ويهديه السبيل، ذلك هو الأمل الذي به تنمو شجرة

---

(١٨٩) الأمل طبيعته، أثاره، الطرق الموصلة إليه، رضا سعد المصري، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ص ١١

(١٩٠) سورة فاطر آية ٢٩

(١٩١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقائق باب من بلغ ستين سنة فقد أعذره الله برقم ٥٩٤١

الحياة، ويرتفع صرح العمران، ويذوق طعم السعادة، ويحس ببهجة الحياة ، فالأمل يدفع الإنسان دائماً إلى العمل، وهو ضروري جداً في الحياة لتقدمها في كل المجالات ، وهو طاقة يودعها الله في قلوب البشر لتحثهم على تعمير الكون، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل)[١٩٢].

ويظهر أثر الأمل أيضاً في النقاط التالية:[١٩٣]

١ ـ المسلم دائماً معتصم بالله سبحانه وتعالى ويعيش على أمل لا حد له، فهو يأمل الخير دائماً وأبداً وينظر إلى الحياة بوجه ضاحك ، ويتقبل أحداثها بثغر باسم لا بوجه عبوس.

٢ ـ إذا اعتراه ألم أو مرض لم ينقطع أمله في العافية، فهو يتذكر قول الله تعالى:﴿**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[١٩٤] .

٣ ـ إذا اقترف ذنباً لم ييأس من المغفرة، ومهما يكن ذنبه عظيماً فإن عفو الله أعظم كما قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ**

---

(١٩٢) رواه أحمد برقم ١٢٥١٢ والحديث صحيح، انظر الصحيح المسند للاوزاعي برقم ٣٤

(١٩٣) الأمل طبيعته وآثاره مرجع سابق ص١٢

(١٩٤) سورة الشعراء آية ٧٨ ـ ٨٠

أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١٩٥)

٤ ـ إذا انتابه عسر أو كارثة انتظر اليسر وأمله لأنه يعلم أن ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ (١٩٦)، ورجا الله أن يأجره في مصيبته وأن يخلفه خيراً منها، كما قال الله تعالى ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾(١٩٧).

٥ ـ وإذا رأى الباطل يقوم في غفلة أهل الحق أيقن أن الباطل إلى زوال ، وأن الحق إلى ظهور وانتصار، كما قال الله تعالى ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾(١٩٨)

٦ ـ وإذا دعا إلى الله وجاهد في سبيله كان واثقاً من نصر الله له، فالله عز وجل ينصر عباده المؤمنين ،﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾(١٩٩)

---

(١٩٥) سورة الزمر آية ٥٣ .

(١٩٦) سورة الشرح آية ٥ ، ٦

(١٩٧) سورة البقرة آية ١٥٦ ، ١٥٧

(١٩٨) سورة الأنبياء آية١٨

(١٩٩) سورة غافر آية ٥١،٥٢

٧ ـ وإذا بلغ به الكبر عتياً وأدركته الشيخوخة أخذ يرجو ويأمل حياة أخرى فيها شباب بلا هرم ، وحياة بلا موت ، وسعادة بل شقاء في ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[200].

٢ ـ التفاؤل:

التفاؤل من الفأل الحسن وهو مشروع، وكان من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام أنه كان يعجبه الفأل، وللتفاؤل في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام صور كثيرة ، منها في سفر الهجرة عندما لقي رجلاً فقال:(ما اسمك؟ قال يزيد، قال يا أبا بكر يزيد أمرنا)[201]

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أحاديث عدة في التفاؤل منها:

١ ـ حديث أبي هريرة، قال : سمعت رسول الله يقول لا طيرة وخيره الفأل، قال: الكلمة الطيبة يسمعها أحدكم)[202].

---

(٢٠٠) سورة مريم آية ٦١، ٦٢

(٢٠١) مجموع الفتاوى ٦٧/٢٣ نقلاً عن كتاب التوكل على الله وعلاقته بالأسباب ،ص٢٤٤ مرجع سابق

(٢٠٢) رواه البخاري في الطب باب الفأل (الفتح ٢٢٤/١٠)

٢ ـ حديث أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا وما الفأل، قال الكلمة الطيبة)[٢٠٣].

وفيما يلي أذكر بعض الفروق بين الفأل والطيرة عند بعض أهل العلم :

١ ـ ما ذكره الخطابي أن :(مصدر الفأل عن نطق وبيان، فكأنه خبر جاء عن غيب، خلاف غيره فإنه مستند إلى حركة طائر أو نطقه، وليس فيه بيان أصلاً، وإنما تكلف ممن تعاطاه)[٢٠٤].

٢ ـ قال ابن سعدي رحمه الله : (والفرق بينهما أن الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان، ولا بعقله ، وليس فيه تعليق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة والنشاط والسرور وتقوية النفوس النافعة ....) قال (وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة، ثم يرى في تلك الحال ما يسره، أو يسمع كلاماً يسره: مثل يا راشد أو يا سالم أو غانم، فيتفاءل، ويزداد طمعه

---

(٢٠٣) رواه البخاري في الطب باب الفأل (الفتح ٢٢٤/١٠)

(٢٠٤) فتح الباري (٢٢٥/١٠) دار الريان الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه فهـذا كلـه خـير وآثـاره خير، وليس فيه من المحاذير شيء)[٢٠٥]

٣ ـ يقول ابن القيم رحمه الله تعالى (... فـأين هـذا مـن الفـأل الصالح السار للقلوب المؤيد للآمال ، الفاتح بـاب الرجـاء المسكن للخوف الرابط للجأش الباعث على الاستعانة بـالله والتوكل عليه والاستبشار المقوي لأمله، السار لنفسه، فهـذا ضد الطيرة فالفأل يفضـي بصـاحبه إلى التوحيـد، والطـيرة تفضـي بصاحبها إلى المعصـية والشــرك ، فلهـذا اسـتحب النبي صلى الله عليه وسلم الفأل وأبطل الطيرة)[٢٠٦]

وأما ضابط الفرق بينهما فهـو (أن الفـأل مـن شرطـه ألا يقصده المتفائل فإن قصده كان من الطيرة المنهي عنهـا، وأن لا يحمله على العمل بموجبه، فإن عمل به فإنه يعتبر مـن الطـيرة الشركية، وذلك لأن القلب في مثل هذه الحالة لـه اعـتماد عـلى غير الله ـ وهو الفأل ـ وهذا شرك)[٢٠٧].

---

(٢٠٥) القول السديد في مقاصد التوحيد ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي، ط. ١٤١١هـ، مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة، ص٣١ نقلاً عن كتاب التوكل على الله وعلاقته بالأسباب للدميجي .

(٢٠٦) مفتاح دار السعادة ص ٦٠٢ ، مرجع سابق .

(٢٠٧) التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب ص ٢٤٩ مرجع سابق .

وعند تطبيق الأمل و الفأل الحسن كواقع في حياتنا المعاصرة، نجد أن المسلم المتفائل يصبح إنساناً مبدعاً، متوازناً في شخصيته، متكاملاً فيها، يمشي على الأرض ويتطلع إلى السماء، يعايش الواقع ويرنو للمثال، يعمل في الدنيا ولا ينسى الآخرة، يجمع المال ولا ينسى الحساب، يتعامل مع الخلق ولا ينسى الخالق، يعتز بماضيه ولا ينسى حاضره ومستقبله، مطمئن القلب راضي النفس، متفائل الروح ، لا ييأس وإن سدت في وجهه الأبواب، وتقطعت دونه الأسباب، ويشعر دائماً بالإكرام ، وأن الله قد جعله خليفة في الأرض، وهو يمشي في مناكبها ويأكل من رزق الله زارعاً أو صانعاً أو تاجراً أو مشتغلاً بأي عمل حلال ، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً، فالمسلم الذي اتصف بهذه الصفات ، وتشبع بروح التفاؤل يرى نصر الله وفرجه ويحسه ويشعر به ، بخلاف المتشائم اليائس، فإنه لا يرى أمامه إلا الهزيمة والخسران .

وعندما (يلتفت الإنسان حوله في هذه الأيام فلا يجد إلا نفوساً أرهقتها الأزمات النفسية، وقلوباً خيم عليها ظلام اليأس والشك والقلق، وإذا ما تلبدت نفس الإنسان بالغيوم السوداء ، وأسلمت قيادها للظلام يلفها ويأخذ بتلابيبها

فقدت الشعور بمعنويات الحياة، وبفضائل الحياة وبالبواعث على الحياة ، إن اليأس السريع هذا هو طابع شباب العصر، وهو عدوهم اللدود الذي يقطع عليهم الطريق قبل أن يقطعوه هم ولا علاج لليأس سوى العمل المتواصل الذي يمنح الإنسان الثقة والنجاح)[٢٠٨].

ومن خلال تأمل النصوص الشرعية، وسير المتفائلين وخبراتهم وتجاربهم نستطيع أن نتوصل إلى خطوات مهمة لإذكاء روح التفاؤل عند المسلم[٢٠٩] المعاصر وهي كما يأتي :

١ـ مصاحبة أهل الخير والصلاح المتفائلين ، لما للمصاحبة من أثر بالغ في التأثير على الإنسان بانتقال الصفات من شخص لآخر فالذي يحرص على أن ينتقي من الأصحاب من يغلب على حاله التفاؤل دائماً فسوف يجد ثمرة ذلك بإذن الله .

٢ـ النظر في جميع الأمور إلى ما فيها من حسن وجمال وخير، والتركيز عليه وإبرازه بصورة تعين المسلم على الاستمرار ومواصلة السير إلى الله تعالى بروح عالية .

٣ ـ المحافظة على التوازن والتكامل بين متطلبات الروح والجسد فلا يطغى منه جانب على آخر فإن ما طغى غلب .

---

(٢٠٨) الأمل طبيعته وأثره والطريق الموصل إليه ص٥٢، ٥٣ مرجع سابق .

(٢٠٩) انظر الإسلام ومستقبل البشرية، عبد الله عزام، مكتبة الجيل الجديد صنعاء ١٤١٠ هـ ص٥٤ .

٤ ـ الاستفادة من الحوادث والمصائب التي تمر على المسلم فيما يعينه على تقوية إيمانه وترسيخ عقيدته، كما قال عليه الصلاة والسلام (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[٢١٠]

٥ ـ الابتعاد عن الأفكار والمشاعر السلبية، التي تعيق عن الإقدام على العمل الصالح ، مثل القلق والخوف من الفشل .[٢١١]

٦ ـ التخطيط ووضوح الرؤية والأهداف ، التي يسعى المسلم لتحقيقها والتي يجب أن تكون مرتبطة بالهدف العظيم الذي يحقق نعيم الآخرة والرسالة العامة للمسلم والتي هي تحقيق العبودية لرب العالمين .[٢١٢] ومرتبطة أيضاً بالرسالة الشخصية له ، التي تبين الدور الذي يستطيع القيام به في هذه الحياة ويتوجه من خلالها لتحقيق كل ما يصبو إليه بعون الله ومشيئته وتوفيقه[٢١٣].

٧ ـ علو الهمة والطموح والنظر إلى الأمام دائماً يعد حافزاً مهماً من حوافز التفاؤل والإيجابية.

---

(٢١٠) رواه مسلم في الزهد والرقائق رقم ٢٩٩٩ .

(٢١١) كن شجاعاً ، دورة للدكتور صلاح الراشد ، مركز الراشد للاستشارات الاجتماعية والنفسية .

(٢١٢) العادات العشر للشخصية الناجحة للقعيد ص٩١ ، مرجع سابق

(٢١٣) حتى لا تكون كلا ، د. عوض القرني ص٣٧

٨ ـ عدم الاستسلام للأزمات النفسية التي يتعرض لها المسلم في طريق عمله الصالح، والتي هي في كثير من الأحيان، تعد وسيلة لليأس، يتسلط بها الشيطان على المسلم لصده عن سبيل الله و مواصلة السير إلى حيث النعيم الأبدي[٢١٤].

٩ ـ حب العمل والاستمتاع به، والقناعة به، وذلك بأن يتوافق مع الرسالة العامة في الدنيا وهي عبادة الله عز وجل .والرسالة الخاصة بأمة محمد عليه الصلاة والسلام وهي الشهادة على الناس وتبليغ دين الله تعالى للعالمين. والرسالة الخاصة بالمسلم

١٠ ـ تقبل النقد البناء، والمراجعة والمحاسبة بين الحين والآخر ، تساهم في اصطحاب التفاؤل، واستمرار يته حتى إنجاز الأعمال .

١١ ـ استحضار بعض المعاني ، الإيمانية المتعلقة بالمستقبل مثل حسن الظن بالله، و الإيمان بالقضاء والقدر، وأن كل شيء تحت مشيئة الله ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه وتعالى ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[٢١٥] وكما قال أيضاً : ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء الله إِنَّ الله كَانَ عَلِيمًا**

---

(٢١٤) كن متفائلاً ، دورة للدكتور صلاح الراشد ، (مركز الراشد للاستشارات النفسية) إنتاج مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع

(٢١٥) سورة القمر آية ٤٩

حَكِيمًا﴾[216] ، و كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام قوله (إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)[217] .

رابعًا / المحبة :

أ ـ معنى المحبة :

الحب في اللغة : نقيض البغض . والحب الود والمحبة[218] .

وفي الاصطلاح : هو ميل الطبع إلى الشيء الملذ ،[219]

وذكر الراغب الأصفهاني للمحبة ثلاثة أنواع :[220]

١ ـ محبة للذة كمحبة الرجل المرأة ومنه قوله تعالى ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ** ﴾[221]

٢ ـ محبة للنفع ، كمحبة شيء ينتفع به ، ومنه قوله تعالى : ﴿**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**﴾[222]

---

(٢١٦) سورة الإنسان آية ٣٠

(٢١٧) رواه مسلم في صحيحه كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام برقم ٤٧٩٧.

(٢١٨) لسان العرب لابن منظور ٢٨٩/١ .

(٢١٩) إحياء علوم الدين للغزالي ١٨٣/٥

(٢٢٠) مفردات ألفاظ القرآن ص٢١٤

(٢٢١) سورة آل عمران ١٤

(٢٢٢) سورة الصف ١٣

٣ ـ محبة للفضل، كمحبة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم .

وقد أشار القرآن الكريم إلى أعظم أنواع المحبة وأعلاها وهي حب الله للعبد وحب العبد لله في قوله تعالى ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾[٢٢٣] . وإلى محبة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[٢٢٤]، وأشار كذلك إلى المحبة بين الإخوة في الله وخاصة المهاجرين والأنصار بقوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ**﴾[٢٢٥].

ب ـ المحبة الموصلة إلى النعيم :

والمحبة المقصودة التي توصل إلى نعيم الدنيا ونعيم الآخرة إنما هي محبة الله تعالى ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام، وهي (من أعظم واجبات الإيمان وأكبر أصوله، وأجل قواعده، بل أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة ، إما عن محبة محمودة، أو محبة

---

(٢٢٣) سورة المائدة ٥٤

(٢٢٤) سورة آل عمران ٣١

(٢٢٥) سورة الحشر آية ٩

مذمومة . فجميع الأعمال الإيمانية والدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى، إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون صالحاً بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله ، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه)[٢٢٦].

ج ـ أثر المحبة في حياة المسلم المعاصر :

لا شك أن للمحبة آثاراً عديدة ومهمة يشخصها ابن القيم بقوله:(هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم، وآلام، وهي روح الأعمال، والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبداً واصليها، وتبوئهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على

---

(٢٢٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٤٨، ٤٩)

ظهورها دائماً إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة . إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله ــ يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ــ أن المرء مع من أحب)[٢٢٧].

ونظراً لما للحب والمحبة من أثر على العواطف والغرائز فقد دأب كثير من أهل هذا العصر على تكريس جل جهودهم في إبراز الحب على صورة شهوانية غريزية، استبدل فيها الحب الحقيقي بالحب الغريزي الذي يتساوى فيه الإنسان مع الحيوانات الأخرى من الدواب، وغيرها، وبذلك تعج وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وتظهر للناس الحب بتلك الصورة الشهوانية البحتة، والتي هي بعيدة كل البعد عن معنى السعادة الحقيقي، ويشهد لذلك ما يشاهد من ضياع الشباب والفتيات، وتحلل كثير من الأسر والبيوت، نتيجة الانسياق وراء هذا السراب الخادع، والدعاوى المضللة .

---

(٢٢٧) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ٢/ ٨٠٧

خامساً / الرضا :

أ ـ معنى الرضا:

الرضا لغة : رضي عنه، وعليه، رضاً ورضواناً، ضد سخط،[228] فالرضا هو نقيض السخط.

اصطلاحاً : سرور القلب بمر القضاء[229]

الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل[230]

قال عليه الصلاة السلام (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً)[231].

ومعنى رضيت بالشئ قنعت به واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره ، فالمؤمن الراضي لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسع في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، ولا شك أن من كانت هذه صفته ، فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه ، وذاق طعمه، وصح إيمانه، واطمأنت نفسه، وخامر باطنه، لأن رضاه ذلك دليل لثبوت معرفته ، ونفاذ بصيرته ، ومخالطة بشاشة قلبه ، لأن من رضي

(٢٢٨) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، دار الفكر للطباعة والنشر طبعة ١٤١٥ ص١١٦٠

(٢٢٩) التعريفات للجرجاني ، ص١٤٨

(٢٣٠) تهذيب مدارج السالكين ٥٧٥/٢

(٢٣١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، برقم ٤٩

أمراً سهل عليه ،فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهلت عليه طاعة الله تعالى ولذت له، فحصل له من السعادة والنعيم ما يصبو إليه ويبتغيه .[٢٣٢]

ب ـ أثر الرضا في حياة المسلم المعاصر :

للرضا ثمرات إيمانية كثيرة وافرة تنتج عنه، يرتفع بها الراضي إلى أعلى المنازل وتتحقق له السعادة المنشودة ومن ذلك ما يلي :

١ ـ أن تمام العبودية هي في جريان ما يكرهه العبد من الأحكام عليه، ولو لم يجر منها عليه إلا ما يحب، لكان العبد أبعد شيء عن العبودية، فلا تتم له عبوديته من الصبر، والتوكل، والرضا، والتضرع، والافتقار، والذل، والخضوع، وغيرها، إلا بجريان القدر له بما يكرهه . وليس الشأن في الرضا بالقضاء الملائم للطبيعة ، إنما الشأن في القضاء المؤلم المنافر للطبع .

٢ ـ أن رضا العبد عن الله في جميع الحالات يثمر رضا ربه عنه، فإذا رضي عنه بالقليل من الرزق، رضي عنه ربه بالقليل

(٢٣٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي دار المعرفة ، بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ . ١٩٣/٢

من العمل، وإذا رضي عنه في جميع الحالات واستوت عنده، وجده أسرع شئ إلى رضاه إذا ترضاه وتملقه .

٣ ـ أن الرضا يخلص العبد من الهم والغم، والحزن، وشتات القلب، وكسف البال، وسوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة، فالرضا يوجب له الطمأنينة، وبرد القلب، وسكونه وقراره، والسخط يوجب اضطراب القلب وريبته وانزعاجه وعدم قراره .[٢٣٣]

٤ـ الرضا ينزل على قلب العبد السكينة التي لا أنفع له منها، ومتى نزلت السكينة، استقام وصلحت أحواله، وصلح باله ، والسخط يبعده عنها بحسب قلته وكثرته، وإذا ترحلت عنه السكينة ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة ، وطيب العيش ، فمن أعظم نعم الله على عبده تنزل السكينة عليه ومن أعظم أسبابها : الرضا عنه في جميع الحالات .

٥ـ من ملأ قلبه بالرضا بالقدر ملأ الله صدره غنى وأمناً، وقناعة، وفرغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه،

---

(٢٣٣) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامه ص٣٩٦

ومن فاته حظه من الرضا، امتلأ قلبه بضد ذلك ، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه .[234]

٦ ـ أن رضا الله عن العبد ـ والذي هو ناشئ عن رضا العبد عن الله ـ أكبر من الجنة وما فيها، لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه، كما قال تعالى ﴿**وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ**﴾ بعد قوله تعالى ﴿ **وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[235]، ولهذا جاء في حديث أهل الجنة (أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً)[236].

٧ـ الرضا يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور وطيب النفس، وسكونها في كل حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا .[237]

والمسلم في هذه الحياة معرض للمصائب، باختلاف ألوانها وأشكالها، وهو يعيش في زمن ملئ بالفتن، والابتلاءات، فتن في الأموال، وفتن في الأولاد، وفتن في حوادث

---

(٢٣٤) تهذيب مدارج السالكين ٢/٥٧٥ مرجع سابق .

(٢٣٥) سورة التوبة آية ٧٢

(٢٣٦) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري حديث رقم ٦٩٦٤.

(٢٣٧) انظر تهذيب مدارج السالكين ٢/ ٥٧٦ مرجع سابق .

الزمـان، ومـا يعـترض المسـلم المعـاصر مـن فـتن حاليـة يعيشها، من فتنة تسلط الكافر، واستبداده وظلمـه، وفتنـة من ضـعف المسـلم، وتـأخره وعجـزه، وفتنـة مـن تفـرق واختلاف لأهل الإسلام بله أهل الدعوة إلى الإسـلام، إن ذلك كله يلزم معه الرضـا بالقضـاء، والتسـليم لأمـر الله، وعدم السخط، من قدر الله، لأن حكم الله تعالى، ماض في عباده ، وقضاءه عدل فيهم، ومن لم يرض بالعدل فهو مـن أهل الجور والظلم . وليس معنى الرضا عند الفتن قبولها، وعدم البعد عنها، ولا عند تسلط الكفـار عـلى المسـلمين، القعود عن نصـرتهم، والعمل على ما يجب تجاههم ، ولكن ذلك يعني التسليم لله تعالى في ما قدر والصبر عـلى الـبلاء والمصائب التي حلت بالمسلم في حياته ونزلت بـه ، لمـا في ذلك الرضا من عبودية جليلة لله تبارك وتعالى مـن شـأنها أن تجعل المسلم يحيى في طمأنينة وسكينة ونعيم حتى وهو في مواقع ما يكره من القضاء .

الخلاصة :

يظهر من خلال ما سبق أن هذا السبب العظيم (الإيمان)، وما ورد من ذكر بعض مظاهره التي يجب على المسلم مريد السعادة أن يتحلى بها وأن يتنزل في منازلها، يظهر أنه يحدث عند المسلم الارتياح النفسي المنشود، والذي يؤدي إلى توافق الروح مع قيم المسلم ومبادئه التي يحملها، ويسير في هذه الحياة وفقها ، حيث إن توكل المسلم على الله، وإخلاصه العمل له ، ورجاءه فيما يستقبل من أمره، ومحبته الخالصة لله تعالى، ورضاه عن الله تعالى ، هذه المظاهر جميعها، تتسبب في حياة سعيدة للمسلم، وعيشة هنيئة له، ونعيم قلبي دنيوي، يوصله بإذن الله تعالى، إلى حيث النعيم الأخروي المنشود .

المبحث الثاني

العمل الصالح

العمل الصالح هو الركيزة الثانية من ركائز السعادة ،[238] وهو الثمرة الطبيعية للإيمان ، وهو الحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب، فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة، ما إن تستقر في الضمير ، حتى تسعى إلى تحقيق ذاتها في الخارج، في صورة عمل صالح .

وقد ورد ذكر العمل في القرآن الكريم (٣٥٩) مرة [239]، إما عمل صالح وإما عمل سيء . وقد ارتبط ذكر العمل الصالح مع الإيمان في كتاب الله تعالى أكثر من (٨٠) مرة، تارة بذكر جزاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات ، وتارة يذكر حالهم في الدنيا والآخرة، وتارة بذكر أوصافهم، وأكثر ما ذكر هو ما أعده الله لهم في الدار الآخرة من النعيم المقيم والسعادة الأبدية .

وليس المجال هو بحث واستقصاء الآيات الواردة في ذلك، و لكن أذكر شواهد تبين ما ذكرته، من تعدد الآيات

---

(٢٣٨) منهج الإسلام في تزكية النفوس، أنس كرزون ص١٦١

(٢٣٩) مقومات الشخصية المسلمة ، د. الكيلاني، مكتبة دار الاستقامة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ص١٣

التي تذكر الإيمان والعمل الصالح مقروناً بالجزاء الأخروي، يقول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[240]. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّة﴾[241]﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[242]. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾[243].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[244].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[245]

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾[246] .

---

(٢٤٠) سورة البقرة آية ٢٥

(٢٤١) سورة البقرة آية ٨٢

(٢٤٢) سورة البقرة آية ٢٧٧

(٢٤٣) سورة آل عمران آية ٥٧

(٢٤٤) سورة النساء آية ٥٧

(٢٤٥) سورة النساء آية ١٢٢

(٢٤٦) سورة النساء آية ١٢٤

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[247]

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾[248] .

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾[249] .

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[250] .

إلى غير ذلك من الآيات التي تكرر ذكرها في بيان ارتباط الإيمان بالعمل الصالح، وترتيب الجزاء الحسن عليه .

والأعمال الصالحة التي تورث السعادة والنعيم، ويظهر أثرها في حياة المسلم بشكل واسع كثيرة وغير محصورة، فما من عمل صالح يعمله المسلم إلا وله أثر في حياته، ولكن أقتصر على ذكر بعض هذه الأعمال الصالحة، التي لها أثر بين في إحداث السعادة للمسلم، وذلك على نحو ما يأتي :

---

(٢٤٧) سورة المائدة آية ٩

(٢٤٨) سورة يونس آية ٤

(٢٤٩) سورة الأنبياء آية ٩٤

(٢٥٠) سورة الأنبياء آية ٥٠

أولاً :الصلاة :

أ ـ أهمية الصلاة :

الصلاة هي عمود الإسلام وركنه الأعظم، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فرضها الله تبارك وتعالى من فوق سبع سماوات، تشريفاً وتعظيماً لشأنها .

الصلاة هي قرة العيون، وهي مواطن السرور، وهي الراحة التي يرتاح في ظلالها المؤمن، والنعيم القلبي، الذي يستلذ به قلبه ويسعد به .[251]

وهي للمصلي بمثابة العروة الوثقى التي يعتصم بها، وهي بلسم الجروح ، وأمان الخائف، وقوة الضعيف، وسلاح الأعزل، يستعين بها على نوائب الدهر، وقهر الرجال وظلم الظالمين، وقد أمر الله تبارك وتعالى بالاستعانة بها في كتابه فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾[252]، وكان من شأن النبي عليه الصلاة والسلام أنه إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .كما هو مروي عنه في الحديث[253]، وكان يقول لبلال رضي الله عنه أرحنا بالصلاة يا بلال[254].

---

(٢٥١) انظر منهج الإسلام في تزكية النفوس أنس كرزون ص١٦٥

(٢٥٢) سورة البقرة آية ١٥٣ .

(٢٥٣) رواه ابو داود في السنن بلفظ (كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة) برقم ١٣١٩قال ابن حجر إسناده حسن، انظر فتح الباري ٢٠٥/٣ .

(٢٥٤) رواه أبو داود برقم ٤٣٣ صححه الالباني انظر صحيح سنن أبى داوود ٧٨٩٢

ب ـ أثر الصلاة في حياة المسلم المعاصر :

١ ـ المسلم المرتبط بحياة الصلاة وحقيقة روحها في أجواء هـذا العصر المادية الملتهبة المتقلبـة، يعـيش في ركوعـه الخاشـع، وسجدته الخاشعة مستشعراً قربه من الله، ومعيتـه، يشـعر أنه يأوي إلى ركن شديد ، فينشأ عن ذلـك أمنـاً واطمئنانـاً وثقة ونعيماً، ويحقق بذلك التفويض والتسليم والصبر على البلاء ، والرضا بالقدر، ويتجدد عهد المسلم مـع الله عـلى الوفاء والصدق في عبوديته ، ويقوى عنده الأمل الكبير في تأييد الله ونصره لعباده المؤمنين العاملين الصادقين .

٢ ـ الصلاة تعمل على تزكية الـنفس وتطهيرهـا مـن الصـفات السيئة خاصة تلك الصفات التي غلبـت عـلى مـن يعـيش حياة مادية ، وصارت الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم،مـن مثل أمراض الحسد والحقد والبغي والظلم، وما ينشأ عـن ذلك مـن تقـاطع وتـدابر وتبـاغض، تـؤدي بالنتيجـة إلى الشقاء والضيق والحياة النكدة .

٣ ـ إن لتكرار الصلاة المفروضة خمس مرات في اليـوم الواحـد أثراً عجيباً، ولفتة عظيمة، تظهر مدى ارتباط المسـلم دائـماً وأبداً ، بنعيم الصـلاة ولـذتها، فالمسـلم مـابين الصـلوات يشعر أنه منذ قليل كان واقفاً بين يدي الله يسأله الهداية إلى

الصراط المستقيم، في خضوع وخشوع، ثم بعد قليل سيحين موعد الصلاة القادمة ليقف مرة أخرى بين يدي الله متذللاً خاشعاً فلا يليق به أن يبتعد عن هذا المصدر الإلهي العظيم لحياة روحه ولذته ونعيمه وسعادته، ومن باب أولى أن لا ينسى الله بين الصلاتين أو يغفل عن ذكره، فيقدم على مخالفته ومعصيته (٢٥٥).

ولزيادة الأمر وضوحاً وتأكيداً لنتأمل ما يلي :

(أ)ـ يبدأ المسلم يومه بالوقوف بين يدي الله في صلاة الفجر مفتتحاً يومه بالمناجاة والتذلل والتعبد لله رب العالمين ، في وقوف خاشع، وركوع ذليل، وسجود ، وذكر ودعاء .

(ب)ـ بعد ما يقارب (٧) ساعات يعود مرة أخرى ليكرر نفس الموقف ويردد ذات الكلمات، ويجدد العهد نفسه في صلاة الظهر .

(ج)ـ بعد ما يقارب ثلاث ساعات يرجع أيضاً لصلاة العصر، واقفاً ، سائلاً طالباً من الله، بكل الأقوال والأفعال التي فعلها في صلاة الظهر .

(د)ـ و بعد ما يقارب الساعتين والنصف يقف لصلاة المغرب، وبعدها بقليل ـ لا يتجاوز الساعة والنصف ـ يختم يومه

(٢٥٥) انظر منهج الإسلام في تزكية النفوس أنس كرزون ص ١٦٥

بصلاة العشاء وبتكرار وإعادة لما بدأ بـه يومـه مـن تجديـد للعهد مع الله وسؤال الهداية إلى الصراط المستقيم .[٢٥٦]

هذا ما يتعلق بتوقيت الصلوات المفروضة فضلاً عـن النوافـل المطلقة،في سائر اليـوم .فقـد يصـل عـدد ركعـات المسـلم اليومية إلى(٥٠) ركعـة بـين فريضـة، وسـنة راتبـة وسـنة مستحبة.

٤ ـ إن الحياة بصـفة عامـة تجعـل الإنسـان في مواجهـة دائمـة لضمان وجوده واستقراره، وبحثه عن سعادته، مما يـؤدي إلى توترات نفسية نتيجة للتناقض بين مـا يريـده الإنسـان وبين مـا يمنعـه مـن الوصـول إلى رغبتـه . إن الإنسـان في الزمن الأول كان يواجـه الشـدائد النفسـية عنـد تعرضـه لخطر حيوان مفترس، إلا أنه يصرف الطاقة التـي توفرهـا الأعصاب والهرمونـات الخاصـة بـالتوتر في مقاومـة هـذا الخطر أو الهروب منه أي يتوصل إلى حرق السكر في الـدم النـاتج عـن هرمـون الأدرينـالين والكـورتيزول، بهـذه المقاومة.

أما إنسان هذا العصر فهو يتلقى الأذى والتحدي النفسـي دون أن يـتمكن مـن تصـريف الطاقـة في عمليـة فعليـة،

---

(٢٥٦) هـذا التقييـد بالسـاعات هـو التوقيـت الغالـب، وإلا فقـد يكـون الأمـر يختلف في بعض الأماكن عن ما ذكر، والله أعلم .

فرجل الأعمال مثلاً يسمع خبر مزعج لانخفاض الأسهم في السوق فيزداد عنده السكر في الدم ويرتفع الضغط، وليس عند ه ما يمكنه من عمل شيء تجاه ذلك .

والمسلم المعاصر الذي يسمع أخبار المسلمين هنا وهناك، بل وفي هذا العصر يشاهد ما يحدث في نفس اللحظة ـ عن طريق قنوات الفضاء ـ فيرتفع السكر في دمه ومع ذلك أيضاً هو لا يستطيع ، أن يصنع شيئاً فعلياً في مواجهة ذلك، ويتكرر هذا الأمر مرات ومرات ، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى خلل في وظائف الجهاز العصبي، يتسبب في إحداث اضطراب في التفكير والسلوك عند بعض المسلمين، لكن الصلاة التي تربط الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى عدة مرات في اليوم ، تجعله في حالة روحية مطمئنة ، تمكنه من التخفيف من حدة الانفعالات ، عند تلقي الأنباء المزعجة فيتلقاها بصبر وثبات، فما يحدث في الصلاة من تركيز انتباه وخشوع، وحركات متتابعة، تؤدي إلى تلطيف الآثار الشعورية والفسيولوجية الناتجة عن الشدائد، وذلك لسابقية الاستعداد لدى المسلم من أجل التحكم في غضبه والتحلي بالصبر والثبات .[٢٥٧]

---

(٢٥٧) الاستشفاء بالصلاة، دراسة حول الفوائد الصحية للصلاة، تأليف د. زهير رابح قرامي، مطبوعات هيئة الإعجاز العلمي، ١٤١٧هـ. ص٤٩

٥ ـ إن الراحة النفسية التي تمنحها الصلاة لمن يداوم عليها تؤدي إلى التخلص من الهموم والتوترات، وتضع المسلم في إطار عقائدي متماسك ، تجعله باتصال دائم مع خالقه يستشعر منه الرحمة ويستمد منه العون، ويسأله التوفيق والفلاح في أمور الدنيا والآخرة.مما يؤدي إلى شعور المسلم بأنه باستمرار تحت عناية خالقه جل وعلا، خاصة وأن التوقيت الفاصل بين الصلوات يتدرج نحو التقلص إلى انقضاء اليوم . وقد تكون حكمة ذلك أن الإنسان يزداد تعبه في آخر اليوم مع أوله، مما يزيد في قابليته للتوتر . فكانت الصلوات متقاربة أكثر وبصفة تدريجية بعد الظهر حتى يتخلص المسلم بطريقة أسرع من آثار التعب والتوتر.

إن التركيز الذهني في الصلاة يؤدي إلى تحكم مراكز القشرة المخية في عمل المراكز الأدنى، مما يجعل الجسم في حالة خشوع تام، وهذا طريق داخلي للاسترخاء بالتركيز الذهني في أجواء الصلاة الروحانية الهادئة .[٢٥٨]

ج ـ خطوات تحقيق الخشوع والتنعم بلذة الصلاة:

وهناك خطوات مهمة لإيجاد الروحانية التامة وتحقيق الخشوع في الصلاة، ذكرها كثير من علماء الإسلام، ومن ذلك

---

(٢٥٨) المصدر السابق ص ٥٣

ما ذكره الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه الإحياء، وأسوق ما ذكره[259] مبيناً أثره في إحداث الخشوع :

الخطوة الأولى : **حضور القلب** :

ومعناه أن يفرغ المسلم قلبه عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العلم بالفعل مقروناً به، ولا يكون الفكر جائلاً في غيره، ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه ، وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ، ولم يكن فيه غفلة ، فقد حصل حضور القلب.

وسبب حضور القلب : الهمة ، فإن القلب تابع للهمة، فلا يحضر إلا فيما يهم، ومهما أهم المسلم أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى ، فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه. والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلاً بل هو جائلاً فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا، فلا حيلة ولا علاج إلا بصرف الهمة إلى الصلاة ، والهمة لا تنصرف إلى الصلاة ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها ، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى، وأن الصلاة وسيلة إليها، فإذا أضيف لذلك حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعها، حضور القلب في الصلاة .

---

(٢٥٩) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢١٥/١

الخطوة الثانية:التفهم :

التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب ، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ، فالتفهم هو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ.[٢٦٠] وسببه، بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى إدراك المعنى، وعلاجه في إحضار القلب مع الإقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر، وعلاج دفع الخواطر قطع موادها، وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة، لذلك ترى من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر .

الخطوة الثالثة: **التعظيم** :

هو حالة للقلب تتولد من معرفتين :

الأولى : معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان ، فإن من لا تعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه.

الثانية :معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوباً. فيتولد من تلك المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه وهو ما يعبر عنه بالتعظيم.

---

(٢٦٠) انظر مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص٢١

الخطوة الرابعة : **الهيبة** :

هي خوف منشؤه التعظيم، لأن من لا يخاف لا يسمى هائباً، فالهيبة خوف مصدره الإجلال .

وتتولد هذه الحالة، من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه، وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة، هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب و أنواع البلاء مع عدم القدرة على الدفع .

الخطوة الخامسة : **الرجاء** :

وهو أن يرجو بصلاته ثواب الله عز وجل .

وسببه معرفة لطف الله وكرمه، وعميم إنعامه، ولطائف صنعه، ومعرفة صدقه في وعده بالجنة بالصلاة ، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة .

الخطوة السادسة : **الحياء** :

وينشأ الحياء من استشعار التقصير في العبادة، والعلم بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل، ويقوي ذلك المعرفة بعيوب النفس وآفاتها، وقلة إخلاصها، وخبث دخيلتها، وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها، مع العلم بما يقتضيه جلال الله عز وجل، والعلم بأنه مطلع على السر

وخطرات القلب وإن دقت وخفيت، فهذه المعارف إن حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء .[261]

ومجمل القول أن الصلاة تحقق للعبد المسلم ما يصبو إليه، من راحة واطمئنان، وإزالة للهموم والغموم، والمنغصات، وهي كذلك مبعدة عن الفحشاء والمنكر، وناهية عن الإثم والعدوان ، فهي بذلك موصلة إلى دار السعادة والرضوان .

والصلاة في الإسلام ركن من أركانه لا يستقيم دين المسلم إلا بها فهي الفريضة الرئيسة في الدين وهي أول ما يحاسب عنها العبد يوم القيامة، ومن جنسها كذلك نوافل ومستحبات مكملة للفرائض، كالسنن الرواتب، وقيام الليل، والضحى، والتنفل المطلق، الذي يزداد به العبد تقرباً إلى الله حتى يحبه الله ، فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها، ولئن سأل الله سيعطيه ، ولئن استعاذ به ليعيذه .

---

(٢٦١) إحياء علوم الدين للغزالي ١/٢١٥ .

ثانياً : ذكر الله :

أ ـ معنى الذكر :

الذكر في اللغة هو الحفظ للشيء وعدم نسيانه[٢٦٢] .

فذكر الله تعالى هو حفظ الله عز وجل وعدم نسيانه وذلك باستحضار عظمته تبارك وتعالى دائماً، ووسائل ذلك كثيرة منها، التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، والدعاء، وتلاوة القرآن، وعموم الأعمال الصالحة، بل قد جعل الله تبارك وتعالى الذكر قرين الأعمال الصالحة وروحها جميعاً من صلاة وصيام وحج وجهاد، وغير ذلك.[٢٦٣]

ب ـ أوجه ورود الذكر في القرآن الكريم والسنة النبوية :

نجد أن الذكر ورد في القرآن الكريم على الأوجه التالية :

١ـ الأمر به مطلقاً كما قال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴾[٢٦٤] . وقوله تعالى: ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً**﴾[٢٦٥]

(٢٦٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي ١/ ٣٥٧، ولسان العرب، ابن منظور ٣٠٨/٤ .

(٢٦٣) انظر الفوائد لابن القيم ص٢٣٤ .

(٢٦٤) سورة الأحزاب آية ٤١، ٤٢ .

(٢٦٥) سورة الأعراف آية ٢٠٥ .

٢ ـ النهـى عـن ضـد ه كقولـه تعـالى ﴿ **وَلاَ تَكُـن مِّـنَ الْغَـافِلِينَ** ﴾(٢٦٦) وقولـه ﴿ **وَلَا تَكُونُـوا كَالَّـذِينَ نَسُـوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ (٢٦٧).

٣ ـ تعليـق الفـلاح والنجـاح عـلى الإكثـار منـه كقولـه تعـالى ﴿ **وَاذْكُرُواْ الله كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ** ﴾(٢٦٨).

٤ ـ الثنـاء عـلى أهلـه بقولـه تعـالى ﴿ **وَالـذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِـيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ الله لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴾(٢٦٩).

٥ ـ بيان خسارة من لهى عنه كما ورد في قوله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُـمْ عَـن ذِكْـرِ الله وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾(٢٧٠)

٦ ـ جعل سبحانه ذكر العباد لـه ذكـراً منـه لهـم فقـال تعـالى ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ** ﴾(٢٧١).

٧ ـ إخباره عز وجل أن الذكر أكبر من كل شئ كما قال تعالى :
﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّـلَاةَ تَنْهَى عَـنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَـذِكْرُ الله أَكْبَرُ** ﴾(٢٧٢)

---

(٢٦٦) سورة الأعراف آية ٢٠٥
(٢٦٧) سورة الحشر آية ١٩
(٢٦٨) سورة الأنفال آية ٤٥
(٢٦٩) سورة الأحزاب آية ٣٥
(٢٧٠) سورة المنافقون آية ٩
(٢٧١) سورة البقرة آية ١٥٢
(٢٧٢) سورة العنكبوت آية ٤٥

٨ ـ جعله الله تعالى خاتمة الأعمال الصالحة ، كما في آية الصيام ﴿**وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ**﴾(٢٧٣)، وختم به الحج في قوله ﴿ **فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**﴾(٢٧٤)، وختم به الصلاة في قوله تعالى : ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ**﴾(٢٧٥).

٩ ـ الإخبار عن أهل الذكر أنهم أهل الانتفاع بالآيات وأنهم أولوا الألباب دون غيرهم كما قال تعالى ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ**﴾(٢٧٦).

وورد الذكر في السنة النبوية على الأوجه التالية :

١ ـ أن الذكر أزكى الأعمال، وأعظمها كما ورد في الحديث "ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن

---

(٢٧٣) سورة البقرة آية ١٨٥

(٢٧٤) سورة البقرة آية ٢٠٠

(٢٧٥) سورة النساء آية ١٠٣

(٢٧٦) سورة آل عمران ١٩٠، ١٩١

تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله"[٢٧٧]

٢ ـ أن الذاكرين هم أهل السبق، كما ورد في الحديث " سبق المفردون، قالوا وما المفردون يا رسول الله ، قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات "[٢٧٨]

٣ ـ التشنيع على من جلس في مجلس فلم يذكر الله فيه، كما ورد في الحديث "ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة "[٢٧٩]

٤ـ بيان فضل من جلس في مجلس يذكر الله فيه، كما ورد في الحديث " لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده "[٢٨٠]

٥ ـ بيان أن الذكر خير ما يتمسك به، عند تزاحم الأعمال، كما قال عليه الصلاة والسلام لمن سأله عن شيء يتشبث به وقد رأى شرائع الإسلام قد كثرت عليه فقال عليه

---

(٢٧٧) الترمذي في السنن كتاب الدعوات برقم ٣٢٩٩.صححه الألباني انظر صحيح الكلم الطيب برقم ١

(٢٧٨) رواه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله . رقم : ٢٦٧٦.

(٢٧٩) رواه أبو داود رقم : ٤٨٥٥ صححه النووي انظر الأذكار للنووي برقم ٣٧٦

(٢٨٠) رواه مسلم رقم ٢٧٠٠.

الصلاة والسلام : " لا يـزال لسـانك رطبـاً مـن ذكـر الله تعالى "[281]

٦ ـ الإخبار بأن مجالس الذكر هـي ريـاض الجنـة، كـما ورد في الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: "إذا مـررتم بريـاض الجنة فارتعوا، قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر "[282]

٧ ـ بيان شدة تحسر ابن آدم على ساعات الدنيا التي لم يذكر الله فيها ، كما ورد في الحديث "ما مـن سـاعة تمـر بـابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة "[283]

ج ـ أثر الذكر في حياة المسلم المعاصر :

ذكر علماء الإسلام آثاراً للذكر عجيبة ، تجعل المسلم مريد السعادة، يلتزم بالإكثار منـه، ويعـايش الـذكر دومـاً وأبـداً في خلواته، وجلواته، وفي سره وعلانيته، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى عن منزلة الذكر :

(هي منزلة القوم الكـبرى، التـي منهـا يتـزودون، وفيهـا يتجرون، وإليها دائماً يترددون. والذكر منشور الولايـة، الـذي

---

(٢٨١) رواه الترمـذي في السـنن رقـم ٣٣٧٥ حسـنه ابـن حجـر، انظـر نتـائج الأفكار ٩٣/١.

(٢٨٢) رواه الترمـذي في السـنن: رقـم ٣٥٠٩ غريـب ، انظـر ابـن حجـر نتـائج الافكار ٢٢/١.

(٢٨٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان: برقم ٥١١ فصل في إدامة ذكر الله عز وجل، ضعيف جدا ، انظر ضعيف الترغيب والترهيب للألباني برقم ٩١٣.

من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل. وهو قـوت قلـوب القـوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورا. وعمارة ديـارهم، التي إذا تعطلـت عنـه صـارت بـوراً. وهـو سـلاحهم الـذي يقاتلون به قطاع الطريق . وماؤهم الذي يطفئـون بـه التهـاب الحريق، ودواء أسقامهم الـذي متـى فـارقهم انتكسـت مـنهم القلوب. والسبب الواصل، والعلاقة التي كانـت بيـنهم وبـين علام الغيوب .

به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهـون علـيهم به المصيبات. إذا أضلهم البلاء فإليه ملجؤهم ، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم ، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبـون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون . يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً ، ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يـدع الـذاكر مذكوراً ، وهو جلاء القلوب و صقالها ، ودواؤهـا إذا غشـيها اعتلالها ، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقاً : ازداد المـذكور محبة إلى لقائه واشتياقا . وإذا واطأ قلبه للسانه في ذكره : نسي في جنب ذكره كـل شيء ، وحفـظ الله عليـه كـل شيء وكـان لـه عوضاً من كل شيء . به يزول الوقر عن الأسماع، والبكم عـن الألسن، وتنقشـع الظلمـة عـن الأبصـار. زيـن الله بـه ألسـنة الذاكرين ، كما زين بالنور أبصار النـاظرين ، فاللسـان الغافـل

كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء . وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ، ما لم يغلقه العبد بغفلته .
قال الحسن تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة ، وفي الذكر وقراءة القرآن ، فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق .)[٢٨٤]

وذكر العلماء رحمهم الله تعالى فوائد وآثاراً عديدة لذكر الله أذكر أهمها :

١ ـ أنه يطرد الشيطان .

٢ ـ أنه يرضي الرحمن عز وجل .

٣ ـ أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

٤ ـ أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .

٥ ـ أنه يقوي القلب والبدن .

٦ ـ أنه ينور الوجه والقلب .

٧ ـ أنه يجلب الرزق .

٨ ـ أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

٩ ـ أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة .

(٢٨٤) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص١/ ٤١٣

١٠ ـ أنه منجاة من عذاب الله .

١١ ـ أنه يورث حياة القلب .

١٢ ـ أنه يورثه الهيبة لله عز وجل لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى .

١٣ ـ أنه قوت القلب والروح .

١٤ ـ أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه .

١٥ ـ أنه يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان ، ولا على عسير إلا تيسر ، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت .

١٦ ـ أن ذكر الله يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل ، إذ بحسب ذكره يجد الأمن، ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف يجدها أماناً له، والغافل خائف مع أمنه، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا [٢٨٥]

(٢٨٥) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب (فصل فوائد الذكر ص ٦٩)

١٧ ـ أن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يطيق فعله بدونه .

١٨ ـ أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر، والنعيم الذي يحصل لقلبه، لكفى به، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة .

قال مالك بن دينار : ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل فليس من الأعمال أخف مؤونة منه ، ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجاً[٢٨٦].

١٩ ـ أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا ونوراً في الآخرة .

٢٠ ـ أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد، ويسهلها عليه، و يلذذها له، ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل ، والتجربة شاهدة بذلك وتوضحه [٢٨٧]

---

(٢٨٦) انظر الأذكار للنووي دار القلم، طبعة ١٤٠٩هـ ص١٤

(٢٨٧) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب (فصل فوائد الذكر ص ٦٩)، مرجع سابق .

وفي الواقع المعاصر درس العلماء[٢٨٨] المحدثون أسباب تغير النفسيات وسبب جعلها تتفاءل أو تتشاءم، أو تحزن أو تفرح، إلى غير ذلك من التغيرات النفسية، فوجدوا أن هناك علاقة وطيدة بين تحول النفسية وما يسبق من أحداث داخلية، بمعنى أنه حتى تتغير نفسية الإنسان فلابد له أن يحدث نفسه أولاً كأن يرى منظراً مفزعاً فيحدث نفسه بهذا المنظر، أو يسمع كلمة محزنة فيظل يرددها، أو كأن يتذكر موقفاً مؤلماً فيظل يشعر به ويناقشه .

فالذي يستديم ذكر الله تعالى، تتبرمج نفسيته على الرسائل الإيجابية ، التي تزيده محبة لمن يذكره ، وتعظيماً وإجلالاً له .

وعقل الإنسان لا يقف، فهو إما مشغول بالإيجاب، أو بالسلب، وذكر الله بجميع أنواعه يشغل العقل ويوجهه، فلذلك لا يجد العقل مجالاً للتفكير بالسلبيات .

ويذكر الدكتور صلاح الراشد خطوات مهمة لإتقان الذكر منها :

١ـ البداية بالذكر عند أول فكرة سلبية .

---

(٢٨٨) كن مطمئناً ، د. صلاح الراشد ، مركز الراشد للاستشارات النفسية والاجتماعية . ص ١٠٤

٢ ـ التنويع في ألفاظ الأذكار الواردة، فأجمل الذكر (لا إله إلا الله)، و(الحمد لله) ولكل ذكر موقف وميزة ف(الحمد لله) تخفف الآلام وتعزز الأفراح، و(الله أكبر) للعزة والنصر والفرح الشديد، و(سبحان الله) للتبصر والتفكر وأما(لا إله إلا الله) فلإعادة التوازن النفسي ومقاومة الفكر السلبي .

٣ـ أن يكون للذكر حلاوة وذلك بانتهاز بعض الفرص الجميلة، والهادئة لتعزيز مواقف الذكر، بصوت محبوب، وبنفس مريح، وبدون تغصب للذكر .

٤ـ اتباع برنامج محدد للذكر : فقد حرص الإسلام على برمجة الإنسان برمجة إيجابية، ولقد كان للذكر نصيب أوفر في برنامج الإنسان المسلم . وحرض الإسلام على مواقع مهمة، فمنها أول اليوم ،وذلك بأذكار الصباح ، وهو أهم وقت في اليوم كله، فمن استطاع أن يكون سعيداً في بداية يومه، سيكون سعيداً باقي يومه. ومن اطمئن أول يومه اطمئن كامل يومه .

كما حرض الإسلام على أوقات ما بعد الصلوات حيث يكون المسلم في استرخاء تام، وعلى وقت ما قبل النوم ، وهو

وقت يعرف أهميته علماء النفس حيث تظل النفس تعمل طوال الليل بما نامت عليه .[289]

د ـ نماذج من الذكر :

الأول : **تلاوة القرآن الكريم** :

إن تلاوة القرآن الكريم من أعظم ما يذكر به الله تعالى، ذلك أنه لا ذكر أعظم من كلامه عز وجل، وكلما كان المسلم كثير التلاوة للقرآن الكريم، دائم الاتصال بالله سبحانه وتعالى عن طريق التأمل والتدبر في كتابه ، كلما عاش في راحة ونعيم عظيم .

١ ـ آداب التلاوة :

ومما يعين المسلم عل حصول تلك المنفعة العظيمة هو التأدب بآداب التلاوة الظاهرة والتي من أهمها ما يلي :

(١) ـ أن يكون على طهارة، وعلى هيئة الأدب والسكون قائماً أو جالساً .

(٢) ـ أن يقرأ بترتيل ، لأنه معين على التفكر في القراءة .

(٣) ـ مراعاة حق الآيات، وما تشتمل عليه من تسبيح أو استغفار أو دعاء، أو سجود .

(٢٨٩) المصدر السابق ص ١٠٦

(٤) ـ البداية بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

(٥) ـ إخلاص هذا العمل وهو تلاوة القرآن الكريم وأن لا يريد به إلا وجه الله تبارك وتعالى.[٢٩٠]

وكذلك التأدب بآداب التلاوة الباطنة ومن أهمها :

(١) ـ فهم عظمة الكلام، وعلوه، وفضل الله تعالى، ولطفه بخلقه في إيصال كلامه إلى إفهام خلقه .

(٢) ـ التعظيم للمتكلم سبحانه، فينبغي للتالي أن يحضر ـ في قلبه عظمة المتكلم، وأن ما يقرأه ليس من كلام البشر، ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته، وجلاله وأفعاله، فإذا حضر بباله العرش، والكرسي، والسموات، والأرض، وما بينهما من الجن، والإنس والدواب والأشجار، وعلم أنه يقرأ كلام خالقها ومدبرها، وتفكر في ذلك حصل التعظيم .

(٣) ـ حضور القلب، وترك حديث النفس، والتجرد عند القراءة ، وصرف الهم لذلك

(٤) ـ التفهم ، وهو أن يستوضح عن كل آية ما يليق بها، إذ القران يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر

---

(٢٩٠) انظر التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي، مكتبة المؤيد الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ص٦٩ .

أفعاله، وذكر أحوال الأنبياء وأحوال المكذبين لهم وذكر زواجره ونواهيه، وذكر الجنة والنار، وذكر الأحكام الشرعية .

(٥) ــ التخلي عن موانع الفهم، كصرف الهم إلى إقامة الحروف، وما شابه ذلك .

(٦) ـ التخصيص، وهو أن يقدر أنه هو المقصود بكل خطاب القرآن، أمرا ونهياً، وعداً ووعيداً .

(٧) ـ التأثر ، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغير ذلك .[٢٩١]

وذكر أحد الباحثين[٢٩٢] في دراسة له عن أثر القرآن في النجاح في الحياة ، عشرة مفاتيح رئيسة لتحقيق الإفادة من تلاوة القرآن وظهور أثرها، وهذه المفاتيح مجموعة في قولك (لإصلاح ترتج) وإيجازها على النحو التالي:

---

(٢٩١) إحياء علوم الدين ٣٧٢/١

(٢٩٢) الدكتورخالد عبدالكريم اللاحم، أستاذ القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . عنوان الدراسة :مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة ، نشر مطبعة سفير، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ص١١

(١) ـ (ل) قلـب، والمعنـى أن القلـب هـو آلـة فهـم القـرآن، والقلب بيد الله تعالى يقلبه كيف شاء، والعبـد مفتقـر إلى ربه ليفتح قلبه، للقرآن فيطلع على خزائنه وكنوزه.

(٢) ــ (أ) أهـداف، أو أهميـة، أي استحضـار أهـداف قـراءة القرآن أي لماذا تقرأ القرآن؟ .

(٣) ـ (ص) صلاة : أن تكون القراءة في صلاة .

(٤) ـ (ل) ليل : أن تكون القراءة والصلاة في ليل ، أي وقـت الصفاء و التركيز.

(٥)ـ(أ) أسبوع: أن يكرر ما يقـرؤه مـن القـرآن كـل أسـبوع حتى لو جزء منه.

(٦) ـ(ح)حفظاً: أن تكـون القـراءة حفظـاً عـن ظهـر قلـب بحيث يحصل التركيز التام وانطباع الآيات عند القراءة.

(٧) ـ(ت) تكرار :تكرار الآيات وترديدها لتحقيق مزيد مـن التثبيت .

(٨) ـ(ر) ربط: ربط الآيات بواقعك اليومي وبنظرتك للحياة.

(٩) ــ (ت) ترتيـل: الترتيـل والترسـل في القـراءة ، وعـدم العجلـة، إذ المقصـود هـو الفهـم ولـيس الكـم، وهـذه مشكلة الكثيرين ، وهم بهذا الاسـتعجال يفوتـون عـلى أنفسهم خيراً عظيماً.

(١٠) ـ(ج) جهراً: الجهر بالقراءة ؛ ليقوي التركيز ويكون التوصيل بجهتين بدلا من واحدة؛ أي الصورة والصوت .

فهذه وسائل وأدوات يكمل بعضها بعضا في تحقيق وتحصيل مستوى أعلى وأرفع في تدبر آيات القران الكريم، والانتفاع والتأثر بها.[٢٩٣]

٢ ـ حاجة المسلم المعاصر لتلاوة القرآن :

مما لا شك فيه أن هذا العصر تزاحمت فيه الأعمال، وتسارعت فيه الأوقات، وطغت النظرة المادية على أفهام كثير من المسلمين، حتى أصبحوا بها يقيمون، ومنها ينطلقون، ونحوها يقصدون، و غدا معظم الناس حريصاً على جمع أكبر ما يمكن من المادة،والتفاخر بها، حتى ينال مكانة مرموقة بين الناس، وهذا أمر فيه من التنغيص والتكدير، والإزعاج للمسلم شيء كبير، فإن من اتبع زينة الحياة الدنيا قد أخبر الله عنه أن يصبح أمره فرطاً، وفكره متشتتاً، لا يستقر على حال ولا ينعم بمال، بل هو في كدر وضيق أبداً .

---

(٢٩٣) انظر : مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد اللاحم ص١١مطبعة السفير، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .

والمسلم عندما يطالع القرآن الكريم تالياً آياته متدبراً عظاته، متفكراً في زواجره، ومردداً تسبيحاته، معظماً لمولاه الكريم، تهون عنده هذه الدنيا فيتطلع إلى حياة أسعد وأهنأ، كيف وهو يقرأ في كتاب الله وصفاً كاملا للحياة الدنيا : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[٢٩٤]، وفي وسط هذا الزخم الكبير من التركيز على الجانب المادي في الحياة المعاصرة نجد أن المسلم الذي يتلو القرآن الكريم يردد الآيات العظيمة المحقرة من شأن الدنيا وماديتها كما في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ**﴾[٢٩٥] وكقوله تعالى : ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾[٢٩٦]، بل هو يتذكر دائما وأبدا أن هذه الدنيا ليست هي الحياة وإنما ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[٢٩٧] . إلى غير ذلك من الآيات التي تهون من شأن الحياة الدنيا ، وتعظم شأن الحياة الأخرى.

وكذلك ما يردده المسلم في قراءته للقرآن الكريم من ذكر كثير لنعيم الجنة، وما أعده الله تعالى فيها من النعيم المقيم

---

(٢٩٤) سورة الحديد آية ٢٠

(٢٩٥) سورة غافر آية ٣٩

(٢٩٦) الأعلى آية ١٦ ، ١٧

(٢٩٧) سورة العنكبوت آية ٦٤

والسعادة الأبدية، وبيان لما فيها من أشجار، وأنهـار، وأزواج، ونعيم، وراحة تامة بكل ما تقتضيه الراحة والنعمة كـما هـو في قوله عـز وجـل : " ادخلـوا الجنـة أنـتم وأزواجكـم تحـبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب، وفيهـا مـا تشـتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالـدون، وتلـك الجنـة التـي أورثتموهـا بـما كنـتم تعملـون لكـم فيـه فاكهـة كثـيرة منهـا تأكلون"(٢٩٨).

وفي تلاوة القرآن الكـريم أيضـاً تـذكير للمسـلم المعـاصر بالثقة بنصـر الله تعـالى لعبـاده المـؤمنين، وأن الله نـاصر عبـاده المؤمنين، وأن هذه سنة الله في عبـاده، فيمـر عـلى تـالي القـرآن، كيف أن الله تعالى نصر موسـى عـلى فرعـون وقومـه، وكيـف أنجى إبراهيم من الكيد العظيم فكانت له العاقبة ببقاء دعوتـه إلى يوم الـدين، وكيـف أن الله تعـالى حفـظ يوسـف في محنتـه، ومكــن لــه في الأرض ، ويقـرا في كتـاب الله هـلاك الظـالمين والمعتدين من جميع الأمم، وأن هذه سنة الله في خلقه ، كما قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِـن قَـبْلِهِم مِّـن قَـرْنٍ مَّكَّنَّـاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَـا**

(٢٩٨) سورة الزخرف آية ٧٠ـ ٧٣

الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾[299].

ولذلك نجد أن المسلم في هذا العصر، مطالب أكثر من أي وقت مضى بكثرة تلاوة القرآن الكريم، حتى تتحقق له الطمأنينة والسعادة، المنشودة، وحتى يتغلب على القوى التي قد تؤثر على تفكيره واهتماماته من جراء النهم المادي المسعور في هذا الزمن .

وقد توفرت وسائل عصرية، وأساليب تقنية معاصرة، يمكن للمسلم من خلالها، وفي زحمة أعماله، وكثرت مشاغله، أن يداوم على تلاوة القرآن وسماعه، وذلك بوجود مصاحف مصغرة بحجم الجيب، يمكن اصطحابها، وبرامج القرآن الكريم ، في الحاسب الآلي، وأيضاً، ما هو موجود في بعض أنواع أجهزة الهاتف النقال الآن من مصحف يظهر على شاشة الجهاز، وقد يتطور الأمر مستقبلا حتى يصل إلى التلاوة المسموعة .

---

(٢٩٩) سورة الأنعام،آية ٦

٣ ـ التـأثير الفسـيولوجي لـتلاوة القـرآن الكـريم علـى الجهاز العصبي :

إن سماع القرآن الكـريم وتلاوتـه يحـدثان شـعوراً عميقـاً بالراحة والطمأنينة، ولقد صرحت الآيات الكريمة بأن للقرآن أثراً في الشفاء كما أن من واقع الممارسة يعالج كثير من المسلمين آلامهم وأمراضهم بتلاوة القرآن الكريم، وقد وجد أن للتلاوة دوراً في إزالة التوتر من الجسـم، والقلـق مـن الـنفس، وهـذه ظاهرة كثيرة الحدوث ولها شواهد واقعية لا تحصى(٣٠٠).

وقد أثبتت كثير من الدراسات العلمية الحديثة(٣٠١) أن مجرد قراءة القرآن لها تـأثير عجيـب عـلى الجهـاز العصـبي، وذلـك بخفض شدة التوتر ، وأذكر فيما يلي هذا البحث الـذي أجـري في عيادات ((أكبر)) في بنما سيتي بولاية فلوريدا كما يلي :

أجريت مائتان وعشرة تجارب عـلى خمسـة متطـوعين هـم ثلاثة من الذكور واثنتان من الإنـاث ، تـتراوح أعمارهـم بـين (١٧) و(٤٠) سنة ومتوسط الأعمار كـان (٢٢) سـنة وكلهـم أصحاء.

---

(٣٠٠) الاستشفاء بالصلاة ص ٦١ مرجع سابق .

(٣٠١) تأثير القرآن على أعضاء الجسم البشري وقياسه بواسطة أجهزة المراقبة الالكترونيـة د . أحمـد القاضـي وآخـر نشـرة الطـب الإسـلامي العـدد الثالث من أعمال المؤتمر العالمي الثالث عن الطب الإسلامي ص٢٩٠ ـ ٢٩٤ ، نقلاً عن كتاب الاستشفاء بالصلاة ص٦١.

وكان كل المتطوعين من غير الناطقين بالعربية وكانت التجارب على النحو التالي :

(١) ـ تجارب صمت لم يسمع المتطوعون فيها أي قراءة.

(٢) ـ تجارب قرئت فيها قراءات قرآنية مجودة .

(٣)ـ تجارب قرئت فيها قراءات غير قرآنية .

وجد أن التجارب الأولى لم يكن لها أي تأثير مهدئ للتوتر، أما التجارب الثانية والثالثة، فهي المؤثرة .

وقد تم معرفة الفرق بين التجربتين الثانية والثالثة ، بقياس التيارات الكهربائية ، في العضلات ، حيث وجد أن النتائج إيجابية في (٦٥)٪ من تجارب القراءات القرآنية، بينما ظهر الأثر في (٣٥) ٪ فقط من تجارب القراءات غير القرآنية .

ويستنتج من هذه التجارب أن للقرآن الكريم أثراً إيجابياً مؤكداً ، لتهدئة التوتر، ظهر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات ، وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيرات في الدورة الدموية وما يصاحب ذلك من تغير في عدد ضربات القلب ، وكمية الدم الجاري في الجلد ودرجة حرارة الجلد .[٣٠٢]

---

(٣٠٢) انظر الاستشفاء بالصلاة د. زهير قرامي ص٦١

الثاني:الدعاء :

الدعاء من أهم أنواع الذكر ، قال ابن القيم رحمه الله (وأنواع الذكر ثلاثة ، ثناء ودعاء ورعاية)[٣٠٣]، والدعاء من أعظم وسائل الصلة الإيمانية ، التي تحقق للمؤمن استعانته بربه، وتيسر له قربه منه ، وتعرضه لرحمته ، وتجعله في موضع محبته، ومن خلاله يجسد المؤمن العبودية والخضوع، ويستشعر الخشية والخشوع، ويستمد من الله القوة لضعفه ، والغنى لفقره، والقدرة لعجزه، فالدعاء شأنه عظيم ،وأثره كبير، ومعانيه ودلالاته واسعة، ومن هنا ندرك عظمة وبلاغة ووجازة قول المصطفى عليه الصلاة والسلام : "الدعاء هو العبادة"[٣٠٤].

وفي هذا العصر الحاضر كثرت الفتن، وعظمت المحن، واستعرت نيران الشهوات، وتزخرفت ضلالة الشبهات، وامتدت يد البغي بالعدوان على المؤمنين، وتكالبت قوى الشر بالكيد والقهر على المسلمين، وفي مثل هذا الزمان تكون الحاجة للدعاء آكد وألزم، وتكون آثاره في إسعاد المسلم وطمأنينته أظهر وأعظم[٣٠٥] .

---

(٣٠٣) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص ٤١٨

(٣٠٤) الترمذي في السنن كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة البقرة برقم ٢٨٩٥ .حديث حسن انظر البغوي شرح السنة ١٥٨/٣

(٣٠٥) أثر الدعاء في دفع المحذور وكشف البلاء، د. محمد عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، الطبعة السادسة ١٤٢٤هـ . ص٧

أ ـ معنى الدعاء وحقيقته :

الدعاء هو استدعاء العبد ربه عز وجل العناية واستمداده إياه المعونة .[٣٠٦]

وأما حقيقته فإظهار الافتقار إلى الله، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذل والبشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه سبحانه وتعالى .

ولذلك فإن المسلم الذي يداوم على الدعاء ويكثر منه، أبداً في جميع الأحوال والظروف ، يستشعر معية الله تعالى له، وحفظه إياه، في كل أموره، فيطمئن ويسعد، وليس كالذي لا يذكر الدعاء إلا في حالة الشدة والكرب، فبينهما من الفرق شيء كبير. بل خص رسول الله صلى الله عليه وسلم إجابة الدعاء في حالة الكرب والشدة لمن كان يكثر الدعاء حال الرخاء وذلك بقوله عليه الصلاة والسلام "من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء"[٣٠٧]، وللدعاء سنن و آداب، وشروط وأسباب

(٣٠٦) شأن الدعاء للإمام الخطابي ص٤ ، نقلاً عن كتاب أثر الدعاء في دفع المكروه وكشف البلاء، عقيل موسى ،ص ١٥مرجع سابق .

(٣٠٧) رواه الترمذي في السنن، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة برقم ٣٣٠٤ فيه حبيب بن ابي حبيب ، قال عنه ابن القيسراني كذاب ، انظر ذخيرة الحفاظ ٢١٩٧/٤

وموانع، متى قام بها المسلم حصل المقصود من الدعاء، وليس المجال هنا ذكر ذلك وتفصيله .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دعاء لا بد له من نتيجة، إيجابية للعبد، يحصل لـه بها المنفعة الدنيوية، والأخروية، وذلك في قوله عليـه الصـلاة والسـلام :(مـا مـن مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيهـا مـأثم ولا قطيعـة رحـم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث : إما أن يستجيب له دعوته أو يصرـف عنه من السوء مثلها، أو يدخر لـه من الأجـر مثلهـا قـالوا: يـا رسول الله إذاً نكثر قـال : الله أكثـر)[308]. والله تبـارك وتعـالى في كتابه الكريم قد تكفل بإجابة دعاء عباده ، فقال : ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[309] ، وقـال مبينـاً قربـه مـنهم : ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[310].

---

(٣٠٨) انظر الترمذي، كتاب الدعوات، باب انتظار الفرج وغير ذلك، برقم ٣٤٩٧، وأيضاً مسند الإمام أحمد مسند المكثرين ، باب مسند أبي سعيد الخدري برقم ١٠٧٠٩. حسن غريب انظر البغوي شرح السنة٣/١٦٠

(٣٠٩) سورة غافر آية ٦٠

(٣١٠) سورة البقرة آية ١٨٦

ب ـ نماذج من الأدعية :

وأذكر فيما يلي نماذج من الأدعية الواردة في جلب السعادة للمسلم والتي ورد النص الشرعي بأن لها أثراً في حياة المسلم :

١ ـ دعاء الاستخارة :

روى الإمام أحمد في مسنده عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل).[٣١١]

وفي مشروعية دعاء الاستخارة وبيان كيفيته ورد الحديث المشهور عن جابر بن عبد الله السلمي رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن، يقول: "إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام

---

(٣١١) رواه احمد في المسند، كتاب مسند العشرة المبشرين، باب مسند سعد بن أبي وقاص برقم ١٣٦٧. إسناده ضعيف انظر صحيح المسند احمد شاكر ٢٨/٣

الغيوب، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر – ثم تسميه بعينه – خيرا لي في عاجل أمري وآجله – قال: أوفي ديني ومعاشي وعاقبة أمري – فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه. اللهم إن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري – أو قال في عاجل أمري وآجله – فاصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به".[312]

ففي هذا الحديث يخبر جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم الاستخارة، أي كيفية صلاتها ودعائها، وهذا من تمام شفقته صلى الله عليه وسلم بأصحابه، وحرصه على حضور الخير لهم ودفع الشر عنهم كما يعلمهم السورة من القرآن.

وفي هذا بيان لشدة اهتمامه صلى الله عليه وسلم، بالاستخارة والعناية بها، وهذا من مزايا الإسلام الظاهرة لكل عاقل، فإن الملجأ الحقيقي للمسلم والحصن الحصين له هو الله تعالى وحده، لا شريك له، فهو العالم بكل شئ من خير أو شر والقادر على كل شئ، من جلب نفع أو دفع ضر. فاللجوء إليه من مقتضيات الإيمان به والاعتراف بإلوهيته وتفرده في أسمائه وصفاته، وفي هذا تربية للصحابة رضوان الله تعالى عليهم لما كان يعمله العرب في الجاهلية، فإنهم كانوا إذا هم أحدهم بأمر

---

(٣١٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجمعة، باب ما جاء في صلاة التطوع مثنى مثنى برقم ١٠٩٦.

أو حزبه شئ يذهب أحدهم "يستقسم بالأزلام، أو يذهب يزجر الطير ليستدل بطيرانه على ما سيحصل له في المستقبل، أو ذهب إلى الكهنة وإخوان الشياطين، وهذا كله رجم بالغيب وشرك بالله، فعوضه الإسلام عن ذلك بالفزع إلى من بيده أزمة الأمور كلها، ومن يملك الخير والشر، فيقدم بين يدي ذلك ركعتين، لتكونا وسيلة بين يدي الطلب ثم يتوجه إلى ربه بهذا الدعاء الذي فيه التوسل إليه سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، وتوحيد الطلب والنية والقصد".

وفي هذا تعظيم لله تعالى وتعظيم لقدرته سبحانه، وأنه سبحانه عرف عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته، وأنه هو المعبود وحده سبحانه المتصف بصفات الكمال والجمال على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى وعظيم سلطانه.

فعند ما يتردد المسلم بين أمرين، من الأمور المباحة، التي يعزم على قضائها، يلجأ إلى الله يستخيره ، ويدعوه، ويسأله أن يوفقه لأي الخيرين هو أنفع له في دينه ودنياه ، وهو إن فعل ذلك قد علق أمره بربه، فيطمئن مهما كانت النتائج لعلمه أن ما حصل له هو الخير الذي أراده الله له، ومن ثم يحصل له الاطمئنان والرضا والسعادة.

٢ ـ دعاء الهم والحزن :

وكذلك عندما يصيب المسلم هم أو غم أو حزن ـ لا سيما في حوادث هذا الزمان ـ فيلجأ بالدعاء الوارد الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى اله عليه وسلم : (ما أصاب أحداً هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي،ونور صدري، وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً قال فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال بلى ، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها)[٣١٣].

٣ ـ من أدعية الكرب :

أ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل ـ عليه السلام ـ يا محمد قل : توكلت على الحي الذي لا يموت،

(٣١٣) رواه الإمام أحمد كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبدالله بن مسعود برقم:٣٩١ ، وصححه الألباني، انظر حصن المسلم سعيد القحطاني دار الطرفين، طبعة ١٤٢٢هـ ص٨٣

والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً)[314].

ب ـ عن علي رضي الله عنه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل بي كرب أن أقول : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين)[315].

ج ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول عند الكرب:(لا إله إلا الله العظيم الحليم،لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم)[316].

د ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ذات يوم فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال يا أبا أمامة: مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة؟ قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله .قال أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك؟ قال قلت بلى يا

---

(٣١٤) أخرجه الحاكم (المستدرك ١/ ٦٨٩) . وقال صحيح الإسناد

(٣١٥) أخرجه الحاكم (المستدرك ١/ ٦٨٨) وقال صحيح الإسناد

(٣١٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب الدعاء عند الكرب برقم ٥٨٦٩ .

رسول الله . قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبت الدين وقهر الرجال"، قال:ففعلت ذلك فأذهب الله همي، وقضى عني ديني .)[317]

هـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي أبو بكر رضي الله عنه فقال : هل سمعت من رسول الله دعاءً علمنيه؟ قلت وما هو؟ قال كان عيسى بن مريم عليه السلام يعلمه أصحابه ، قال لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناً فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه (اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمني فارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك)[318]

٤ ـ أدعية جامعة :

عن أم سلمه رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم : هذا ما سأل محمد ربه :(اللهم إني أسألك خير المسألة، وخير الدعاء، وخير النجاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وثبتني وثقل موازيني ، وحقق

---

(٣١٧) رواه أبو داوود في السنن، كتاب الصلاة باب في الاستعاذة، برقم ١٣٣٠ ، وأيضاً البخاري برقم ٥٠٠٥ ، ورقم ٥٨٩٢ ، بألفاظ أخرى .

(٣١٨) رواه الحاكم (١/ ١٨٩٨)

إيـماني، وارفـع درجتـي، وتقبـل صـلاتي، واغفـر خطيئتـي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة، آمين .

اللهم إني أسألك فواتح الخير وجوامعه، وأولـه وآخـره، وظاهره وباطنه، والدرجات العلى من الجنة، آمـين. اللهـم إني أسألك خير ما آتي وخير ما أفعل، وخـير مـا بطـن، وخـير مـا ظهر، والدرجات العلا من الجنة، آمين .

اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتصلح أمري، وتطهر قلبي، وتحصن فرجي، وتنور لي قلبي، وتغفـر لي ذنبي، وأسألك الدرجات العلا من الجنة، آمين .

اللهم إني أسألك أن تبارك لي في نفسي، وفي سـمعي، وفي بصري، وفي روحي، وفي خلقـي، وفي خلقـي، وفي أهـلي، وفي محيـاي وفي ممـاتي، وفي عمـلي، وتقبـل حسـناتي، وأسـألك الدرجات العلا من الجنة آمين .)[٣١٩].

الخلاصة :

وهكذا نجد أن الأعمال الصالحة رافـد مهـم مـن روافـد السعادة، وباب كبير من أبـواب السـعادة ومـداخلها العظـام، وكل الأعمال الصالحة هي كذلك، فأركان الإسلام جميعهاـ من توحيد، وزكاة، وحج، وصيام، ونوافـل عبـادات ـــ وفضـائل

(٣١٩) رواه الحاكم (١/ ١٩١١)

أخرى كبر الوالـدين، وصـلة الـرحم، والإحسـان إلى النـاس جميعها كذلك تورث السعادة ، ولكن كان هذا المبحث مقتصراً على نماذج، من تلك الأعمال الصالحة، والطاعات الموصـلة إلى الفـلاح الكبـير، ولـيس المجـال هـو مجـال حصـــر للأعـمال الصالحة، وتعدادها، وإنما هو ذكر بعض الأعمال الصالحة التي هي الركن الثاني من أركان النجاة من الخسران الوارد في كتاب الله كما قال الله تعالى : (والعصـر، إن الإنسان لفي خســـر، إلا الذين آمنوا وعملـوا الصـالحات، وتواصـوا بـالحق وتواصـوا بالصبر)[٣٢٠].

(٣٢٠) ورة العصر (١ـ٣)

المبحث الثالث

الدعوة إلى اللّه

إن مقام الدعوة إلى الله تعالى عظيم جداً، حيث إنه مقام الأنبياء والمرسلين، ومقام الداعين الصادقين إلى الحق إلى يوم الدين، على مر العصور والدهور، و في هذا الزمان الذي أصبحت فيه حاجة الناس إلى منهج الله كبيرة، بعد التخبط العجيب الذي يعيشون فيه ليس هناك طريق إلى إسعادهم، ونجاتهم ودلالتهم، إلا دعوتهم إلى الله تبارك وتعالى.

وحيث إن للدعوة إلى الله هذه المنزلة الكبيرة، التي تكمن في تخليص البشرية، كل البشرية من الشقاء، وإنقاذها من الجهالة، وإخراجها من الظلمات إلى النور، كان القائم بها له النصيب الأكبر من تلك المكانة، والمنزلة الرفيعة من بين سائر المنازل، وله الثمرة اليانعة في حياته الدنيا وفي الآخرة لقيامه بمهمة دعوة الناس إلى دين الله رب العالمين، وفي هذا المبحث سوف يتعرض الباحث لمعنى الدعوة إلى الله، ووجوبها، على المسلم، وذكر بعض صور ومجالات الدعوة إلى الله في هذا العصر، وأثر ذلك في إسعاد المسلم .

أ ـ معنى الدعوة إلى الله :

الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان بـه ، بـما جـاءت بـه رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به(٣٢١).

وكلمة الدعوة مصطلح إسلامي خاص، وهنـاك علاقـة وثيقة بين مـدلول اللفـظ في الأصـل اللغـوي وبـين اسـتعماله كاصطلاح، حيث نجد أن هذا اللفظ (الـدعوة) لا يحمـل إلا معنى واحداً وهو أن تميل الشيء إليك بصـوت وكـلام يكـون منك، أي يدل معنى اللفظ على الإمالة والترغيب .(٣٢٢) فالـذي يدعو إلى الله يقوم بإمالة الناس وتـرغيبهم في ديـن الله تعـالى ، ولا شك أن هذه الإمالة هي أحسن الأقوال على الإطلاق كـما أخبر الله تعالى بذلك حيث قال :((ومن أحسن قولاً ممن دعـا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين))(٣٢٣)ورسول الله الذي هو أسعد البشر قام بهذه الدعوة، فإنه أمر الخلق بكل مـا أمر الله به، ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه . أمر بكـل معـروف ونهى عن كل منكر(٣٢٤).

---

(٣٢١) فتاوى ابن تيمية ١٥/ ١٥٧

(٣٢٢) انظر معجم مقاييس اللغة ابن فـارس ٢/ ٢٩٧والمنطلـق محمـد الراشـد، دار المنطلق للنشر والتوزيع طبعة عام ١٤١٥هـ . ص٦٦ .

(٣٢٣) سورة فصلت آية ٣٣ .

(٣٢٤) مجموع الفتاوى ١٥/ ١٦١.

والواقع أن الدعوة إلى الله هي وظيفة الرسل جميعاً، ومن أجلها بعثهم الله إلى الناس، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله ، وإفراده بالعبادة ، على النحو الذي شرعه لهم .

وكل ما أحبه الله ورسوله من واجب ومستحب ، ومن باطن وظاهر، فمن الدعوة إلى الله : الأمر به . وكل ما أبغضه الله ورسوله ، من باطن وظاهر فمن الدعوة إلى الله النهي عنه. ولا تتم الدعوة إلى الله إلا بالدعوة إلى أن يفعل ما أحبه الله، ويترك ما أبغضه الله ، سواء كان من الأقوال أو الأعمال الباطنة أو الظاهرة[٣٢٥].

ب ـ وجوب الدعوة إلى الله :

وقد ورد في القران الكريم آيات كثيرة توجب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، منها ما كان خطاباً للنبي عليه الصلاة والسلام فتدخل أمته في الخطاب تبعاً له ، ومنها ما خاطبت به الأمة مباشرة .

فمن الآيات التي خاطبت النبي عليه الصلاة والسلام : ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[٣٢٦] وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى**

---

(٣٢٥) انظر أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ص٢٦ ومجموع الفتاوى ١٥/ ١٦٤ .

(٣٢٦) سورة النحل آية ١٢٥.

هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ وأيضاً قوله عز وجل: **﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**[327].

ومن الآيات التي فيها خطاب مباشر للأمة بالدعوة إلى الله، قوله تعالى: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾**[328] وأيضاً قوله تعالى: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾**[329]، وقوله تعالى: **﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾**[330] وقوله تعالى **﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾**[331].

وبين الرسول عليه الصلاة والسلام الفضل العظيم في هداية الناس فقال للصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه ((لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً من حمر النعم))[332].

(٣٢٧) سورة القصص آية ٨٧

(٣٢٨) سورة التوبة آية ٧١

(٣٢٩) سورة آل عمران آية ١١٠

(٣٣٠) سورة الحج آية ٤١

(٣٣١) سورة المائدة آية ٢

(٣٣٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي رضي الله عنه، برقم ٤٤٢٣.

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام (من دعا إلى هـدى كـان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا)[٣٣٣]

وفي وجوب إنكار المنكر يقول عليه الصلاة والسلام ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))[٣٣٤].

يتبين من هـذا أن الـدعوة إلى الله تعـالى واجبـة عـلى كـل مسلم ، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقم بـه غـيره ، وهـذا شـأن الأمـر بالمعروف والنهي عـن المنكـر، وتبليـغ مـا جـاء بـه الرسـول، والجهاد في سبيل الله، وتعليم الإيمان والقرآن[٣٣٥].

ج ـ مجالات الدعوة إلى الله :

وتتعدد مجالات الدعوة إلى الله وتتنـوع في هـذا العصـر، لكثرة المتغيرات والوسائل، والفرص المتاحـة، فكـما أن هنـاك نوع تطور في وسائل الصد عن سبيل الله، وإغراء الناس بزينـة

(٣٣٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، برقم ٤٨٣١

(٣٣٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان برقم ٧٠

(٣٣٥) المنطلق ص٧٠، مرجع سابق .

الحياة الدنيا وشهواتها، ومحاولة إبعادهم عن دين الله، بوسائل متعددة، وتقنيات متطورة، فإن هناك أيضاً تعدداً لمجالات الدعوة إلى الله عند المسلم المعاصر، فبالإضافة إلى الوسائل العامة (الأصلية) في دعوة الناس كخطبة الجمعة، والمحاضرات العامة، والدروس العلمية، والوعظ والإرشاد العام ، فإن هناك ، مجالات كثيرة في الحياة المعاصرة ، قد شملتها الدعوة إلى الله ، ومن أمثلة ذلك ، التقنيات المعاصرة مثل شبكات المعلومات، وبرامج الحاسب الآلي، والقنوات الفضائية، التي بدأ كثير من الدعاة اقتحامها في هذا العصر، ومحاولة مزاحمة أهل الباطل في التأثير على الناس بالخير والدعوة إلى الله، ضمن برامج وندوات، ومسابقات، تساهم في نشر الكلمة الطيبة بالأسلوب الحسن المتقدم المعاصر .

كذلك انتشرت كثير من التجمعات الشبابية في المراكز الإسلامية في بلدان العالم بلا استثناء، والمخيمات الموسمية، لإشغال شريحة الشباب بالنافع المفيد، وهذا من باب الدعوة الى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى قيام أعداد كبيرة من الهيئات التطوعية، بالخدمات الاجتماعية العامة، من رعاية للأيتام وكفالتهم ، ومساعدة للمحتاجين وإعانتهم .[٣٣٦]

---

(٣٣٦) انظر الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد خياط، دار المجتمع، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ . ص ١٦٢

وأيضاً ما تقوم به جمعيات تحفيظ القرآن الكريم من خدمة لكتاب الله تعالى، وتحفيظه للنشء، وتربيتهم على مائدة القرآن الكريم، وانتشار فروع تلك الجمعيات ليس في البلدان الإسلامية فحسب بل حتى في البلدان غير المسلمة، وأذكر على سبيل المثال، ما تقوم به رابطة العالم الإسلامي، في هذا المجال، بتعميد بعض الهيئات التابعة لها ـ مثل الهيئة العالمية لتحفيظ القرآن الكريم ـ ببرامج لتحفيظ القرآن الكريم في معظم دول العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وكان لذلك أثر كبير في ربط أبناء المسلمين في تلك البلاد بالقرآن الكريم .

د ـ أثر الدعوة إلى الله في تحقيق السعادة في حياة المسلم المعاصر:

إن تعدد مجالات الدعوة إلى الله في هذا العصر، لا تجعل لأي مسلم حجة أو عذراً يبيح له التخلف عن المشاركة، ولا يمكن لأي أحد أن يتحجج بفرضية الكفاية، فإن حاجة المسلمين اليوم للدعوة إلي الله ـ في كافة نواحي الحياة ـ شديدة، والتخلف الحاصل في حياتهم لا يمكن أن يتلاشى أو يزول إلا بأن تكون الدعوة إل الله تعالى، وخدمة دين الإسلام جارية في عروقهم سارية في دمائهم .

وإذا أضيف إلى ذلك تسلط الكافرين، واحتلالهم لبلدان إسلامية ـ أياً كان هذا الاحتلال مادياً أم فكرياً ـ وتربص أهل

الكفـر بالمسـلمين أن يتقـدموا، فيقيمـون لـذلك المـؤتمرات، والمعاهدات والاتفاقات، من أجـل عـدم تقـدم المسـلمين، إذا أضيف هذا إلى التخلف السابق لم يبـق للمسـلم عـذر. بـل لا يمكن أن يتصور أن يعيش المسـلم في طمأنينـة وسـعادة وهـو يعلم بحاجة أهل الإسـلام، ثـم هـو لا يقـدم شـيئاً ولا يقـوم بواجب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.[٣٣٧]

ومن ثم كانت المشاركة في الدعوة إلى الله تبـارك وتعـالى، عملاً عظيماً من العمل الصالح، الذي هو سـبب مـن أسـباب السعادة، والمسلم الذي يعايش ضـعف المسـلمين اليـوم، يجـد السعادة واللذة في نصرتهم، والوقوف معهم وتقديم كل مـا في وسعه وطاقته لإعانتهم، وهو يستشعر بهـذا العمـل أنـه يقـوم بمهمة الأنبياء والرسل الذين قاموا بتبليغ دين الله إلى النـاس. وأنه على خطا السعداء سائر، وفي طريقهم يخطو ويثابر.

وربما أن قصر مفهوم الدعوة إلى الله في تصورات بعـض المسلمين اليوم، أدى إلى تراجع البعض مـنهم عـن أعـمال قـد يكون بها انتصار كبير، وخدمة جليلة للإسلام، كالذي يتصور أن الدعوة إلى الله لا تكون إلا بالخطبة والموعظـة الكلاميـة، أو

(٣٣٧) انظر منهاج النبوة في الدعوة الى الله، مهدي مبجر، مطبوعات مؤسسة الحرمين الخيرية .ص٢٩ .

درس المسجد، فيضعف بالتالي عن مشاركة إخوانه المسلمين العاملين في أي مجال من مجالات الدعوة إلى الله. والواقع أن الدعوة إلى الله، قد تغلغلت في هذا الزمان في أوساط المجتمع ـ كل المجتمع ـ فلا تكاد تجد مجالاً من المجالات إلا وقائم بالدعوة هناك، يطلب من يعينه ويقف معه .

نماذج من مجالات الدعوة إلى الله :

أولاً :تعلم العلم وتعليمه (طلب العلم) :

إن التفريق الحادث بين طلب العلم و بين الدعوة إلى الله ، تفريق ليس له مستند صحيح ـ وإن كان قد اشتهر ذلـك ـ لأن تعلم العلم إن لم يكن للعمل به (ومن العمل به تعليمـه) فـلا فائدة فيه ، لأن المقصود من العلم هو العمل ، كما قال الله تعالى ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾ ، فبعد العلم مباشرة يأتي الأمر بالاستغفار وهو من العمل ، وعن سفيان بن عيينـه أنه سئل عن فضل العلم فقـال :ألم تسـمع قولـه حـين بـدأ بـه ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ**﴾ فـأمر بالعمـل بعـد العلم ، وقـال: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَـةٌ...**﴾ إلى قوله تعالى :﴿**وَسَـارِعُواْ إِلَى مَغْفِـرَةٍ مِّـن رَّبِّكُـمْ**﴾[٣٣٨] وقولـه تعـالى ﴿**وَاعْلَمُـواْ أَنَّـمَا أَمْـوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُـمْ فِتْنَـةٌ ...ثـم قـال:فاحـذروهم**﴾[٣٣٩]، وقـال ﴿**وَاعْلَمُـواْ أَنَّـمَا غَنِمْـتُم مِّـن شَيْءٍ....**﴾[٣٤٠] ثم أمر بالعمل.[٣٤١]

---

(٣٣٨) سورة الحديد آية ٢٠- ٢١.

(٣٣٩) سورة التغابن آية ١٤

(٣٤٠) سورة الأنفال آية ٤١

(٣٤١) تفسير القرطبي ٢٠٥/١٦ مرجع سابق .

وهكـذا نجـد أن اقـتران العلـم بالعمـل هـو الغالـب في النصوص الشرعية ، فعندما يعلم المسلم يجب أن يكـون لهـذا العلم أثرٌ في حياته ، وإنما يكون ذلك إذا سـخر هـذا العلـم في تعليم غيره، وفي نشر الخير لأبنـاء الأمـة، أمـا اكتسـاب العلـم وطلبه ، للاستكثار من المسائل، أو للاستزادة من المعارف، فإن هذا لم يكن هو طريق المؤمنين الصالحين، الـذين كـان لهـم دور في نهضـة الأمـة وبنائهـا ، وحـال علـماء الإسـلام في القـديم والحديث ، يشهد لهـذا ، أنهـم كـانوا يقومـون بنقـل علمهـم لغيرهم تعليماً وتربية ومخالطة لعامة الأمة وخاصتهم .[٣٤٢]

ولهذا الأمر(جعل الله تعالى شرط النجاة من الخسـران ـ في سورة العصرـ معلقـاً بمعرفـة النـاس للحـق، وإذا عرفـوه ألزموا أنفسهم به ، ومكنوه من قلوبهم وعاشوا بالحق وللحق، ولا يعفون من المسؤولية ولا ينجون بأنفسهم إذا عرفوا الحـق، ولم يبشـروا به ويـدعون النـاس إليـه، ويحملـونهم حمـلاً عـلى التمسك بالحق واتباع الحق .فالدعوة إلى الحـق والتبشـير بـه : فرع الإيمان بالحق ومعرفة الحق، ولا يـتم الأصـل بـدون هـذا الفرع، الذي هو الدعوة إلى الحق والتبشير به بين الناس ، ومن

---

(٣٤٢) هـذا مـع عـدم التقليـل مـن شـأن العلـم بحـد ذاتـه، فقـد ذكـر ابـن القيـم رحمـه الله تعـالى في كتابـه مفتـاح دار السـعادة (١٥٣) وجهـاً في فضـل العلم وأهله، انظر مفتاح دار السعادة ٢١٩/١.

لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح، بعد أن يعرفه ويتبعه ، فهو من الخاسرين، لأن أمر الله تبارك وتعالى صريح في هذه الآية، وهو التواصي بالحق، والتواصي بالحق يحمل معنى الدعوة إلى الحق بكل صراحة وقوة، فإذا عرفت الحق ورأيت أهل الباطل يزيغون عن الحق، ولم تدعهم إلى اتباع الحق ، وتوصهم باتباع طريق الحق، الذي هو الصراط المستقيم، والنور المبين ، فلا شك أنك من الخاسرين، لأنك لم تنفذ أمر الله ، وتتواصى بالحق ، ولأنك أخذت الحق لنفسك ولم تحمل عليه غيرك ، من الزائغين المنحرفين أو المخطئين التائهين ، والمسلم لا يعيش لنفسه فقط، بل يعيش لنفسه وللناس ، فإذا أصلح نفسه : وجب عليه إصلاح غيره، والدعوة الى الإصلاح تشمل الناس جميعاً ، كل على حسب طاقته ، وبقدر نطاقه الذي يحيط به)[٣٤٣].

وأما أثر التعلم والتعليم في جلب السعادة للمسلم في حياته الدنيا وفي الآخرة، فمما ينشأ عنه، من لذة لا تدانيها لذة، ومتعة في طلب العلم وتحصيله تفوق كل الملذات الأخرى، وقد ذكر كثير ممن عاشوا سعادة حقيقية في حياتهم الدنيا أن لطلب العلم دوراً بارزاً في ذلك ، ومنهم الإمام الجوزي رحمه

(٣٤٣) المنطلق، محمد الراشد ص ١٠٣ .

الله تعالى فقد كان يقول : (تأملت أحوال الناس في حالة علو شأنهم، فرأيت أكثر الخلق تبين خسارهم حينئذ، فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب، ومنهم من فرط في اكتساب العلم، ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات، حينئذ كلهم نادم في حال الكبر، حين فوات الاستدراك، لذنوب سلفت، أو قوى ضعفت، أو فضيلة فاتت، فيمضي زمان الكبر في حسرات ، فإن كانت لشيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت قال واأسفاه على ما جنيت وإن لم يكن لـه إفاقة سار متأسفاً على فوات ما كان يلتذ به، فأما من أنفق عصر الشباب في العلم، فإنه في زمن الشيخوخة يحمد جنى ما غرس و يلتذ بتصنيف ما جمع ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئاً، بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم ، هذا مع وجود لذاته في الطلب الذي كان تأمل به إدراك المطلوب، وربما كانت تلك الأعمال أطيب مما نيل منها، كما قال الشاعر :

أهتز عند تمني وصلها طرباً ** ورب أمنية أحلى من الظفر

ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشيرتي، الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم فرأيتني لم يفتني مما نالوه إلا ما لو حصل لي ندمت عليه ثم تأملت حالي فإذ عيشي في الدنيا أجود من عيشهم،

وجاهي بين الناس أعلى من جاههم، وما نلته من معرفة العلم، لا يقاوم فقال لي ابليس ونسيت تعبك وسهرك فقلت له أيها الجاهل تقطيع الأيادي لا وقع له عند رؤية يوسف، وما طالت طريق أدت إلى صديق .

ولقد كنت في حلاوة طلب العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو ، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي للحديث وآداب سير الرسول عليه الصلاة والسلام، وأحواله وآدابه وأحوال الصحابة وتابعيهم، فصرت في معرفة طريقه كابن أجود، وأثمر ذلك عندي من المعاملة ما لا يدرك بالعلم ، حتى أني أذكر في زمن الصبوة ووقت الغلمة والعزبة قدرتي على أشياء كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال، ولم يمنعني منها إلا ما أثمر عندي من العلم من خوف الله عز وجل)[٣٤٤].

---

(٣٤٤) صيد الخاطر، دار اليمامة للطباعة، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ ص ٢٦٧، ٢٦٨

ولما كان من مقتضيات تعلم العلم العمل به وتبليغه للناس، فقد كان لابن الجوزي رحمه الله تعالى النصيب الأكبر من ذلك، فقد تاب على يديه في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف، وأسلم على يديه أكثر من مئتي نفس، وكم سالت عين متجبر بوعظه ودعوته لم تكن تسيل، وكان يجلس حوله في المجلس الواحد أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من رق قلبه أو دمعت عينه(٣٤٥).

وهكذا نرى أن طلب العلم إذا رافقه العمل حصل به المقصود من إسعاد المسلم في حياته الدنيا و في الآخرة، أما ما يلاحظ في هذا العصر من كثرة من يتعلم، وقلة من يستفيد من علمه في إسعاد نفسه ، فيرجع ذلك إلى أسباب لعل من أبرزها ضعف الإخلاص في طلب العلم ، أو طلب العلم وتعلمه للدنيا ولنيل عالي الدرجات ، أو عدم معرفة الطريقة الصحيحة للتعلم ، أو عدم تبليغ العلم وإيصاله للناس الى غير ذلك من الأسباب التي أدت إلى عدم الوصول إلى الثمرة الحقيقية من العلم.(٣٤٦)

ويكفي شرفاً للعلم وتعلمه أحاديث عدة رويت في شأن العلم وتعلمه منها ، ما رواه الصحابي الجليل معاذ بن جبل

---

(٣٤٥) المصدر السابق ص٢٦٨

(٣٤٦) انظر الركائز الأساسية لطالب العلم، وحيد بالي، مكتبة التابعين، طبعة علم ١٤١٧هـ ص٧

رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو الأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواماً، فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص أثارهم، ويقتدي بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خدمتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البحر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، هو إمام العمل، والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء)[٣٤٧].

---

(٣٤٧) رواه ابن عبد البر، مختصر جامع بيان العلم وفضله، دار الخير، الطبعة الأولى ١٤١٣. ص ٥٣ قال ابن القيم موقوف على معاذ، مفتاح دار السعادة ٥٣٢/١ ، وقال الألباني موضوع، ضعيف الترغيب والترهيب برقم ٤٧ .

ثانياً :الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن مما يلاحظ اليوم على واقع الكثير من المسلمين المعاصرين ، ضعف اهتمام الفرد بالمجتمع وقضاياه وبالأمة ومصيرها ، فقد أصبح هذا الإحساس معدوماً أو غائباً، بل ربما كان مغيباً حتى عن النشء الصاعد من أبناء هذا الجيل، ومما زاد الأمر خطورة عدم استشعار الانتماء للأمة عند الكثيرين ، وما ذاك إلا بسبب التبعية الثقافية والفكرية للعلم المتحضر ، الذي تشكل فيه الأنانية النسبة العالية بين الأفراد ، والذي أصبحت المصلحة الشخصية فيه هي الهدف الأسمى.[348]

ولما كان المسلم ينتمي إلى أمة هي خير أمة أخرجت للناس، كان من الضروري عليه المعايشة الكاملة لكل خصائص هذه الأمة ، والاقتداء بمن جعلهم الله تبارك وتعالى نبراساً للحائرين ، وهداة للضالين ، من أنبياء الله ورسله وأتباعهم الصادقين المخلصين، ومن أجل ما تميزت به هذه الأمة العظيمة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،[349] هذه الميزة التي وصف الله تعالى بها نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام

---

(٣٤٨) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار المجتمع الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ. ص٣٠ .

(٣٤٩) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في حفظ الأمة د. عبدالعزيز المسعود ، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١/ ٤٤ .

في كتابه الكريم ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٣٥٠]، وكذلك هو وصف للأمة جميعاً﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٣٥١]

وهو وصف أهل الإيمان كذلك ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[٣٥٢].

أ ـ أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق السعادة:

قد ذكر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم سبل فلاح النفس الإنسانية وتزكيتها وأمر بتحقيق ذلك والحث عليه، فقال سبحانه وتعالى ((قد أفلح من زكاها))[٣٥٣]، وبين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وسائل نيل ذلك الفلاح بقوله تعالى ((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون))[٣٥٤] وبقوله تعالى ((يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون))[٣٥٥] فالفلاح في الآيتين الأخيرتين تعلق بالدعوة إلى الخير وبالأمر بالمعروف والنهي

---

(٣٥٠) سورة الأعراف آية ١٥٧

(٣٥١) سورة آل عمران آية ١١٠.

(٣٥٢) سورة التوبة آية ٧١

(٣٥٣) سورة الشمس آية ٩

(٣٥٤) آل عمران آية١٠٤

(٣٥٥) سورة المائدة آية ٣٥

عن المنكر وبالتقوى والعمل الصالح وبالجهاد مما يدل على أن الفلاح المتعلق بتزكية النفس يدخل فيه هذا كله .[٣٥٦]

والدعوة إلى الخير والمعروف تؤكدهما في النفس وذلك يزكيها ، والنهي عن المنكر يقبحه في النفس وذلك يزكيها، ولا يتصور أن يعيش المسلم في سعادة ونعيم، في عصر مليء بالمنكرات الأخلاقية، والفكرية، والاجتماعية، وهو لم يتحرك منه ساكن تجاه ذلك كله، ولم يقم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إن القلق النفسي الذي يعاني منه المؤمنون تجاه المنكرات القائمة هو قلق طبيعي يبعث المؤمن على تغيير المنكرات على قدر استطاعته بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وإن كان ذلك أضعف الإيمان كما جاءت الإشارة إلى ذلك في الحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان)[٣٥٧].

---

(٣٥٦) انظر تفسير ابن كثير دار المعرفة بيروت ١٤٠٩هـ ٤/٥٥١

(٣٥٧) سبق تخريجه .ص٧٢

ب ـ صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن المسلم المعاصر الذي تحددت لديه معالم طريق السعادة، يجد أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمشاركة فيه باب واسع جداً وله صور متعددة أذكرها إجمالاً بناءً على استقراء الواقع الدعوي، فمن ذلك :

١ ـ المشاركة في عموم الأعمال الدعوية، من برامج توعية الناس بأمور الدين، أو مساعدة الفقراء والمساكين، أو قضاء حوائج المحتاجين ، ويدخل في ذلك كل عمل يمكن للمسلم القيام به للناس على قدر استطاعته، فالذي يشارك في نشر الخير بين الناس بأي مشاركة كتوزيع الإعلانات للمحاضرات والندوات، أو الأشرطة والكتيبات، أو توزيع الأطعمة والأغذية على مستحقيها، أو غير ذلك من الأعمال كلها داخلة في باب الأمر بالمعروف .

٢ـ إقامة البرامج البديلة للغثاء السائد في مجالات الثقافة والإعلام المعاصرة، من قنوات فضائية، أو مجلات دورية، أو مواقع الكترونية، وتحديث وسائل دعوية تناسب مستوى العصر، كل ذلك يدخل في باب النهي عن المنكر.

٣ ـ مخالطة أفراد المجتمع ، في مجالسهم ومنتدياتهم وحثهم على أمور الدين وتعليمهم ما يجهلون منه، وإرشادهم إلى البعد عن المعاصي وترك ما حرم الله تعالى بالأسلوب الحكيم.[٣٥٨]

٤ ـ تربية الأبناء على الالتزام بأحكام الإسلام باطناً وظاهراً، وتدريبهم على أفعال الخير وتعويدهم على الأعمال الصالحة منذ الصغر . وفيما قص الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم علينا من وصايا لقمان لابنه فوائد عظيمة حيث خصص له وصية عظيمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أمره بالصلاة ((يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور))[٣٥٩].

٥ ـ تذكير الناس بالصلاة في أوقاتها ، وأمرهم بالمسارعة لها، في الأماكن العامة، والمنتديات، والأسواق. وقد تكون هذه الصورة هي المشهورة عند الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بينما الأمر أعم من ذلك، كما ذكرنا .

---

(٣٥٨) انظر الأسلوب التربوي في الدعوة إلى الله ص١٦٣

(٣٥٩) سورة لقمان آية ١٧

٦ ـ محاربة الرذيلة، والفساد، والفواحش في المجتمع بأي وسيلة مناسبة، وإعانة الجهات المسئولة عن ذلك، والتعاون مع تلك الجهات على البر والتقوى .

٧ ـ التربية الدعوية لشباب الإسلام على منهج الإسلام الشامل لكل نواحي الحياة، وإعداد شخصيات إسلامية دعوية، قادرة على تحمل الدعوة إلى الله، والسير في طريق الله، للتمكين للإسلام في الأرض، وإصلاح أوضاع المجتمع، والاهتمام بقضايا المسلمين.

ثالثاً : **الجهاد في سبيل الله** :

معنى الجهاد :

لغــة : من المشقة و بذل الوسع ، وجهد الرجل في كذا أي جد فيه و بالغ[٣٦٠].

اصطلاحاً : يعرفه عبد الله عزام بقوله (اتفق الفقهاء الأربعة على أن الجهاد هو القتال والعون فيه)[٣٦١].

قال الله تعالى : **﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[٣٦٢].

---

(٣٦٠) مختار الصحاح ص ١١٤

(٣٦١) عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر دار المجتمع ،الطبعة ١٤٠٨هـ ص٦.(نقلاً عن الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله)

وهذا هو الجهاد الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الجنة تحت ظلال السيوف))[363] .

ولأهمية الجهاد في حياة المسلم وأمته ولأن في تركه الذل والصغار حذر النبي عليه الصلاة والسلام من التشاغل عن الجهاد بأي أمر من الأمور لأن ذلك يورث النفاق، قال عليه الصلاة والسلام ((من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق))[364]، وقال أيضاً (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع،وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)[365].

نرى من ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام جعل ترك الجهاد نكوصاً عن الدين ، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله : (إن التشاغل عن الجهاد بالتجارة والزراعة والمعاملات الربوية من أسباب ذل المسلمين وتسليط أعدائهم عليهم كما هو الواقع)[366].

---

(٣٦٢) سورة التوبة آية ٨٨

(٣٦٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد باب الجنة تحت بارقة السيوف برقم ٢٦٠٧

(٣٦٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو برقم ٣٥٣٣

(٣٦٥) رواه أبو داود في السنن كتاب البيوع، باب النهي عن العينة، برقم ٣٠٠٣ روي من وجهين ضعيفين، السنن الكبرى للبيهقي ٣١٦/٥

(٣٦٦) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر - ص٥٥

وباب الجهاد مفتوح إلى يوم القيامة، وحاجة المسلمين اليوم إليه على أشدها في وقت سلبوا فيه الأرض، والمقدسات وغربت فيه شمس العزة الإسلامية عن الدنيا، وتسلم أعداء الله زمام الأمور .[٣٦٧]

ومن يقتل مجاهداً في سبيل الله فقد نال السعادة يقيناً ، بما أعده الله تبارك وتعالى لـه من الجزاء الأخروي العظيم، يقول النبي عليه الصلاة والسلام : (للشهيد عند الله ست خصال، يغفر لـه عند أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويؤمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين من أهل بيته)[٣٦٨]، ومن قتل مجاهداً في سبيل الله، فهو حي، عند الله تبارك وتعالى كما روى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانكم بأحد : جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة

---

(٣٦٧) منهج الإسلام في تزكية النفوس أنيس كرزون ص٢٢٠

(٣٦٨) إسناده صحيح انظر مشكاة المصابيح برقم ٣٧٥٧

نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله سبحانه أنا أبلغهم عنكم[369] قال : فأنزل الله ﴿**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[370].

و لما كان الجهاد بهذا المفهوم من المسائل العامة للأمة فإنه لا يتسرع في إيجابه على كل المسلمين بل يوكل ذلك إلى علماء الأمة، فهو من باب مسائل السياسة الشرعية التي يراعى فيها جانب القوة والضعف وإعداد العدة لملاقاة الكافرين وترجح المصلحة في القتال ، إلى غير ذلك من الأمور المهمة ، و لكن الذي يجب أن يكون حاضراً في ذهن المسلم هو أن الجهاد عامل أساسي من عوامل النصر والتمكين، وأنه حتى تقوم قائمة للإسلام لابد من وجود فئة مجاهدة تقاتل في سبيل الله قد باعت أرواحها لله تعالى .

الخلاصة :

يتضح لنا من هذا المبحث أن باب التواصي بالحق ـ والذي هو الركن الثالث من أركان النجاة من الخسران ونيل السعادة ـ هو الدعوة إلى الله بمفهومها الواسع الشامل، والتي تشمل العلم، طلباً وتعليماً وتشمل النصيحة للمسلمين ، جميعاً،

---

(٣٦٩) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة، برقم ٢١٥٨ قال الزيلعي معناه في مسلم، الكشاف ١/ ٢٤٢

(٣٧٠) سورة آل عمران آية ١٧٠

بالكلمة الطيبة والموعظـة الحسـنة، و تشـمل الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر بآدابه وأسـاليبه، وتشـمل الجهـاد في سـبيل نصرة الدين، بعموم أنواع الجهاد المشروعة .

فعندما يكون المسلم داعياً إلى الله تعالى، متواصـياً مـع إخوانـه المسلمين بالحق، دائما، في كل أحواله، فقد حقق سبباً عظيماً من أسباب السعادة المنشودة .



المبحث الرابع

حسن الخلق

إن المسلم إذا اتصف بحسن الخلق حاز سبقاً عظيماً في تعامله مع من حوله، بل حتى في تعامله مع ذاته هو، فسوف يجد طمأنينة واستقرارا كبيرين، ثمرة لتوافق ما يحمل من إيمان وعمل صالح مع ما يتحلى به من أخلاق كريمة قد حث الإسلام عليها .[371]

ومن يتأمل أحوال البشر جميعاً يجد أنهم قد فطروا على قبول ما يستحسن من الأخلاق ، و رفض ما يكره منها ، وقد كان الناس وهم يعيشون في جاهلية جهلاء يقدرون صاحب الأخلاق الكريمة ، ويكبرونه ، ويحترمونه ، لاتصافه بحسن الخلق .

ولذلك عبر رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أهمية الأخلاق والاتصاف بها بقوله (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)[372] ، ووصف عليه الصلاة السلام حسن الخلق بأوصاف عظيمة، وأنزل صاحبها منازل رفيعة فمن ذلك أن صاحب الأخلاق الحسنة هو أحب عباد الله إلى الله ، و أن خير ما أعطي الإنسان الخلق الحسن، وأن صاحب الخلق الحسن هو

---

(٣٧١) انظر إحياء علوم الدين للغزالي ٣/١٧٧

(٣٧٢) رواه احمد رقم ٨٩٣٩. صححه الألباني انظر صحيح الأدب المفرد ٢٠٧

أحسن الناس إسلاماً، وأكملهم إيماناً، وأيضاً فإن صاحب الخلق الحسن يصل بحسن خلقه درجة الصائم القائم، كل تلك العبارات في بيان أهمية حسن الخلق تبين ما له دور كبير في صياغة الشخصية المسلمة السعيدة .[٣٧٣]

وهو قبل ذلك خلق الرسول عليه الصلاة والسلام الذي وصفه الله تعالى بقوله : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٣٧٤] وهو وصيته لأصحابه رضي الله عنهم ووصية أصحابه بعضهم بعضاً.

وسوف يعرض المؤلف في هذا المبحث إلى معنى الخلق، ومعنى حسن الخلق وأركانه وأثره في تحقيق السعادة في حياة المسلم ، ونماذج من أهم الأخلاق الإسلامية العظيمة.

أولاً : **معنى الخلق** :

الخلق ـ بضم اللام وسكونها ـ هو الدين والطبع والسجية . وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختلفة[٣٧٥].

---

(٣٧٣) انظر الخلق الكامل، محمد جاد المولى ٣/١

(٣٧٤) سورة القلم آية ٤

(٣٧٥) لسان العرب لابن منظور ١٩٤/٤

ويفصل الغزالي رحمه الله تعالى في تعريف الخلـق فيقـول : (ويراد بالخلق الصورة الظاهرة ، ويراد بالخلق الصورة الباطنة، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدركة بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة ، إما قبيحة وإما جميلة، فالنفس المدركة بالبصيرة ، أعظم قـدراً مـن الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمر الإنسان، بإضـافته إليه، إذ قال تعالى ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَـرًا مِـن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[٣٧٦] فنبـه عـلى أن الجسـد منسـوب إلى الطـين ، والـروح إلى رب العالمين، والمراد بالروح والنفس في هذا المقـام واحـد، فـالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسـهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كانت الهيئـة بحيـث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقـلاً وشرعـاً، سـميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحـة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً .[٣٧٧]

(٣٧٦) سورة الصافات آية ٧١

(٣٧٧) إحياء علوم الدين للغزالي ٥٣/٣

ثانياً :معنى حسن الخلق :

يعرفه الإمام أحمد رحمه الله بأنه: (سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال ، وقد يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس) .

وهو في ذات الله تعالى أن يكون العبد منشرح الصدر بأوامر الله ونواهيه ، يفعل ما فرض عليه ، طيب النفس به سلساً نحوه ، وينتهي عما حرم عليه واسعاً به غير متضجر منه، ويرغب في نوافل الخير، ويترك كثيراً من المباح لوجه الله تعالى إذا رأى أن تركه أقرب إلى العبودية من فعله ، مستبشراً لذلك غير ضجر منه ولا متعسر به .

وهو في المعاملات بين الناس: أن يكون سمحاً بحقوقه، لا يطالب غيره بها، ويوفي ما يجب لغيره عليه منها، فإن مرض لم يعد ، أو قدم من سفر فلم يزر أو سلم فلم يرد عليه، أو ضاف فلم يكرم، أو شفع فلم يجب، أو أحسن فلم يشكر، أو دخل على قوم فلم يمكن ، أو تكلم فلم ينصت له، أو استأذن على صديق فلم يأذن له، أو خطب فلم يزوج، أو استمهل الدين فلم يمهل أو استنقص فلم ينقص، وما أشبه ذلك، لم يغضب، ولم يعاقب، ولم يتنكر من حاله حال، ولم يستشعر في نفسه أنه قد جفي وأوحش، وأنه يقابل كل ذلك إذا وجد السبيل إليه بمثله، بل يضم أنه لا يعتد بشئ من ذلك، ويقابل

كلاً منه بما هو أحسن وأفضل وأقرب، إلى البر والتقوى، وأشبه بما يحمد ويرضى، ثم يكون في اتقاء ما يكون عليه بما يجب أن يكون له ، فإذا مرض أخوه المسلم عاده ، وإن جاءه في شفاعة استشفع له، وإن استمهله في قضاء دين أمهله، وإن احتاج إلى مئونة، وإن احتاج منه إلى معونة أعانه، وإن استسمح له في بيع سمح له، ولا ينظر للذي عامله كيف كانت معاملته إياه فيما خلا، أو كيف يعامل الناس، إنما يتخذ الأحسن إماماً لنفسه، فينحو نحوه ولا يخالفه)[378] .

ثالثاً :أركان حسن الخلق :

الأخلاق الحسنة التي يجب على المسلم التحلي بها كثيرة متعددة ، وحصرها وتعدادها ليس هو مجال البحث، ولكن هناك أركان أساسية تندرج تحتها كل الأخلاق الإسلامية، وهي :

١ ـ العلم الموافق للكتاب والسنة.

٢ ـ الشجاعة .

٣ ـ العفة .

٤ ـ الصبر .[379]

---

(٣٧٨) شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٢٣٠.

(٣٧٩) هداية المشتاق إلى محاسن الأخلاق عبد الله شقيبل، دار القاسم الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ص٢٤.

الركن الأول :العلم الموافق للكتاب والسنة :

إن كل صفة مدح الله تعالى بها العبد في القرآن فهي ثمرة العلم ونتيجته، وكل ذم ذمه فهو ثمرة الجهل ونتيجته، فمدحه بالإيمان وهو رأس العلم ولبه ، ومدحه بالعمل الصالح الذي هو ثمرة العلم النافع ، ومدحه بالشكر، والصبر، والمسارعة في الخيرات، والحب له، والخوف منه، والرجاء ، والإنابة، والحلم، والوقار ، واللب، والعفة، والكرم، والإيثار على النفس، والنصيحة لعباده ، والرحمة بهم والرأفة، وخفض الجناح، والعفو عن المسيء، إلى سائر الأخلاق المحمودة والأفعال المرضية .[380]

وعندما ينحرف العلم عن حدود الاعتدال فإنه ينحرف إما إلى جهل ناتج عن تفريط في تحصيل العلم، أو إلى ضلال ناتج عن إفراط منحرف في تحصيل العلم، يخرجه عن حدود مصدري التشريع الكتاب والسنة، والاستعاضة عنهما بمصادر أخرى موافقة للأهواء .

(٣٨٠) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١١٧

الركن الثاني :الشجاعة :

الشجاعة لغة هي : شدة القلب في البأس[٣٨١].

واصطلاحاً : انقياد قوة الغضب للشرع في إقدامها وإحجامها ، فهي تقدم إن انتهكت حرمات الله وتحجم إن نادى داعي الهوى لانتصار النفس، فالشجاع هو الذي يغضب لله ، وفي الله ، ومن أجل محارم الله ، لا من أجل الانتصار لنفسه.

ولذلك الشجاع حقيقة هو من ظهرت عليه علامات الشجاعة التي تتمثل في الخصال التالية :[كظم الغيظ ـ العفو ـ الإحسان ـ الحلم ـ الأناة ـ الرحمة ـ الرفق ـ سلامة الصدر ـ حسن الظن ـ التوقير ـ التبسم ـ طلاقة الوجه ـ التواضع ـ التودد ـ الستر ـ التسامح ـ الشهامة ـ النجدة ـ والغضب لله][٣٨٢].

فالمسلم في هذا الزمان معرض لكثير من الظروف والأحوال التي يكون فيها اختباره عن حسن خلقه، ومدى تطبيقه لما يحمل من إيمان، فالمسلم الشجاع إذا أخطأ عليه أحد من إخوانه خطأ في شخصه يكظم عندها غيظه ، ويعفو عنه،

(٣٨١) لسان العرب لابن منظور ٣٦/٧

(٣٨٢) انظر هداية المشتاق ص ٢٧

بل ويحسن إليه، ويتأنى في أموره كلها، ويرحم من تحت يديـه، ويرأف بهم ، وينقي صدره من الغـل والحقـد عـلى المسـلمين، ويحسن ظنه دائماً وأبداً، ويوقر من هو أكبر منه اعترافا بسـابقته واحتراماً لشيبته ، ويصحب الابتسامة ، فإن لها تأثيراً عجيباً في تغيير نفسيته ، إلى الأفضل، ويطلق وجهه لمن لقيه، متواضـعاً، متودداً، متحبباً لإخوته ، ساتراً لما يقع من عيـوب وأخطـاء لا يحب نشر الفضائح والفتن بـين النـاس، متسـامحاً، هينـاً في يـد إخوانه، ذو شهامة ونجدة، ومساعدة ومبادرة ، متعاوناً مقدماً غيره على حظوظ نفسه .

الركن الثالث :**العفة** :

العفة لغة هي: الكف عما لا يحل ويجمل[383].

واصطلاحـــا: تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع[384] .

وللعفة أنواع متعددة :

أ ـ العفة عن شهوة الفرج .

ب ـ العفة عن شهوة اللسان

ج ـ العفة عن شهوة البطن .

---

(٣٨٣) لسان العرب ٩/٢٩٠

(٣٨٤) إحياء علوم الدين ٣/٥٤

د ـ العفة عن شهوة المال .

هـ ـ العفة عن الشهوة الخفية .

ومن علامات أنواع العفة ما يلي :

١ ـ الورع :

والورع المشروع هو: ترك ما يضر في الآخرة ، وهو ترك المحرمات والشبهات ، فأما ما ينفع في الدار الآخرة بنفسه فالزهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾(٣٨٥) ، كما أن الاشتغال بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع ، فإن اشتغل بها عن واجب أو بفعل محرم كان عاصياً وإلا كان منقوصاً عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين.

والورع يكون في النظر ، وفي السمع، وفي الشم، وفي الكلام ، وفي الأكل، وفي المال، وفي الملبس، ولكل ذلك شواهد من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرة أصحابه الكرام رضي الله عنهم .

---

(٣٨٥) سورة المائدة،آية ٨٧.

٢ ـ القناعة :

وهي الرضا بالقسم، يقال : قنع الرجل إذا رضي، وقال أبو ذؤيب الهذلي:

والنفس راغبة إذا رغبتها * وإذا ترد إلى قليل تقنع[٣٨٦].

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه)[٣٨٧] والمسلم الذي رزقه الله القناعة بما عنده، سواء من المال أو من الجاه والمنصب عاش مطمئناً سعيداً، وإلا فقد أتعب نفسه ولن يحصل على ما تريده النفس لأنها لا تشبع من الدنيا أبداً، بل إن هناك وعيداً لمن لم يقنع وجعل همه الدنيا، بأن يشتت الله شمله ويفرق جمعه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، كما جاءت الإشارة إلى ذلك في الحديث النبوي .

٣ ـ الحياء :

الحياء صفة في النفس، تحمل الإنسان على فعل ما يجمل ويزين، وترك ما يدنس ويشين، فتجد ه إذا فعل شيئاً يخالف المروءة استحيا من الناس، وإذا فعل شيئاً محرماً استحيا من الله

---

(٣٨٦) انظر عن هداية المشتاق ، شقيبل ص ٢٨.

(٣٨٧) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة برقم ١٧٤٦.

ـ عز وجل ـ ، وإذا ترك واجباً استحيا من الله، وإذا ترك ما ينبغي فعله استحيا من الناس[٣٨٨].

وذكر ابن القيم رحمه الله أقساماً عشرة للحياء وهي: [حياء جناية، وحياء تقصير، وحياء إجلال، وحياء كرم، وحياء حشمة، وحياء استصغار للنفس واحتقار لها، وحياء محبة، وحياء عبودية، وحياء شرف وعزة ، وحياء المستحيي من نفسه].[٣٨٩]

٤ ـ التعفف :

قال الله تعالى : ﴿ **لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ الله لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** ﴾[٣٩٠].

وعن حكيم ابن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال : (ياحكيم، إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى) قال حكيم فقلت يا رسول الله والذي بعثك بالحق، لا أرزأ أحداً

---

(٣٨٨) شرح رياض الصالحين من كلام سيدا لمرسلين للنووي ٧/ ٢٦

(٣٨٩) تهذيب مدارج السالكين لابن القيم٢/ ٦٢١

(٣٩٠) سورة البقرة ٢ آية٧٣ .

بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يدعو حكيماً ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إن عمر ـ رضي الله عنه ـ دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس حتى توفي)[٣٩١].

ولا شك أن التعفف وعدم سؤال الناس شيئاً يعطي المسلم شرفاً وعزة، في تعامله مع الناس، لأن الناس إذا رأوا الرجل كثير السؤال ـ حتى وإن كان مباحاً ـ ينقص ذلك من قدرهم عنده ومصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق : اليد العليا خير من اليد السفلى .

وهذا موقف لأحد السعداء المتعففين يبين كيف أن من تمتع بحسن الخلق وتعفف تكون لكلمته وقع في نفوس الأجيال، إنه سالم ابن عبد الله ، عندما دخل عليه هشام بن عبد الملك الكعبة، فقال: سلني حاجة، فقال سالم : من حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟ قال بل من حوائج الدنيا، فقال والله ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها؟ ![٣٩٢]

---

(٣٩١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن الأسئلة .برقم ١٣٧٩هـ .

(٣٩٢) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء عقيل موسى ١ /٤٢١.

٥ ـ السخاء والكرم والجود والإنفاق في سبيل الله:

قال الله تعالى ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾[٣٩٣] وقال تعالى ﴿**وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾[٣٩٤]

وفي الحديث النبوي يقول النبي عليه الصلاة والسلام (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله، قالوا يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه ، قال : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر)[٣٩٥].

ولما كان إنفاق المال في وجوه الخير يدل على عدم محبة للدنيا وإيثار ما عند الله تعالى ، كان الإنفاق والكرم وبذل المال للغير باعثاً نفسياً كبيراً على الاطمئنان وراحة النفس واستقرارها، وكان ما يقابل ذلك من البخل وإمساك المال عاملاً مهماً من عوامل الشقاء .

وفي سير السعداء نجد أن الكرم والبذل والإنفاق سمة بارزة في حياتهم فهم لا يحرصون على المال ولا على جمعه إلا لإنفاقه في وجوه الطاعات، ومن أولئك عبد الله ابن المبارك

---

(٣٩٣) سورة سبأ أية ٣٩ .

(٣٩٤) سورة البقرة آية ١٧٢ .

(٣٩٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له برقم ٥٩٦١ .

رحمه الله فقد كان (ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون : نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زى وأكمل مروءة حتى يصلوا إلى مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فيقول لكل واحد : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال لكل واحد منهم : ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول كذا وكذا ، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته عليها اسمه)[٣٩٦]، فأي سعادة يا ترى ينعم بها من هم مثل ابن المبارك في هذا العصر؟ .

---

(٣٩٦) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، عقيل موسى ٢/٦٥٤ مرجع سابق .

٦ ـ الصدق :

أمر الله تعالى بالصدق في كتابه الكريم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٣٩٧]، وأخبر أيضاً أنه في يوم القيامة ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[٣٩٨].

والنبي عليه الصلاة والسلام قد حث أمته على الصدق وبين لهم ثوابه فقال : (إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً)[٣٩٩].

والصدق نقيض الكذب[٤٠٠] وهو(إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد ، فالصدق من طريق واحد، أما نقيضه الكذب فضروب وألوان ومسالك ووديان)[٤٠١] .

(وهو موافقة الحق في السر والعلانية، وحقيقة الصدق: القول بالحق في مواطن الهلكة).[٤٠٢]

---

(٣٩٧) سورة لتوبة آية ١١٩

(٣٩٨) سورة الأحزاب آية٢٤.

(٣٩٩) رواه البخاري، كتاب الأدب ، باب قول الله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ..) برقم ٥٦٢٩

(٤٠٠) لسان العرب ٣٠٦/٧

(٤٠١) حلية طالب العلم ، ضمن المجموعة العلمية ، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ص١٨١

وعند التأمل نجد أن (كل عمل صالح ظاهر أو باطن منشؤه الصدق، وكل عمل فاسد ظاهر أو باطن منشؤه الكذب، والله تعالى يعاقب الكذاب بأن يعقده ويثبطه عن مصالحه، ويثبت الصادق بأن يوفقه للقيام بمصالح دنياه وآخرته، فما استجلبت مصالح الدنيا والآخرة بمثل الصدق، ولا مفاسدها بمثل الكذب)[٤٠٣]. وقد قيل : (للصادق ثلاث خصال : الحلاوة و الملاحة والمهابة)[٤٠٤] . (ولذلك فإن صدق اللهجة عنوان الوقار وشرف النفس، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل، ورسول المودة مع الخلق، وسعادة الجماعة، وصيانة الديانة . فمن تطلع الى سمعة فوق منزلته فليعلم أن في المرصاد رجالاً يحملون بصائر نافذة، وأقلاما نافذة، فيزنون السمعة بالأثر فتتم تعريته عن ثلاث معان : فقد الثقة به من القلوب ، وذهاب علمه ، وانحسار قبوله ، وعدم تصديقه ولو صدق)[٤٠٥] .

وما يشتهر عند بعض الناس في هذا العصر من كلمات رنانة وأساليب مؤثرة كالتي تسمى (الدبلوماسية) أو نحوها

---

(٤٠٢) نزهة الفضلاء، سير أعلام النبلاء ، عقيل موسى، ٧٠٢/٢ .

(٤٠٣) الفوائد ، دار اليقين للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ص١٧٣.

(٤٠٤) المرجع السابق .

(٤٠٥) حلية طالب العلم ، أبو زيد ، ص١٨٣.

من العبارات عند وزنها بالميزان الشرعي نجد أنها مجانبـة لحـال الصـادقين، الـذين اتخـذوا الصـدق منهجـاً لهـم في حيـاتهم، ويظهر أثرها في تعامل الإنسان مع الآخـرين وفي مـدى الثقـة المتبادلة بينه وبين الناس[٤٠٦].

(٤٠٦) انظر : الصدق منجاة ، سعيد عبد العظيم ،دار الإيمان ،ص٩.

الركن الرابع : الصبر

الصبر : نقيض الجزع ، وهو حبس النفس عند الجزع[٤٠٧].

وقد ذكر الله تعالى الصبر في كتابه الكريم في أكثر من تسعين موضعاً ،[٤٠٨] تارة بالأمر به، وتارة ببشارة الصابرين، وأخرى ببيان أجرهم ، وببيان منزلته من الدين، وأنه المحص لاختبار المجاهدين، وأنه شرط من شروط الولاية ، بل ذكر سبحانه وتعالى أن الصبر هو أحد العوامل المنجية للإنسان من الخسران وذلك في قوله تعالى ﴿**وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)**﴾[٤٠٩] .

والنبي عليه الصلاة والسلام أرشد أمته إلى التحلي بالصبر وبين أن الصبر ضياء للمؤمن في هذه الحياة، وأرشد أمته إلى أن من يتصبر يصبره الله، وأن خير ما أعطي المؤمن الصبر، وصح عنه عليه الصلاة والسلام قوله (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)[٤١٠] .

---

(٤٠٧) لسان العرب لابن منظور ٢٧٦/٧

(٤٠٨) انظر هداية المشتاق إلى محاسن الأخلاق ص٥١، .

(٤٠٩) سورة العصر (١ ـ ٣)

(٤١٠) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب، المؤمن أمره كله خير . برقم ٥٣١٨ .

من ذلك يتبين أن الصبر أمر واجب على كل مسلم مكلف، فالمؤمن يحتاج إليه عند نزول البلاء والشدائد، مثل الخوف، والجوع، ونقص الأموال، وفقد الحبيب، وكل الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية، لينال الأجر والثواب، كما يحتاج إليه المجاهد في سبيل الله، ليثبت في ميدان المعركة، والداعية، ليقوم بتبليغ الحق، ويقاوم تيار المخالفين، والقاضي ليعينه في القضاء بين الناس، والعالم لينال به الإمامة في الدين، والشاب ليتحصن من شهوة الفرج، والوالدان، ليستعينا به في تربية أبنائهما، والزوجان، ليعينهما على القيام بالحقوق الزوجية لبعضهما البعض، والمعلم ليستعين به في تربية وتعليم طلابه، وكل من هو مسئول ، ليقوم بحقوق من هم تحت مسئوليته ،ولهذا تختلف مراتب الصبر وأسماؤه باختلاف متعلقة ((فإن كان صبراً عن شهوة الفرج المحرمة سمي عفة، وضدها الفجور والزنا والعهر ، وإن كان صبراً عن شهوة البطن وعدم التسرع إلى الطعام أو تناول مالا يجمل منه سمي شرف نفس وشبع نفس، وسمي ضدها شرهاً ودناءة ووضاعة نفس، وإن كان عن إظهار مالا يحسن إظهاره من الكلام سمي كتمان سر وضده إذاعة وإفشاء أو تهمة فحشاء أو سباً أو كذباً أو قذفاً ، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً، وضده حرصاً، وإن

كان على قدر يكفي من الدنيا سمي قناعة وضدها الحرص أيضاً، وإن كان عن إجابة داعي الغضب سمي حلماً وضده تسرعاً، وإن كان عن إجابة داعي العجلة سمي وقاراً وثباتاً وضده طيشاً وخفة ، وإن كان عن إجابة داعي الفرار والهرب سمي شجاعة وضده جبناً وخوراً، وإن كان عن إجابة داعي الثأر سمي عفواً وصفحاً وضده انتقاماً وعقوبة ، وإن كان عن إجابة داعي الإمساك والبخل سمي جوداً وضده بخلاً، وإن كان عن إجابة داعي الطعام والشراب في وقت مخصوص سمي صوماً ، وإن كان عن إجابة داعي العجز والكسل سمي مروءة .

فله عند كل فعل وترك اسم يخصه بحسب متعلقة، والاسم الجامع لذلك كله الصبر، وهذا يدلك على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر من أولها إلى آخرها. وهكذا يسمى عدلاً إذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين ، وضده الظلم ، ويسمى سماحة إذا تعلق ببذل الواجب والمستحب بالرضا والاختيار، وعلى هذا جميع منازل الدين.))[411].

---

(٤١١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت .الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ص٣٤ .

الخلاصة :

مما سبق من الحديث في هـذا المبحـث عـن الخلـق الحســن، وأثره في أن يكون سبباً يحيـى بـه المسـلم الحيـاة السـعيدة، عنـد مخالطته للآخـرين ، يتضـح جليـاً أن التـواصي بـأهم الأخـلاق الإسلامية (الصبر)، والذي هو الخلق الجامع الشامل لكل خلـق فاضل حيث ذكره الله تبارك وتعالى ركناً أساساً من أركان النجاة من الخسران ونيل السعادة ، كما هو مـذكور في سـورة العصــر، وأن كل الأخلاق الإسلامية مردها إلى خلق الصبر، فمن قام بهذا الركن الخلقي حق القيام ، واستكمل معه، ما مضى ـ مـن أركـان أساسية ـ والتي هي الإيمان، والعمل الصالح والتواصي بـالحق ـ فقد نال السعادة ، والنجاة من الخسارة والشقاء .

تطبيقات عملية للتدريب واكتساب حسن الخلق:[(٤١٢)]

١ ـ مقابلة الناس بوجه الرضا ، من غير ذلة ولا هيبة منهم .

٢ ـ توقير الناس من غير كبر .

٣ ـ التواضع لهم من غير ذلة .

٤ ـ مقابلتهم بوجه باش وثغر باسم .

٥ ـ الرفق بهم في التعامل معهم .

---

(٤١٢) انظر هداية المشتاق، عبد الله شقيبل ص٢١، ٢٠

٦ ـ الوسطية في جميع الأمور فكلا طرفي قصد الأمور ذميم .

٧ ـ التحفظ أمام الناس مما يأتي :

ـ تشبيك الأصابع.

ـ العبث باللحية أو بالخاتم.

ـ تخليل الأسنان.

ـ إدخال الأصبع في الأنف أو الفم.

ـ كثرة البصاق والتنخم.

ـ طرد الذباب من الوجه.

ـ الوفز عند الجلوس .[٤١٣]

ـ قرظ الأظافر والأصابع .

ـ كثرة الهرش في الجسم أو الرأس .

ـ كثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس .

ـ كثرة الالتفات .

٨ ـ الإصغاء إلى الكلام الحسن ممن يتحدث من غير إظهار تعجب مفرط ، ولا تكرار سؤال .[٤١٤]

---

(٤١٣) الوفز عدم الاطمئنان في الجلوس

(٤١٤) انظر، في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ٣٨،

٩ ـ الابتعاد عن القيل والقال وكثرة السؤال .

١٠ ـ السكوت عن كثرة المضاحك والحكايات .

١١ ـ ترك التحدث عما يخص الذات بإعجاب مثل التحدث عن الولد أو الإنجاز أو العمل أو ما شابه ذلك من الأمور الخاصة .

١٢ ـ ترك التصنع في الزينة أو التبذل في الملبس .

١٣ ـ عدم الإلحاح في الحاجات .

١٤ ـ عدم التشجيع على كل ما هو مكروه .

١٥ ـ تخويف الأهل والولد من غير عنف ، واللين لهم من غير ضعف .

١٦ ـ ترك الهزل والالتزام بالجدية في جميع الأمور ومع كل الناس .[٤١٥]

١٧ ـ الابتعاد عن الخصام وإن حصل ذلك فلابد مما يأتي :

ـ التوقي والتحفظ من الجهل

ـ تجنب العجلة

ـ عدم الإكثار من الإشارة باليد

---

(٤١٥) انظر هذه أخلاقنا ، محمود خزندار، ص، دار طيبة ، الطبعة التاسعة ١٤٢٥هـ٤٢٣

ـ عدم الالتفات يمنة ويسرة

ـ ترك الكلام إلا إذا هدأ الغيظ

١٨ ـ عدم حضور الولائم إلا بدعوة .

١٩ ـ عند الدخول على قوم في مجلس ، فلابد من الآتي :

ـ بدء من في المجلس بالسلام

ـ الجلوس حيث يتسع المكان أو حيث ينتهي المجلس، أو حيث يأمر صاحب المجلس، وحيث لا تظهر عورة.

ـ عدم النظر إلى الأبواب أو النوافذ ، وعدم الإكثار من السؤال فيما لا يخص السائل .

ـ الالتزام بالهدوء والسكينة، والتحدث بحديث منظم مرتب صادق، وإلا فالصمت أولى .

ـ عدم الاستعجال في القيام إلى الطعام .

٢٠ـ ترك الجلوس في الطريق ، وإذا حدث فللطرق حقوق منها :

ـ غض البصر

ـ كف الأذى

ـ نصرة المظلوم

ـ إغاثة الملهوف

- عون الضعيف
- إرشاد السائل
- رد السلام
- إعطاء السائل
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .[416]

٢١ ـ التقليل من مجالسة العامة ، وإن حدث فبشروط :

- ترك الخوض في حديثهم.
- قلة الإصغاء إلى أراجيفهم .
- التغافل عما يجري من سوء ألفاظهم .
- ترك مماراتهم ولو كان الحق جلياً .
- أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة .

٢٢ـ ترك المزاح، وإذا حدث فيعطى كل ذي قدر قدره في ذلك، مع ترك الإفراط والكذب في المزاح .

---

(٤١٦) انظر شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد الهاشمي ف، دار البشائر الإسلامية الطبعة التاسعة ١٤٢٢هـ . ص١٦٢.

الفصـــل الثالث

عوائق السعادة

المبحث الأول : **قصور الفهم السليم لحقيقة السعادة**.

المبحـــث الثـــاني : **ضـــعف التربيـــة الإيمانيـــة عنـــد المسلم المعاصر**.

المبحث الثالث : **الأمراض** .

تمهيد:

إن من سنة الله تبارك وتعالى في هذه الحياة أن جعل الناس متفاوتين في سعادتهم ، كما هم متفاوتون في أرزاقهم، وفي صحة أجسادهم، وفي غير ذلك من أمور معاشهم في هذه الحياة، ولاشك أن هناك منغصات و موانع تعيق المسلم من أن يحقق السعادة الكاملة في حياته ،وأن يعيش عيشة أهل النعيم، وهذه العوائق منها ما يتعلق بذات المسلم، ومنها ما يتعلق بالمؤثرات الخارجية التي تؤثر في حياته سلباً أو إيجاباً، وبالظروف المصاحبة لحياته، وعلى ذلك فمن الناس من تغمر السعادة جوانحه، مستصحباً أسبابها دائماً، مهما حصل له في طريق حياته من منغصات ومكدرات ،ومنهم من يصعب عليه ذلك فيسعد حيناً ، وتتكدر عليه سعادته حيناً آخر .

ومن خلال مفهوم السعادة ، وأسبابها، وما ورد في شأن تحقيقها من آيات كريمات،وأحاديث شريفة، تظهر معنى السعادة في حياة المسلم، ومن خلال النظر لواقع الحياة المعاصرة التي يحياها المسلم، وما يعترض طريقه فيها، من مكدرات ومنغصات في سبيل أن يحيى حياة السعداء، أحاول في هذا الفصل مناقشة وإيضاح هذه المنغصات من خلال المباحث التالية :

الأول : قصور الفهم السليم لحقيقة السعادة .

الثانـي : ضعف التربية الإيمانية عند المسلم المعاصر

الثالث : الأمراض .

المبحث الأول

قصور الفهم السليم لحقيقة السعادة

إن القصور في الفهم الحقيقي لمعنى السعادة ، أدى إلى البحث عنها في غير مضانها الأصلية، وكما سبق بيانه في الفصل الأول من هذا البحث، فإن الناس قد اختلفوا في تحديدهم لمعنى السعادة ، فكل يرى سعادته في شيء فقد حصلت له السعادة في تحقيقه ـ من وجهة نظره ـ ولكن يبقى أن هناك معنى للسعادة بيناً ، قد تكلمنا عليه فيما مضى ـ*[٤١٧]، ولذلك فإن هذا المبحث ، حول هذا العائق من عوائق تحقيق السعادة سيقتصر على العناصر التالية، والتي ، لها دور كبير في التأثير على مفهوم السعادة التي يسعى إليها المسلم والتي تتوافق مع قيمه ومبادئه في الحياة على ضوء العقيدة الإسلامية، وهي المادية المعاصرة والتأثيرات الفكرية والمجاراة والتبعية، وبيان ذلك على النحو التالي :

أولاً : **المادية المعاصرة** :

سيتناول الباحث تأثير المادية المعاصرة على سعادة المسلم المعاصر من خلال النقاط التالية :

---

(٤١٧) انظر تعريف المؤلف للسعادة من هذا البحث ص١٠.

أ ـ الانفجار المادي المعاصر:

إن هذا العصر الذي نعيش فيه، هو عصر المـادة ، والتـي بلغ اهتمام الناس بها مبلغاً عظيماً لم تصل إليه البشرية من قبـل، وذلك نتاج طبيعي للتقدم العلمي،فـإن الله تبـارك وتعـالى قـد علم إنســان هـذا العصـر من أسرار الخلق شيئـاً عجيبـاً ـ ولا يقتصر ذلك على المسلم فحسـب ـ بـل إن غـير المسـلمين هـم الذين تكشفت لهم كثير مـن الحقـائق العلميـة سـواء في علـم الصناعات أو علـم الكائنـات الحيـة أو علـم الفلـك، أو غـير ذلك، وقد علمهم الله تبارك وتعالى ما لم يكن يعلمه من قبلهم من الأجيال، فكانت التقنيات الحديثة والصناعات المتطورة في جميع المجالات .[418]

ولاشك أن الربع الأخير من هذا القرن شهد تحـولات في شتى المجالات التقنية والاقتصـادية والسياسـية والإعلاميـة وغيرها وشهد تقدما مذهلاً في ذلك ممـا لــه أكـبر الأثـر عـلى الحضارة المعاصرة وعلى حياة الإنسان على وجه الأرض وعـلى حياة المسلم على وجه الخصوص وهذا أمر مشـاهد ملمـوس، فالانفجار المعرفي في عالم العلوم سواءً النظرية منها أو التطبيقية

---

(٤١٨) انظر الفتاة المسلمة والأزمة الأخلاقية، د. باحارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ص٢٥ .

يعد بالدرجة الأولى هو المصدر المحرك لكل ذلك التقدم فسبحان الله ﴿**الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[419]، و ذلك كله نتاج طبيعي للعلم والمعرفة التي يحصلها الإنسان والبحث الذي يمضي فيه العلماء والباحثون جل أوقاتهم ويفنون فيه أعمارهم ، ففي مجال العلوم الطبية مثلاً استطاع الإنسان بتوفيق من الله عز وجل أن يدرس ويكتشف أسرار جسم الإنسان وتعقيدات تركيبته المعجزة ودراسة أجهزة الجسم المتعددة ومعرفة تفاصيل كل جهاز في جسم الإنسان ومن ثم دراسة الأمراض التي يتعرض لها الجسم واكتشاف الأدوية الطبية التي تقاوم الأمراض التي يصاب بها أي جزء من جسم الإنسان حتى تطورت المستشفيات والأدوات الطبية العلاجية لدرجة كبيرة جداً حيث أصبح الآن يمكن الكشف عن أجزاء دقيقة جداً داخل الجسم بوسائل وأجهزة حديثة مطورة . وكان كذلك التقدم العلمي في علم الأجنة ودراسات وأبحاث تتعلق بمراحل النمو وإمكانية تحديد واختيار جنس الجنين في بطن أمه[420]

---

(٤١٩) سورة العلق آية ٥.

(٤٢٠) انظر اختيار جنس الجنين، د. عبدالرشيد قاسم، مكتبة الأسدي الطبعة الثانية ص٥.

وأيضاً أبحاث تتعلق بالهندسة الوراثية وأطفال الأنابيب وغيرها .

وفي عالم الاتصالات هناك تقدم سريع ومذهل حيث غدا من أسهل الأمور الآن معرفة أي خبر يتعلق بالشخص أو بأهله أو ببلده بأسرع وقت بل في نفس الوقت أحياناً وإن كان بينه وبينهم البحار والمحيطات .. وأيضاً فيما يتعلق بنقل العلوم والمعارف بأسرع وقت وأقل جهد حيث نجد أن التعامل والاتصال من خلال الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) يعد الآن وسيلة مهمة جداً من وسائل التعلم السريع فقد تعددت المواقع والمنتديات والشبكات التي يستطيع الإنسان أن يتعلم من خلالها في وقت سريع ما لم يكن يمكنه إدراكه قبل هذا الزمن بل إن كثيراً من الكتب الأساسية في كثير من الفنون يمكن الآن وبكل سهولة العثور عليها في قرص أو برنامج من برامج الحاسب الآلي ، إضافة إلى تعدد قنوات الاتصال الفضائية عن طريق الأقمار الصناعية مما أدى إلى اندماج كثير من الثقافات المتعددة والمختلفة والمتعارضة في كثير من الأحيان عن طريق تلك القنوات مما أثر ذلك ولاشك في كل نواحي الحياة الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها وهو نتاج التقدم والتطور المذهل لأن ذلك مرتبط

ارتباطاً وثيقاً بالتقدم العلمي وما يصاحبه من انفجار معلوماتي رهيب .[421]

إن هذه الاكتشافات والتقدم السريع فيها ، هي جزء يسير مما في هذا الكون الذي جعله الله سبحانه وتعالى أية من آياته العظام كما قال تعالى ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾.[422] وإن الإنسان ليقف عاجزاً أمام قدرة الله تعالى وعظيم حكمته في خلقه عندما يتأمل هذا الكون الذي يعيش فيه حيث يرى الدقة والنظام في جميع المخلوقات على هذه الأرض ابتداءً من الذرة ومكوناتها وانتهاءً بالمجرات والفضاء الخارجي ويعجز عقله أيضاً عن استيعاب دقة الإلكترونات والبروتونات والجسيمات الأخرى والعلاقة التي تربط بعضها ببعض كما عجز أيضاً عن تصور الكون الفسيح وحجم المجرات، والمسافات الكونية الهائلة التي تقاس بملايين السنين الضوئية، وغير ذلك أيضاً من الحقائق والظواهر المثيرة للتفكير الإنساني مثل الضوء والطاقة والصوت والحرارة والموجات الكهرومغناطيسية والليزر والانشطار الذري و ذلك كله محكوم بقوانين صارمة لا تتغير

---

(٤٢١) انظر ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبوالحسن الندوي ص٢١٣.

(٤٢٢) سورة الذاريات آية ٢١، ٢٠ .

ولا تتبدل فطر الله الكـون عليهـا مثـل قـوانين المـادة والطاقـة وقوانين الحركة والزمن وقوانين التجاذب والتنافر وغيرها.[٤٢٣]

وقد هيأ الله تعالى للإنسان دراسـة كـل ذلـك بـل جعـل سبحانه وتعالى كل ما على الأرض مسخراً للإنسان حتى يعمر الأرض التي استخلفه فيها كما قال تعالى ﴿**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٤٢٤] وقولـه تعـالى ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[٤٢٥] وأيضاً حثه على تأمل السنن الحادثـة في هذا الكون والتي تربط بين أجزائه ليتبين للإنسان الحق ـ الذي هو منهج الله لعباده الذي أراده لهم في هذه الحياة ـ ، فيعمل بـه ويسير عليه كما قال تعالى ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[٤٢٦].

---

(٤٢٣) آفاق بلا حدود ، د. محمد التكريتي، دار المعارج الطبعة الثالثة، ص١٨.

(٤٢٤) سورة الجاثية آية ١٣.

(٤٢٥) سورة هود آية ٦١ .

(٤٢٦) سورة فصلت آية ٥٣ .

ب ـ أثر الانفجار المادي في إضعاف شعور المسلم بالسعادة:

إن من منغصات الحياة الطيبة اتجاه المسلم إلى اتخاذ الملذات أساساً ورأس مال جوهرياً للحصول على السعادة ، ومما يؤسف له أن أعداداً متزايدة من الناس، ولا سيما الشباب والفتيان صار لديهم اعتماد أساسي في الحصول على السعادة والأمن والاطمئنان على ما ورد إلينا من العالم الغربي والصناعي من تقنيات ووسائل تقوم أساساً على الرفاهية والسعي إلى الانتصار على الإملاق والعوز والملل بل على الشيخوخة والقبح، ومن المؤسف أن الأجيال الجديدة باتت تتلقف شروط الحياة السعيدة من التربة المشوهة الموجودة في كثير من البيوت، ومن حملات الدعاية والإعلان التي تصور للناس أنهم إذا لم يتحولوا إلى مستهلكين نهمين لكل شيء، فإنهم سيكونون متخلفين وبعيدين عن الحضارة وتذوق ملذات المعاصرة والحداثة[٤٢٧] .

ولما كان الإنسان مفطورا على حب البقاء ، ومحبب إليه الخلود والسكون إلى الأرض ، بما فيها من زينة وجمال كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل : ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ**

---

(٤٢٧) عش هانئاً د. عبد الكريم بكار ،مركز الراية للتنمية الفكرية ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ص ٨٥/٨٦ .

الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[428]، لما كان الأمر كذلك كان لمعاصرة هذه الماديات الطاغية أثر في الإقبال على الحياة الدنيا والتنعم فيها بكل وسيلة ممكنة، مع نسيان ما هو خير وأسعد .

و إن الاستغراق في شهوات الدنيا، و رغائب النفوس، ودوافع الميول الفطرية هو الذي يشغل القلب عن التبصر والاعتبار، ويدفع بالناس إلى الغرق في لجة اللذائذ القريبة المحسوسة، ويحجب عنهم ما هو أرفع وأعلى، ويغلظ الحس فيحرمه متعة التطلع إلى ما وراء اللذة القريبة، ومتعة الاهتمامات الكبيرة اللائقة بدور الإنسان العظيم في هذه الأرض واللائقة كذلك بمخلوق يستخلفه الله في هذا الملك العريض .

ولما كانت هذه الرغائب والدوافع ـ مع هذا ـ طبيعية فطرية، ومكلفة من قبل البارئ جل وعلا أن تؤدي للبشرية دوراً أساسياً في حفظ الحياة، وامتدادها، فإن الإسلام لا يشير بكبتها وقتلها، ولكن إلى ضبطها وتنظيمها، وتخفيف حدتها واندفاعها، وإلى أن يكون الإنسان مالكاً لها متصرفاً فيها،

---

(٤٢٨) سورة آب عمران، آية ١٤ .

لا أن تكون متصرفة فيه وإلى تقوية روح التسامي فيه والتطلع إلى ما هو أعلى[٤٢٩] .

والآيات الواردة في ذم الإقبال على الحياة الدنيا كثيرة، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة ، بل هومقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك[٤٣٠].

وقد حذر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، أمته من الانسياق وراء الشهوات المادية، لعلمه بما تحدثه من نتائج في حياة المسلم ولأنه عليه الصلاة والسلام قد دل الأمة على كل خير وقد حذرهم من كل شر، فقال مبيناً خطورة الطمع في حب المال: (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)[٤٣١] .وبين عليه الصلاة والسلام أن محبة المال عبادة له من دون الله تعالى ، فقال عليه الصلاة والسلام : (تعس عبد الدينار، تعس عبدالدرهم تعس ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش)[٤٣٢] ، بل بين عليه

---

(٤٢٩) انظر في ظلال القرآن سيد قطب دار الشروق ٣٣٧/١،

(٤٣٠) موعظة المؤمنين للقاسمي ص ٢١٦.

(٤٣١) صحيح ابن حبان برقم ٣٢٣٧ .

(٤٣٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله برقم ٢٦٧٣ ، بلفظ آخر، ورواه بهذا اللفظ ابن ماجه في سننه كتاب الزهد برقم ٤١٣٦ .

الصلاة والسلام لأمته الطريقة الصحيحة للتعامل مع المال، وكيف يفهم المسلم معنى وجود المال عنده وكيف يتصرف به، فقال عليه الصلاة والسلام : (يقول ابن آدم مالي ما لي، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت)[433].

ونحن نرى جموعاً كبيرة جداً من المسلمين قد ربطوا سعادتهم بالمال، وبما يحصلون عليه من مادة، حتى وصل الحال بهم إلى نسيان الهدف الأساس من وجود هذا المال بين أيديهم، فكثير من أرباب المال وأصحاب الثروات يعيشون في شقاء وتعاسة في حياتهم الدنيا قبل الآخرة، لماذا؟ لأنهم يتعبون في جمع المال ، وفي حفظه واستثماره ، وفي القلق والخوف من فوات هذا المال وزواله ، فكم من إنسان يملك المليارات ولكنه خائف ، قلق ، لماذا كل هذا الخوف؟ ولم كل هذا القلق؟ .إنه يخاف على هذا المال أن تأتيه هزة سياسية، أو يأتي لصوص فيسرقون هذا المال، إذن هو يعيش في شقاء، وخوف، وقلق، وهم، وغم، بل إنه لا ينام الليل، وهذا أمر مجرب مشاهد في أحوال كثير ممن يجمعون المال، بل قد يكون المال سبب هلاكه

---

(٤٣٣) رواه مسلم كتاب الزهد والرقائق باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر برقم (٥٢٥٨) .

ومماته . فكم من غني خطف أو قتل بسبب تجارته، بل كم من غني حرم لذاته بسبب أمواله، تجده لا يمشي طليقاً، لا يمشي حراً، لا يسافر كما يريد، لا ينام كما يريد، كل هذا بسبب أمواله. ثم كم من إنسان صاحب مال زال ماله، وزالت ثرواته بسبب أو بآخر فعاش بقية حياته في تعاسة وشقاء(٤٣٤).

ج ـ التوسط والاعتدال في معايشة المادية المعاصرة:

ليس المقصود مما سبق من كلام عن مادية العصر، وإقبال الناس على المال أن هذا ينافي سعادة المسلم أصلاً ولكن هو عائق من عوائق سعادته إن لم يتوسط في الأخذ منه ،(٤٣٥) وإن لم يفهم سعادته كيف تكون وما علاقة الدنيا كلها بما فيها بسعادة المسلم .

وحتى يتضح المراد بذلك فسوف أورد فيما يلي ما المقصود بالدنيا المذمومة التي تعيق المسلم عن تحقيقه سعادة الدارين كما بين ذلك بعض علماء الإسلام(٤٣٦)، يقول الغزالي رحمه الله تعالى: (الدنيا والآخرة هي عبارة عن حالتين من أحوال القلب، فالقريب الداني يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت، والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت ، فكل ما فيه حظ

---

(٤٣٤) السعادة بين الوهم والحقيقة د. ناصر العمر، دار الوطن للنشر الطبع الأولى ١٤١٠هـ ص٨،٧ .

(٤٣٥) الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن ص٧٢ .

(٤٣٦) انظر إحياء علوم الدين للغزالي، دار الخير، الطبعة الأولى١٤١١هـ ٣٨٦/٣ .

ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا، إلا أن جميع ما إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام :

الأول : ما يصحبك في الآخرة ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصالح .

الثاني : كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً، كالتلذذ بالمعاصي كلها، والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والسرف، فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة .

الثالث : كل حظ عاجل معين على أعمال الآخرة وهو ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي يصل بها إلى العلم والعمل .

فالدنيا حظ النفس العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة، ويعبر عنه بالهوى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى:﴿ **وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[٤٣٧] .

يظهر من التقسيم السابق لأحوال الدنيا والآخرة أن المسلم الذي يعايش مادية العصر الحاضر هذه يمكنه أن يسخر ما يستطيعه منها في خدمة أخرته وهو في حياته الدنيا، وأن

---

(٤٣٧) النازعات آية ٤٠ ، ٤١ .

يتوسط في الأخذ منها بقدر ما يحتاج، بل ويكيف حياته على ذلك، لأنه ليس من منهج المؤمنين الإعراض عن الدنيا وعن عمارة الأرض، وإنما هم القادرون فحسب على عمارتها وفق منهج الله تبارك وتعالى الذي أراده لهذه الأرض، وهذا يدعو المسلم إلى أن يستشعر المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقه تجاه عمارة الأرض والقيام فيها بالعدل، والإصلاح ونشر الخير في زمن ملئ ظلماً وبغياً وإفساداً .

لا سيما وأن الله تعالى قد وعد عباده المؤمنين بالتمكين لهم واستخلافهم في الأرض لعمارتها إن هم قاموا بشروط ذلك من الإيمان به وعبادته عز وجل وعدم الإشراك به : ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾[٤٣٨] .

وقد بين الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم أهم صفات الحياة الدنيا وعلاقة الإنسان بها في كثير من آيات القرآن الكريم فمن ذلك ما يلي :

---

(٤٣٨) سور النور آية ٥٥ .

١ـ أنها متاع مؤقت ومكان عبور، ووسيلة إلى الآخرة ولا يجوز اتخاذها غاية .

٢ـ الدنيا مملوءة بالزينة وبالزخرف والشهوات والملذات، وهذا من تمام الابتلاء والاختبار.

٣ـ يجوز للمسلم بل يحق له أن يستمتع بالحياة الدنيا وزينتها في حدود الشرع، ويشترك بها مع غيره من الكفار والملحدين، ولكن بشرط ألا تلهيه عن طاعة الله، أي يجب عليه أن يبتغي بها الدار الآخرة، وأن يسخرها في طاعة الله، فيستمتع بالولد، ليربيه على طاعة الله وشريعته، وهكذا يستمتع بما أباح الشرع، بهدف تحقيق الشرع .

٤ ـ الدنيا عالم له قوانينه الاجتماعية والبشرية التي سنها الله بين الشعوب والأمم، فمن سعى في الدنيا استوفى نتيجة سعيه في الدنيا ، ومن سخر الدنيا لإرضاء الله ربح في الدنيا والآخرة .

٥ ـ الحياة الدنيا قصيرة الأمد ، لا تعدو أن تكون ساعة أو يوماً من أيام الآخرة .. ﴿ **يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا** ﴾[٤٣٩]

---

(٤٣٩) طه آية ١٠٢ ، ١٠٣، ١٠٤ .

٦ ـ الحياة الدنيا دار تعب وكدح وجـد.[٤٤٠] ﴿ يَـا أَيُّهَـا الْإِنسَـانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٤٤١].

الخلاصة :

نخلص مما مضى بيانه ، أن مادية هذا العصر، قد أثرت في تحبيـب الإنسـان للحيـاة الـدنيا ، ومـا يـراه مـن زينـة في عـالم الشهادة، ومحاولة صده عن الآخرة وعالم الغيب، وذلك بكثرة التركيز على الجوانب المادية ، في سائر شئون الحيـاة المعـاصرة، وهذا بدوره، يجعل مفهوم السعادة ومـا يـراد منهـا مـن معـان سامية ، قاصراً على ما يراه الإنسان ويشاهده ، فيؤثر ولا شـك في المفهوم الحقيقي للسـعادة ، والـذي لا يقتصـر عـلى الحيـاة الدنيا، وإنما يشمل نعيم الدنيا والآخرة .

ثانياً :التأثير الفكري :[٤٤٢]

إن البعد عن المصدر الخالد في توجيه حياة الإنسـان عـلى وجه الأرض ـ وهو منهج الله تعالى المتمثل في القـرآن الكـريم وسنة سيد المرسلين ـ يجعل من السهل التأثير والتغيير لقناعات

---

(٤٤٠) انظـر أصـول التربيـة الإسـلامية للـنحلاوي دار الفكـر، الطبعـة الثانيـة ١٤١٧هـ ص ٥١ .

(٤٤١) سورة الانشقاق آية ٦ .

(٤٤٢) لتعريف التفكير انظر المعجم الفلسفي، جميل صليبا ٣١٧/١ .

المسلم، لا سيما عند وجود العوامل الكثيرة الداعية لذلك، مع قلة المعين الذي يساهم في توعية المسلم وتوجيهه.

ونظراً لازدحام هذا الزمان بكثير من النظريات والفلسفات المتناقضة التي تعمل على زعزعة النفسيات، وعدم استقرارها، وعلى إخراج الإنسان عن جوهر الحياة وفطرته السليمة، الذي هو تحقيق هدف الوجود الإنساني في الأرض ـ أعني القيام بحق العبودية الكاملة لله تبارك وتعالى ـ كما قال عز وجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[٤٤٣] لذلك فإن تأثيراً خفياً يطرأ على فكر المسلم، فبدلاً من استقامته على صراط الله المستقيم، نجد أنه قد انحرف يمنة ويسرة، بسبب ما توحيه كثير من القوى المفسدة في الأرض والتي تحاول جاهدة صد المسلم عن سبيل الله بما تمتلكه من مغريات جذابة وبريق فتان، يؤدي في نهايته إلى بلبلة تفكير[٤٤٤] المسلم وإضعاف إحساسه بالسعادة والنعيم، بل ويؤدي به إلى أبعد من ذلك حيث يرى الباطل حقاً والحق باطلاً والسعادة شقاء، والشقاء سعادة.

---

(٤٤٣) سورة الذاريات آية ٥٦.

(٤٤٤) انظر التفكير السديد طريقك إلى النجاح والتفوق، د. أحمد الأميري، دار المعرفة للاستشارات التربوية. ص١٥.

وقد زود الله تعالى الإنسان بالحواس التي تعين العقل على القيام بوظيفته، والتعرف على خصائص الأمور، وصفات الأشياء ، وتدفعه إلى البحث العلمي، واكتشاف أسرار هذا الكون والانتفاع بما بث الله فيه من قوى وخيرات، دون إفساد في الأرض، أو إضرار بالنفس ، أو إحداث ظلم أو عدوان[٤٤٥].

وعملية التفكير السليم[٤٤٦] التي تؤدي إلى ضبط الفكر في الاتجاه الصحيح لاستخراج المفاهيم تخضع لعناصر أربعة يؤثر كل منها في صياغة التفكير صياغة صحيحة بعيدة عن الانحراف والشطط ، وهذه العناصر[٤٤٧] هي :

١ ـ الواقع الذي هو موضوع التفكير .

٢ ـ قنوات للإحساس (الحواس الخمس) ينتقل بها الواقع للإنسان.

٣ ـ جهاز عصبي (الدماغ) يستقبل الواقع المحسوس.

٤ـ معلومات سابقة مخزونة في الجهاز العصبي لتفسير هذا الواقع كي يتمكن من الفهم والحكم والتقييم لهذا الواقع

---

(٤٤٥) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها عبدالرحمن الميداني ص ٢٩١ ، نقلاً عن (الفتاة المسلمة والأزمة الأخلاقية في الإعلام المرئي المعاصر من الوجهة التربوية الإسلامية) د. عدنان با حارث .

(٤٤٦) مقومات الشخصية المسلمة ، د. الكيلاني، ص٤٢ .

(٤٤٧) انظر الإنسان والعقل د.نايف معروف، دار سبيل الرشاد ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ. ص١٧٨ .

والمعايشة الحقيقية له مع ما يتوافق مع عقيدته ومبادئه التي يؤمن بها .

والتفكير السليم يتضمن أربعة أنواع يجب أن تكون متكاملة حتى لا ينشق أحدها عن الآخر، فيحدث الخلل في التفكير وعدم التوافق والتلاؤم بين ما يحمل المسلم من مبادئ وقيم وبين ما يفكر فيه ويعيشه ، وهذه الأنواع للتفكير هي[٤٤٨]:

١ـ التفكير المنطقي أو التحليلي مثل التفكير الرياضي والفلسفي.

٢ ـ التفكير التجريبي مثل التفكير الفيزيائي والكيميائي.

٣ ـ التفكير الأخلاقي الذي يعتمد على العقائد والمبادئ والقيم.

٤ ـ التفكير الجمالي الذي يرتكز على الانتاج والجمال[٤٤٩] .

فإذا أمكن التأثير على عناصر التفكير الأربعة أو حدث خلل في عدم تكامل أنواع التفكير السابقة أو حدث تداخل فيما بينها، فإنه يتبع ذلك تغيير التفكير حسب الا تجاه المراد ، والناتج الطبيعي لعملية التفكير هو الأفكار والمفاهيم، حيث

---

(٤٤٨) مقومات الشخصية المسلمة ، د. ماجد الكيلاني ص٣٢ .

(٤٤٩) انظر الإنسان الصالح وتربيته د. علي خميس الغامدي ص، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ص٢٧٤ .

إن الأفكار هي الأحكام التي يتوصل إليها الإنسان بعد استيعاب المعلومات المقدمة إليه[٤٥٠].

وعوامل تغيير التفكير في اتجاه يضاد مفهوم السعادة الحقيقي ،في حياة المسلم المعاصر متعددة متنوعة فمنها :

أ ـ الإعلام السلبي :

الإعلام السيئ بشتى وسائله المسموعة والمرئية والمقروءة، يؤثر ولا شك في التأثير على التفكير، فالمسلم الذي يعايش قنوات الفضاء صباح مساء، مستهلكاً كل ما يعرض من خلالها، بغثه وسمينه، والآخر الذي يتصفح مواقع الشبكات بكل ما تعج به من ثقافة وفكر، والذي يطالع ذلك الكم الهائل من المجلات الهابطة التي وضعت عنوان فكرتها على أغلفتها الخارجية، لابد أن يحدث له مع ذلك كله نوع من الخلط عظيم، بين ما استقر في فكره من تصور عن حقيقة الوجود ، والدور المطلوب منه القيام به في هذه الحياة وبين ما يجول في داخل نفسه مما شاهده أو سمعه، أو قرأه، فيحصل عندئذ تأثير للعنصر الأول من عناصر التفكير وهو الواقع فينقل بصورة فاسدة، أن هذا هو الواقع الذي يجب أن يحياه

---

(٤٥٠) انظر الإنسان والعقل د. نايف معروف ص١٨٧ مرجع سابق .

وأيضاً انظر ما تحت الأقنعة د. محمد الصغير مطبعة سفير، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ص١٢٥.

الإنسان، وأن هذه المظاهر التي تعرض لذلك الواقع، هي مظاهر السعادة فيحدث بالتالي تغير فكري، وتحول نفسي يمكن أن يؤدي بالمسلم إلى كثير من المزالق والصعاب .

وذلك لأنه رغم ما تحمله هذه الوسائل الإعلامية المعاصرة من إيجابيات ثقافية ، فإنها إلى جانب ذلك تحمل معها كماً هائلاً من مظاهر الانحرافات العقدية والفكرية والخلقية، التي تعد جزءاً أصيلاً من مكونات الرسالة الإعلامية المعاصرة، مما يهدد الأمة المسلمة في أصولها الكبرى، ومثلها العليا ومبادئها التي تعتز بها [٤٥١] وتختلف الوسائل الإعلامية بعضها عن بعض فيما تقدمه من الآثار البشعة في تشويه الشخصية الإسلامية بوجه عام وتغيير معالمها المتميزة ولا سيما شخصية الناشئة من شباب الأمة الإسلامية، فقد حاز الشباب على النصيب الأكبر من التأثير السلبي للإعلام العالمي المسيطر، أو الإعلام المحلي المقلد، وانفردت ـ في كل ذلك ـ الوسائل الإعلامية المرئية بالساحة الإعلامية الأوسع، واختصت بالفئات الاجتماعية الأكبر[٤٥٢].

---

(٤٥١) الفتاة المسلمة والأزمة الأخلاقية في الإعلام المرئي المعاصر د. عدنان باحارث، مرجع سابق ص٩ .

(٤٥٢) المصدر السابق ص ١١ .

ولا شك أن الكثير من فصائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما: مسخرة اليوم لإشاعة الفاحشة ، والإغراء بالجريمة والسعي بالفساد في الأرض، بما يترتب على ذلك من خلخلة للعقيدة وتحطيم للأخلاق والقيم والمثل(٤٥٣).

وقد أثبتت الأبحاث والدراسات أن بعض الطلاب عندما يتخرج من المرحلة الثانوية يكون قد أمضى أمام جهاز التلفزيون قرابة ١٥٠٠٠ ساعة ، بينما لا يكون قد أمضى في حجرات الدراسة أكثر من ١٠٨٠٠ ساعة على أقصى تقدير، ومعدل حضور الطلاب في الجامعة ٦٠٠ ساعة سنوياً بينما متوسط جلوسه أمام التلفزيون ١٠٠٠ ساعة سنوياً(٤٥٤).

وأما عن استغلال الشهوة الجنسية وإبرازها بشكل يؤثر تأثيراً مباشراً على المفاهيم الثابتة عند المسلم وتفكيره فقد أغرق الإعلام في نشر صور المرأة وفي دراسة قام بها أحد الباحثين تم فيها تحليل ٣٥٦ إعلاناً تلفزيونياً بلغ إجمالي تكرارها ٣٤٠٩ خلال ٩٠ يوماً فقط وقد وجد الباحث التالي :

---

(٤٥٣) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي د. علي جريشة، ومحمد شريف الزيبق . ص ٧١ .

(٤٥٤) الإسلام والعولمة، د. سامي دلال، كتاب المنتدى، الطبعة الأولى ١٤٢٥ ص ٦٥ نقلاً عن بحث للدكتور ناصر العمر بعنوان (كيفية التعامل ... رؤية شرعية) .

١) استخدمت صورة المرأة في ٣٠٠ إعلان من ٣٥٦ إعلاناً، كررت قرابة ٣٠٠٠مرة في ٩٠يوماً .

٢) ٤٢ ٪ من الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة لا تخص المرأة.

٣) سن النساء اللاتي ظهرن في الإعلانات من ١٥ ــــ ٣٠ فقط.

٤) اعتمدت ٧٦ ٪ من الإعلانات على مواصفات خاصة في المرأة مثل الجمال والجاذبية، و٥١٪ على حركة جسد المرأة، و١٢،٥ ٪ استخدمت فيها ألفاظ جنسية .[٤٥٥]

فالإعلام إذاً له دور كبير جداً في التأثير على تفكير المسلم، وتغيير مفهوم السعادة الحقيقي لديه، وإبداله بما يعايش ويشاهد .

ب ـ سوء التربية :

إن التربية التي يتلقاها الطفل المسلم منذ نعومة أظفاره، لها أثر كبير في تسيير تفكير الطفل وإحداث التغيير للفطرة التي فطره الله عليها، وذلك بسبب المبالغة في الإباحة والتدليل وانعدام الضوابط في معاملة الأطفال، وعدم الالتزام بآداب

---

(٤٥٥) الإسلام والعولمة ص ٦٧ ، مرجع سابق .

التربية الإسلامية الأصيلة ، والاعتماد على النظم التربوية الحديثة، (التي لم تكن لتؤدي إلي خير الإنسانية وفلاحها، مادامت قد بنيت على أسس فكرية وعقائدية زائفة لا تنسجم مع الفطرة السليمة، ولا مع التفكير المنطقي الصحيح)[٤٥٦]، وبالتالي فإن غرس بعض المبادئ والقيم المخالفة لمفهوم السعادة عند الطفل مثل التركيز الدائم على المكافآت التشجيعية، وعدم التذكير بالأجر الأخروي، والمنافع الشخصية من وراء العلاقات الاجتماعية ونحو ذلك تؤدي إلى نشوء عادات يتربى عليها الطفل من شأنها أن تحدث نمطاً معيناً من أنماط التفكير الذي يتربى عليه ويأخذ حيزاً كبيراً في فهمه للحياة والعيش فيها بما يتوافق مع ما نشأ وتعود عليه.

وحتى يسلم الطفل المسلم من الانحراف الفكري الذي قد يؤدي به الى الشقاء لابد من مراعاة جوانب مهمة في تربيته وتنشئته منها :

١ ـ الرعاية الثقافية للمحيط :

يولد الطفل وعقله خال من الخبرات والمقدمات، قابل لكل ما يصل إليه من أفكار عن طريقي الفطرة والحواس. يقول الغزالي (الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة

(٤٥٦) أصول التربية الإسلامية، د. عبد الرحمن النحلاوي، مرجع سابق ص٩.

نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، قابل لكل ما ينقش، مائل إلى كل ما يمال به إليه فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه، أبواه وكل معلم له، ومؤدب)[٤٥٧] والمحيط القريب من الطفل بما فيه من خبرات ومعارف يؤثر في النشاط العقلي تأثيراً كبيراً .

ولذلك لابد من تقديم المعلومات الصحيحة والخبرات السليمة ليقوم بناء فكر الطفل على أساس صحيح، ولابد أيضاً من بيان طرق التفكير الصحيح لحل المشكلات والوصول إلى الحقائق مع ضرورة التقيد بتوجيهات الإسلام، وأيضاً تنقية الجو المحيط بالطفل من كل الشوائب الفكرية التي تكدر على فطرة العقل صفاءها، وتشوش على الذهن هدوءه، وكذلك إتاحة الفرصة أمام الطفل للتطبيق الفكري العلمي في واقع الحياة، بما يتوافق مع مبادئ الإسلام وقيمه العظام، حتى ينشأ قويم الفكر معتدل الرأي لا يتشتت فكره ولا يعوج رأيه، وبذلك ينشأ على طرق السعادة ، وينعم في ظلالها.[٤٥٨]

(٤٥٧) إحياء علوم الدين للغزالي٣/٢٠٠.مرجع سابق .

(٤٥٨) انظر تربية النشء في ظلال الإسلام د. محمود عمارة مطبوعات الرابطة، العدد (٢٦) ١٤٢١هـ. ص١٩.

٢ ـ التعليم ووسائله :

يسهم التعليم المباشر ووسائله في بناء فكر الطفل وسلامته لأن التعليم في الصغر أشد رسوخاً، وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات ، وعلى حساب الأساس وأساليبه يكون حال من يبني عليه، فإذا أردنا أن نبني فكر أطفالنا بناءً سليماً فلابد من أن نحرص على تعليمهم مقدمات العلوم الصحيحة وأساليب التفكير السليم ونعودهم على التزام الحق والوقوف على الدليل والبرهان ، فإن هذا من شأنه أن يبني عقلاً مبدعاً ، ونظراً ثاقباً، ودراية فاحصة، فالعقل يتكون حسب ما يتربى عليه من طرائق التعليم ومناهجه[٤٥٩].

٣- قراءة القرآن واستظهاره :

إن ربط الطفل منذ نشأته بالقرآن الكريم من أهم الوسائل البانية لعقله والمحركة لفكره، لما يشتمل عليه القرآن الكريم من آيات كريمة ، تقدر العقل، وتحث على التفكر والتدبر والنظر، ولقد كان البدء بتعليم الطفل القرآن أو استظهاره مسلكاً اتفق عليه المسلمون في جميع أمصارهم[٤٦٠]، لما للقرآن

---

(٤٥٩) ثقافة الطفل المسلم مفهومها وأسس بنائها ، أحمد الحليبي، دار الفضيلة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ص٢٨٢ .

(٤٦٠) المصدر السابق ص ٢٨٥.

الكريم من أثر في ترسيخ الإسلام وعقائده ومفاهيمه في قلوب الأطفال منذ الصغر، وليصير أصلاً لما عداه من علوم وملكات[٤٦١].

إذاً يظهر دور التربية، بارزاً في التأثير على الفكر لدى المتربي الناشئ، ومن شأن ذلك الفكر أن يؤدي بدوره إلى تعزيز وتثبيت كثير من المبادئ وأيضاً قد يؤدي إلى انحراف مغاير لمفهوم السعادة المنشودة .

ج ـ العولمة الثقافية :

عند تنزيل مفهوم العولمة على المسلمين، فإنه يقصد منها التدخل المباشر في ثقافة الشعوب الإسلامية، وذلك لتحقيق أهداف خطيرة منها :[٤٦٢]

١ ـ تشويه ثقافات (الذاتية التاريخية) للأمة الإسلامية .

٢ ـ بث الشبهات في أساسات تلك الثقافات من خلال التشكيك في مرجعياتها الأصلية (الكتاب والسنة)، ويتضمن ذلك دعم وتشجيع الفئات الطائفية التي تتبنى في أصل عقيدتها ذلك النوع من التشكيك .

---

(٤٦١) انظر مقدمة ابن خلدون، تصحيح وفهرسة، ابو عبد الله السعيد، المكتبة التجارية، الباز مكة . ٢٣٨/٢ .

(٤٦٢) انظر العولمة حقائق وأرقام، عبدسعيد عبد إسماعيل، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولي ١٤٢٢هـ ص٣١ .

٣ ـ إقحام المرأة في كل المجالات دون استثناء، بقصد استغلالها باسم الثقافة والفن لتكون أداة ميدانية لتطويع الشعوب الإسلامية للهجمة الثقافية الغربية، ويتجسد ذلك أكثر ما يتجسد ببث ما يسمى (بثقافة الجنس) والتي تتضمن استغلال صور المرأة، والحديث عن جسدها، وإبراز مفاتنها، سواء في الكتب أو في الصحافة أو في المجلات أو التلفزيون أو الإعلانات أو الندوات أو غيرها.

٥ ـ تغليب المنتج الثقافي العلماني والقومي على المقابل الإسلامي، ليكون ذلك المنتج هو الصبغة العامة المؤثرة في ثقافة الشعوب الإسلامية، وخاصة فيما يتعلق بالأخلاق والسلوك، فضلاً عن الأفكار والمعتقدات .

٦ ـ تغيير المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية، وذلك باستغلال ما بقي فيها من آثار ضعيفة تذكر الطالب المسلم بدينه وتاريخه .

٧ ـ تذويب المجتمع المسلم في بحر الثقافة الغربية، ولاسيما فيما يتعلق منه بالإسفاف المادي، والانحراف العقدي والترهل المعنوي[٤٦٣] .

---

(٤٦٣) الإسلام والعولمة د. سامي الدلال ص ٦٥ .

إن تحقيق هذه الأهداف العولمية وتأثيرها الفكري، يؤدي إلى إضعاف مفاهيم راسخة عند المسلم في معنى السعادة، بـل ويعني أيضاً ذوباناً كاملاً في مفاهيم بعيدة جداً عـن مـا يصـبو إليه المسلم في هذه الحياة .

وما سبق من إيراد لعوامل تغيير التفكير، وإحداث نوع من البـلبـلة، للقناعـات الراسخـة، المرتبطـة بأصول العقيدة الإسلامية، عند المسلم في هذا العصر، لا يعني الاستقصاء الكامل لجميع العوامل وإنما هو شئ منها فقط .

ومع الاتجـاه العصـــري ، في الـتعلم والتـدريب ، ونقـل التجارب والخبرات ـ المرتبط بالعولمة ـ ظهرت دورات وافدة ، وكتب مترجمة متعددة ذات تـأثير مبـاشر عـلى الفكـر بصـورة مبــاشرة ، تحتــاج مــن المهتمــين بــالفكر الإســلامي والتربيــة الإسلامية، إلى دراسات أعمق ، حـول هـذه الظـاهرة ومـدى تأثيرها على هوية المسلم.

ثالثاً : **المجاراة والتبعية** :

قد حذرنا نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام من مجاراة الأمم الأخرى ، بل وبين لنا قدر الله تعالى في آخر هذه الأمة أنها ســتتبع طريقة اليهود والنصارى ، في أدق تفصيلا ت الحياة وطرقها كـما هو مبين في قوله عليه الصلاة في الحـديث الصـحيح: (لا تقـوم

الساعة حتى تأخذ أمتي بالقرون قبلها شبراً شبراً وذراعاً بذراع)، وفي الرواية الأخرى (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قلنا يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟!)[٤٦٤] .

والواقع أن في هذا الزمان قد اتبع كثير من المسلمين اليهود والنصارى ـ وإن لم تكن هذه التسمية (اليهود والنصارى) ظاهرة الآن ـ لكن في حقيقة الأمر نجد أن ما يطلق عليه الغرب اليوم بدوله الكبرى هو يتبع في مجمله إحدى الديانتين اليهودية والنصرانية، ويظهر ذلك جلياً في المواقف السياسية التي يقفها زعماء الدول الكبرى تجاه المسلمين ـ سواء في فلسطين أم في البلاد الإسلامية الأخرى ـ . والتي تبين انتماءاتها الدينية لليهودية والنصرانية ، وكان هذا الاتباع هو تنفيذ مباشر لخطط اليهود والنصارى التي أعدت سلفاً لإغواء الشعوب الإسلامية وإضلالها، من حيث لا تشعر وذلك بالغزو الفكري الثقافي والذي كان له أكبر الأثر في قصور الفهم الحقيقي للسعادة حيث أصبح اللهث المادي، والتطلع إلى الثراء والرفاهية الدنيوية هو ديدن الكثير من

---

(٤٦٤) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي لتتبعن سنن حديث رقم ٧٣١٩ وحديث رقم ٧٣٢٠ .

المسلمين اليوم وبأي شكل من الأشكال، حتى (غلبت النزعة المادية، وسيطرت على مشاعر المسلمين وهمومهم نتيجة التأثر بالحضارة الغربية المادية التي لا تقيم لأشواق الروح وصلاح الآخرة أي وزن فالهم الأكبر ليس ما أنجزه على صعيد مرضاة الله وإنما ما زاد في ثروته، واضمحل لفظ (الصالح) و(التقي) على ألسنة الناس وحل محله (الإنسان الناجح)[٤٦٥].

والمتأمل يجد أن مما يؤثر في قصور فهم المسلم لحقيقة السعادة الشعور بالانهزامية العامة أمام (اليهود والنصارى) فيضطر عندئذ إلى المجاراة والتبعية، وذلك لأن موازين السياسة العالمية ومعايير القوى العسكرية، هي التي تفرض على المهزوم حضارة المنتصر، وتغريه باقتفاء أثره حذو القذة بالقذة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو كائن مشاهد في هذا العصر لا في مجال السياسة والترسانة العسكرية فحسب بل في شتى مناحي الحياة الأخرى . تماماً كما هو الحال في وضع الهيمنة الأمريكية ، ومن قبل الشيوعية والبلشفية والإنكليزية .

ولم تشوه معايير الفطرة ويختل ميزان الأخلاق والقيم على أيدي هؤلاء العابثين بهذه الصورة إلا حين انحسر المد الإسلامي عن قيادة العالم قبل عدة قرون فقط .

---

(٤٦٥) نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي د. عبدالكريم بكار . دار المسلم للنشر والتوزيع ص ٣٩ .

إنها إذن ليست معـايير النجـاح والعظمـة الحقيقيـة التـي تفرض نفسها في سماء التفوق والنبوغ الذاتي بقدر ما هي نماذج مشوهة ـ في كثير من الأحيان ـ يستعرض بهـا المنتصـر أمـام الشعوب الضعيفة المهزومة، التي لا يحق لهـا التفكـير إلا وفـق مناهج النصر العسكري، ولا التحضر إلا عـلى غـرار حضـارة الشعب الذي يتلاعب بمقدرات العالم !! بل ولا تملـك تسـيير شؤونها في سائر مجالات الحياة إلا تحت ضغط العصـا الغليظـة التي يلوح بها ذلك المنتصر الأرعن .

ولا عجب في أن يوجه لتسيير الحيـاة الاجتماعيـة لتلـك الشعوب الضعيفة التائهة أفراد من بنـي جلـدتها ، ويتكلمـون بألسنتها ممن أحسن ذلـك المنتصـر تـربيتهم ، وقـاد زمـامهم، ومسخ هويـاتهم، لتحقيـق مآربـه في مقـدرات شـعوبهم ، وفي حضارتهم وفي معتقداتهم وأديانهم .[٤٦٦]

إن مجاراة الغرب في كل ما يقدم أمـر خطـير جـداً، إذ إنـه يوقع المسلمين في انتكاسة شنيعة، لما يحملون من قـيم ومبـادئ غرستها تربيتهم الإسلامية،[٤٦٧] يقول أحد المربين الفضلاء (إن حضارة الغرب حضارة مشوهة مرقعة آيلة للزوال قريبـاً عـلى لسان أعلام من الغرب ذاته، وهي بذلك لا تصـلح أن تكـون

(٤٦٦) تربية العظماء جمال الحوشبي، دار الأندلس الخضراء، ص٢١٤

(٤٦٧) انظر الهزيمة النفسية عند المسلمين، د. عبد الله الخاطر، كتاب المنتدى . ص ٤٠

أنموذجاً يحتذى به في أي من شؤون الحياة سوى طريقـة صـنع الصابون، وتعليب الخضروات وتصـدير السـيارات ونحوهـا من الصناعات، وما عدا ذلـك فـلا . بـل حتـى مشــروباتهم، ومأكولاتهم، وملبوساتهم أصبحت تحمل كثيراً من أمراضهم. واستطاعوا أن يصدروا التعاسـة والوبـاء والأمـراض للعـالم، وباتوا يعلمون الناس سماجة الذوق، والانتهازيـة والشــراهة والأنانية)[٤٦٨] ، يقول ابن خلـدون : (إن المغلـوب مولـع أبـداً بالاقتداء بالغالب، في شعاره ، وزيه ، ونحلته، وسـائر أحوالـه وعوائده ، والسبب في ذلك أن النفس أبـداً ، تعتقـد الكـمال في من غلبها وانقادت إليه)[٤٦٩].

فنخلص من هذا المبحث إلى أن : مادية العصـر الطاغيـة، والتأثيرات الفكرية المغايرة لمبادئ العقيدة الإسـلامية، وأيضـاً المجاراة والمتابعة لأمم الشقاء ، المتقدمـة (دنيويـاً)، كـل ذلـك أدى إلى قصور في فهم حقيقة السـعادة عنـد بعـض المسـلمين، فعاقهم ذلك الانحراف في الفهم عن معايشة السعادة الحقيقية.

❊❊❊

---

(٤٦٨) تربية العظماء جمال الحوشبي ص ٢١٥

(٤٦٩) المختـار مـن الـتراث العربـي، مـن مقدمـة ابـن خلـدون، منشـورات وزارة الثقافـة والإرشـاد القـومي، دمشـق ١٩٧٨م، اختيـار سـهيل عثمـان، ومحمد درويش . ص١٦٦.

المبحث الثاني

ضعف التربية الإيمانية للمسلم

إن مما يؤثر في مدى سعادة المسلم المعاصر، وزيادتها أو ضعفها وثباتها أو استمرارها بل ما يعيق المسلم من تحقيقها،[470] هو ما يتعلق ببناء المسلم وتربيته ، فعندما لا يكون هناك بناءً إيمانياً قوياً لشخصية المسلم ، في استكمال الجوانب المهمة في حياته ، يضعف شعوره بالسعادة بالقدر الذي ينقصه من إكمال تلك الجوانب ، ولذلك فإن هناك جملة من العوائق التي تعيق المسلم عن الشعور بالسعادة أو التي تنغص عليه استكمال العيش في نعيم الحياة الدنيا والآخرة ، منشئها في بناء المسلم الإيماني،[471] وسوف يكون الكلام في هذا المبحث مقتصراً على ما يلي مما يراه المؤلف عائقاً تربوياً في بناء المسلم المعاصر وهو: ضعف الإيمان، والتفريط في الأعمال الصالحة .

---

(٤٧٠) انظر مقومات الشخصية المسلمة، د. ماجد الكيلاني، مكتبة دار الاستقامة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ص١٣ .

(٤٧١) انظر شخصية المسلم، كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، . محمد الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة التاسعة ١٤٢٢هـ، ص٨ .

الأول : **ضعف الإيمان** :

الإيمان هو النور الذي يسير المسلم في هذه الحياة نحو الاتجاه الصحيح الذي يريده منه رب العالمين سبحانه وتعالى، وهو بلسم الحياة الذي من فقده فهو في بحار من الظلمات يتخبط، وفي دركات من الشقاء يعيش، وبين الهموم والآلام يتقلب ، ولذلك كان الإيمان هو الركن الأول من أركان السعادة(٤٧٢)، وبزيادة الإيمان تزداد سعادة المسلم وبضعفه تضعف، ولهذا كان الشقاء كل الشقاء في الكفر بالله تعالى وعدم الإيمان به ، فإن الكافر لا يمكن أن يذوق طعم السعادة الحقة أبداً حتى يؤمن بالله تعالى، بل بشر الله تعالى غير المؤمن بالشقاء في الحياة الدنيا مع ما ينتظره من عذاب أليم في الآخرة، كما قال تعالى :﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**﴾(٤٧٣)، قال ابن كثير: خالف أمري وما أنزلته على رسلي، أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ أي ضنكاً في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره،

---

(٤٧٢) راجع مبحث أسباب السعادة في الإسلام، الفصل الثاني، المبحث الأول، من هذا المؤلف .

(٤٧٣) سورة طه آية ١٢٤/١٢٥.

بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث ما شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك العيش. قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال الشقاء، وقال إن قوماً ضلالاً أعرضوا عن الحق، وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين، فكانت معيشتهم ضنكاً، فإذا كان العبد يكذب بالله ويسيء الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك[٤٧٤].

إن المؤمن بقوة إيمانه في أمان من الضلال والشقاء، والشقاء ثمرة الضلال ولو كان صاحبه غارقاً في المتاع، فهذا المتاع ذاته شقوة، شقوة في الدنيا وشقوة في الآخرة وما متاع حرام إلا وله غصة تعقبه وعقابيل تتبعه، وما يضل الإنسان عن هدى الله تعالى إلا ويتخبط في القلق والحيرة والتكفؤ والاندفاع من طرف إلى طرف لا يستقر ولا يتوازن في خطاه، والشقاء قرين التخبط ولو كان في المرتع الممرع، ثم الشقوة الكبرى في دار البقاء، ومن اتبع هدى الله فهو في نجوة من الضلال والشقاء في الأرض وفي ذلك عوض عن الفردوس المفقود حتى يؤوب إليه في اليوم الموعود.

(٤٧٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٥/ ٣٢٢.

والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع ، إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه، ضنك الحيرة والقلق والشك، ضنك الحرص والحذر، الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت، ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضاً وعمقاً وسعة والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان .[٤٧٥]

والإيمان كما هو مقرر في معتقد أهل السنة والجماعة يضعف ويقوى أو يزيد وينقص، والمسلم مطالب ـ حتى يحيى حياة السعداء ـ أن يكون دائماً في زيادة لإيمانه وارتقاء في عبوديته لأنه حينئذ سيشعر بطعم السعادة، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله (فالعبد سائر لا واقف، فإما إلى فوق وإما إلى أسفل، إما إلى أمام وإما إلى وراء . وليس في الطبيعة أو الشريعة وقوف ألبتة، ما هي إلا مراحل تطوى أسرع طي إلى الجنة أو إلى النار، فمسرع ومبطئ ومتقدم ومتأخر، وليس في

---

(٤٧٥) انظر في ظلال القرآن سيد قطب، دار الشروق، ٤/٢٣٥٥.

الطريـق واقـف ألبتـة، وإنـما يتخـالفون في جهـة السـير وفي السـرعة والبطء : ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ نَذِيرًا لِّلْبَشَــرِ لِمَـن شَـاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[٤٧٦] ولم يذكر واقفـاً، إذ لا منـزل بـين الجنة والنار ولا طريق سـالك إلى غـير الـدارين ألبتـة فمـن لم يتقدم إلى هذه بالأعمال الصالحة فهو متأخر إلى تلـك بـالأعمال السيئة[٤٧٧].

وسوف يـذكر المؤلـف فـيما يـلي مظـاهر ضـعف الإيـمان وأسبابه وطرق العلاج:[٤٧٨]

مظاهر ضعف الإيمان :

إن مرض ضعف الإيمان له أعراض ومظاهر متعددة فمنها ما يلي:

١- كثرة الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات والتهاون في ذلك .

٢- الشعور بقسوة القلب وخشونته .

٣- عدم إتقان العبادات و عدم التلذذ بها .

---

(٤٧٦) سورة المدثر آية ٣٧، ٣٦، ٣٥ .

(٤٧٧) مـدارج السـالكين لابـن القـيم ص٢٩٢ ، هـذه المقولـة نقـلاً مـن كتـاب (العادات العشر للشخصية الناجحة، د. القعيد ، ص٩٠) .

(٤٧٨) انظر، ظاهرة ضعف الإيمان، محمد المنجد ، دار الـوطن للنشـر والتوزيـع الطبعة ١٤٢٠هـ ص ٦ .

٤- التكاسل عن الطاعات والعبادات، وإضاعتها

٥- ضيق الصدر وتغير المزاج وانحباس الطبع

٦- عدم التأثر بالقرآن

٧- عدم الغضب إذا انتهكت محارم الله عز وجل

٩- الشح والبخل

١٠- أن يقول الإنسان ما لا يفعل

١١- احتقار المعروف

١٢- عدم الاهتمام بقضايا المسلمين

١٣- عدم استشعار المسؤولية في العمل للدين

١٤- التعلق بالدنيا، والشغف بها، والاستراوح إليها .

ويمكن إجمال **أسباب ضعف الإيمان فيمايلي**:[٤٧٩]

١ـ استصغار الذنوب

٢ـ الابتعاد عن الأجواء الإيمانية

٣ ـ التنافس في الدنيا

٤ ـ الغفلة عن ذكر الله

٥ ـ الآفات القلبية

(٤٧٩) انظر الرائد في التربية، مازن الفريح ج١ص١٩٢دار المنطلق .

٦- الانشغال بالمال والزوجة والأولاد

٧ ـ وجود الإنسان المسلم في وسط مظلم

٨- الابتعاد عن طلب العلم الشرعي

وأما أسباب زيادة الإيمان [٤٨٠] **فهي :**

١ ـ الالتزام بالفرائض والقيام بالواجبات

٢- تدبر القرآن العظيم

٢ ـ الذكر

٣ ـ استشعار عظمة الله عز وجل

٣ ـ الصحبة الصالحة

٤ ـ تعلم علوم الشريعة

٥ ـ المجالس الإيمانية بين الإخوة

٦ـ الاجتهاد في الأعمال الصالحة

٧ـ الدعاء

٨ـ الدعوة إلى الله

---

(٤٨٠) انظر في ظلال الإيمان صلاح الصاوي، ص١٠٣

والخلاصة...

أن بناء شخصية المسلم الإيمانية، أمر مهم جداً، في مجال الشعور بالسعادة، وذلك لأنه عندما يضعف إيمان المؤمن تظهر آثار هذا الضعف على حياته، فلا يشعر باستقرار اجتماعي ولا توافق نفسي، ولا هدوء ولا ارتياح ، بل يكون في توتر وعدم رضا عن حاله، هذا مع ما يقع فيه ضعيف الإيمان من مخالفات شرعية، تعرضه للعقوبة الأخروية ، في يوم الحساب، والتي يسعى المسلم إلى عدم التعرض لها بأي شكل من الأشكال أو وجه من الوجوه .

الثاني: **التفريط في الأعمال الصالحة** :

لما كان العمل الصالح هو ركن من أركان سعادة المسلم، وهو أحد أركان النجاة من الخسران كما قال الله تعالى ﴿**وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[٤٨١] ، ولما للأعمال الصالحة من أثر بالغ في جلب السعادة والحياة الطيبة في حياة المسلم كما قال الله تعالى ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[٤٨٢]، كان

(٤٨١) سورة العصر الآيات ١ـ٦

(٤٨٢) سورة النحل آية ٩٧ .

التفريط في العمل الصالح وتضييعه عائقاً من عوائق السعادة، ذلك أن التهاون في العمل الصالح أو ترك الأعمال الصالحة بالكلية هو مما يبعد المسلم تدريجياً عن الإيمان والذي يعتبر العمل الصالح منه، ولأن غذاء القلب وسمو الروح إنما يكون في المواظبة على العمل الصالح، وعليه فإن من فرط فيه فقد قطع عن[483] القلب غذاءه ودواءه ومصدر سعادته وطمأنينته مما ينتج اضطرابا وقلقاً نفسياً بل ويسهل على المرء الجرأة على المعصية، و كذلك فإن التفريط في العمل الصالح يحرم العبد من العون والتوفيق الإلهي، وفقدان الهيبة بين الناس، إلى غير ذلك من الآثار والتي أعظمها وأخطرها بلا شك هو تكدير حياة المسلم وعدم شعوره بالسعادة والحياة الطيبة الهنيئة . وسيعرض المؤلف فيما يلي لمفهوم التفريط في العمل الصالح وأسبابه ومن ثم علاج هذا العائق على النحو التالي :

١ ـ مفهوم التفريط في العمل الصالح :

التفريط لغة : هو التقصير في الأمر ، وتضييعه حتى يفوت، قال في اللسان (وفرط في الأمر يفرط فرطاً، أي قصر فيه وضيعه حتى فات ، كذلك التفريط)[484]، وفرط في الشيء وفرطه : ضيعه

---

(٤٨٣) آفات على الطريق ،د. السيد نوح ٣١٣/٢، دار اليقين للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

(٤٨٤) انظر لسان العرب لابن منظور ٣٦٨/٧ مادة فرط .

وقدم العجز فيه ، وفي التنزيل ﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ**﴾، أي أنيبوا إلى ربكم وأسلموا له مخافة أن تصيروا إلى حال منَ الندامة للتفريط في أمر الله .[485]

التفريط في العمل الصالح اصطلاحاً :

هو التقصير أو التضييع للوظائف العبادية التي ينبغي للمسلم الحفاظ والمواظبة عليها .[486] مثل صلاة الجماعة والنوافل، ومحاسبة النفس، أو إهمال الآداب الاجتماعية من عيادة المريض أو تشييع الجنازة، أو الإحسان إلى الجيران، وغير ذلك من الطاعات والأعمال الصالحة .

٢ ـ أسباب التفريط في الأعمال الصالحة :

للتقصير في تأدية الأعمال الصالحة، والتفريط فيها أسباب متعددة ، تفهم من معاني الآيات الكريمة ومن أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ومن سيرة سلفنا الصالح فمن ذلك :

أ ـ اقتراف الذنوب والمعاصي

ب ـ الإغراق في المباحات

ج ـ عدم استشعار فضل الله في النعمة

د ـ الغفلة عن الحاجة للعمل الصالح

---

(٤٨٥) المصدر السابق ٧/ ٣٧٠ .

(٤٨٦) انظر آفات على الطريق د. السيد نوح دار اليقين، ٢/ ٢٠٢ مرجع سابق.

هـ ـ نسيان أجور الأعمال الصالحة

و ـ نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد

ز ـ التسويف والتأجيل للأعمال الصالحة

ح ـ كثرة المسؤوليات والتكاليف الحياتية

٣ ـ علاج التفريط في العمل الصالح :

الأول ـ مجاهدة النفس :

يحتاج المسلم إلى مجاهدة النفس وأخذها بالحزم والشدة، مع اتهامها بالتقصير ومع ترك التسويف، ومع تمنيتها أنها إن تعبت اليوم ، ستتمتع غداً بالنعيم الذي لا ينقطع والسعادة التي لا يشوبها شئ من الكدر أبداً [٤٨٧] وقد وعد الله بالهداية لمن جاهد نفسه بقوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٤٨٨]، ومجاهدة النفس تعني (المحاولة الدائمة للانتصار على الذات، وتطويع النفس، وقيادتها، وتعويدها على مواجهة المسؤوليات ومتابعتها، والثبات على المبادئ والقيم، والصبر على أنواع التكاليف في الحياة لتحقيق الحياة الكريمة، والأهداف العالية، التي ترغب في تحقيقها، وجهاد النفس يعني كذلك قيادة الذات، والإمساك بزمام

---

(٤٨٧) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ٤٢٥ .

(٤٨٨) سورة الروم آية ٦٩ .

النفس، وتعويدها على الفعل والانطلاق والمبادرة، وتسخير المواهب والقدرات والإمكانات في تحقيق الأهداف المنشودة لصلاح الدنيا والآخرة)[489].

ولأن هذا العلاج فيما يبدو هو من أهم الطرق التي يتغلب بها المسلم على التفريط في الأعمال الصالحة، ـ إن لم يكن هو أهمها على الإطلاق ـ فسيذكر المؤلف فيما يلي الوسائل التي يمكن أن تؤدي إلى التوفيق في مجاهدة النفس والانتصار على الذات وهي كما يلي[490]:

أولاً ـ الفعالية في إدارة الصراع مع العدو الأول :

والمقصود بالعدو الأول هو الشيطان ـ لعنه الله ـ الذي يسعى دائماً إلى إغواء الإنسان وإبعاده عن الصراط المستقيم، وتزيين المنكر والمعصية في عينه، وتثقيل الطاعة والعمل الصالح، حتى يراها الإنسان شديدة على نفسه لا يستطيع القيام بها. فيجب استحضار هذه العداوة وذلك الصراع دائماً، والتعود على الأساليب المشروعة في مصارعة العدو الأول والتي هي :

---

(٤٨٩) العادات العشر للشخصية الناجحة. إبراهيم القعيد ص٣٤١ .

(٤٩٠) انظر الضيق أسبابه وعلاجه في ضوء الكتاب والسنة. عبدالله شقيبل ص٣٢ وأيضاً العادات العشر للشخصية الناجحة ص٣٤٢.

١ ـ دوام الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وتكرارها في غالب الأحوال، في الجهر والإسرار، في الوقوف والجلوس، في الليل والنهار، لأن هذه الكلمة تطرده بعيداً إذ فيها إعلان الولاء للخالق والاستعانة به والالتجاء إليه سبحانه وتعالى .

٢ ـ مراقبة الله تعالى في جميع الأعمال، في الحديث، في الفعل، في النية، إذ إن المراقبة تحمي المسلم من الوساوس الشيطانية أيما حماية .

٣ ـ عدم الغضب، فإن الغضب مدخل من أكبر المداخل الشيطانية التي يدخل بها على النفس البشرية، لأن الغضب يفقد الإنسان التحكم في ذاته، ويخرجه عن طوره ويفقده توازنه وبالتالي يسهل على الشيطان في هذه الحالة تسييره إلى حيث يريد .

٤ ـ دوام ذكر الله تعالى، من التكبير والتهليل، والتسبيح والاستغفار والتحميد، فبالذكر يتحصن الإنسان من الشيطان .

ثانياً ـ الفعالية في إدارة الصراع مع العدو الثاني :[491]

والعدو الثاني هو النفس ذاتها، فالنفس مخلوقة بطبيعة مزدوجة بين قطبين قطب إلهي نوراني، يوجهها إلى الخير والصلاح، وقطب شيطاني مظلم يوجهها إلى الشر والفساد، وهذا الصراع هو الذي تنتصر فيه النفس بزيادة الرصيد الإيماني بالأعمال الصالحة . والله تبارك وتعالى قد قرر هذه القابليات المزدوجة في النفس في كتابه الكريم فقال ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[492]، وذكر سبحانه وتعالى تخيير العبد مع أي من هذه الطبائع النفسية ، وهداه إلى السبيل الأقوم وهو اتباع منهج الأعمال الصالحة كما قال تعالى ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[493]، وبين له جزاء مخالفة النفس السيئة بقوله﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[494] .

---

(٤٩١) انظر الشباب المسلم في مواجهة التحديات الدكتور عبدالله علوان دار القلم، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ. ص١٧.
(٤٩٢) سورة الشمس الآيات ٩، ٨، ٧
(٤٩٣) سورة الإنسان آية ٣
(٤٩٤) النازعات ٤١، ٤١

ثالثاً ـ التربية الجادة للنفس :

وذلك بتربيتها على الآداب الإسلامية العالية التي تكلم عنها أرباب السلوك وتزكية النفوس مثل المحاسبة، والمراقبة، والتوبة، والمجاهدة ، ونحوها .

فالمراقبة تعني الحساسية تجاه الأفعال ،[٤٩٥] فالذي يراقب الله في أعماله لابد أن يجتهد ويجاهد نفسه في عمل الصالحات[٤٩٦] وهو يتذكر قوله عز وجل: ﴿**هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾[٤٩٧]، وقوله ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ**﴾[٤٩٨]، وقوله ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء**﴾[٤٩٩] .فيعلم أن الخالق العظيم مطلع عليه يعلم السر والنجوى، وما هو أدق وأخفى، حتى الأفكار والوساوس والخطرات ودقيق الكلمات هو سبحانه أدرى بها ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[٥٠٠] ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[٥٠١] .

---

(٤٩٥) انظر جامع العلوم والحكم، ابن رجب، مكتبة طيبة ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ . ص٣٤ .

(٤٩٦) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص٤٢١

(٤٩٧) سورة المجادلة آية ٧

(٤٩٨) سورة الشعراء آية ٢١٨

(٤٩٩) سورة آل عمران آية ٥

(٥٠٠) سورة ق آية ١٦ .

(٥٠١) سورة ق ١٨.

والمحاسبة أدب رفيع وآلية فعالة في تربية النفس، وهي تعني الوقوف مع النفس وقفات للمراجعة والتقويم وتلمس نواحي النقص والقصور ومحاولة تعديل السلوك بناء على ذلك، وقد ورد في الأثر (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا واستعدوا للعرض الأكبر على الله)(٥٠٢). فالذي يجعل لنفسه وقفات محاسبة يومية ولو دقائق معدودة سائلاً نفسه عن المسؤليات التي هو مكلف بها هل قام بها أم لا، وما نواحي القصور وكيف يمكن معالجتها، ونواحي القوة وكيف دعمها والاستمرار عليها، الذي يفعل ذلك يجد دافعاً لعمل الصالحات والقيام بما هو مطلوب منه من الطاعات والباقيات الصالحات .

والتوبة أدب كبير من آداب تربية النفس ذلك أن الإقلاع عن الذنوب والمعاصي والرجوع إلى الله تبارك وتعالى وتجديد العهد مع الله ، يدفع العبد دفعاً حثيثاً إلى المسارعة إلى ما يحبه الله تعالى من الأعمال الصالحة ، بل قد أمر الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم العباد أن يجعلوا التوبة في حياتهم متجددة "وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون"(٥٠٣)، فهذا

(٥٠٢) رواه الترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب صفة القيامة ٦٣٨/٤

(٥٠٣) سورة النور آية٣١ .

أمر من المولى جل وعلا بالتوبة من الذنوب والتحرر من الكبائر وكثرة الاستغفار من الصغائر والتحرز منها، فإن الصغائر تجتمع على المرء حتى تهلكه ، وقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام من التهاون بها فقال : " إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه، وإن رسول الله ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجئ بالعود، حتى جمعوا سواداً فأججوا ناراً وأنضجوا ما قذفوا فيها "[504]، ولأن للتوبة حاجة ملحة في النفس حتى مع عدم وجود الذنوب ، كان أسعد السعداء عليه الصلاة والسلام يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم الواحد أكثر من سبعين مرة ، مع أنه مغفورة ذنوبه عليه الصلاة والسلام .

ونجمل علاج التفريط في الأعمال الصالحة ـ بعد مجاهدة النفس ـ فيما يلي :

الثاني ـ معايشة القرآن الكريم والسنة النبوية

الثالث ـ الاعتدال والتوسط في المباحات

الرابع ـ إدراك دور الأعمال الصالحة في تحقيق السعادة

---

(٥٠٤) رواه أحمد حديث رقم ٣٦٢٧ من حديث ابن مسعود. اسناده حسن، ابن حجر فتح الباري ١١/ ٣٣٧ .

الخامس ـ الشكر

السادس ـ التوازن

السابع ـ الوسط الصالح

الثامن ـ الاستعانة التامة بالله عز وجل

التاسع ـ دوام النظر في سير وأخبار السلف الصالح

❊❊❊

المبحث الثالث

الأمراض التي يصاب بها المسلم في حياته

الصحة مطلب عظيم من مطالب الحياة السعيدة، بها تكتمل سعادة المسلم، وبفقدها تنغص عليه الحياة ،[505] ولكن هناك نقاط توقف في حياة المسلم، يتعرض فيها للأمراض، على اختلاف أنواعها، وتعدد أسبابها، وتنوع مظاهرها وأشكالها وسوف يكون هذا المبحث في أنواع الأمراض التي يتعرض لها المسلم والتي قد تكون عائقاً من عوائق السعادة ومنغصاً من منغصاتها :

النوع الأول : الأمراض البدنية

النوع الثاني : الأمراض النفسية

النوع الثالث :الأمراض الاجتماعية

أولاً :الأمراض البدنية :

هذا النوع من الأمراض هو الذي يتبادر الى الذهن عند سماع كلمة (مرض) إذ أن تعدد الأمراض البدنية (العضوية)، هو الشائع المنتشر ،[506] خاصة في هذا الزمن ، حيث إنه قد

(٥٠٥) انظر الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يالجن ص٦٧ .

(٥٠٦) المصدر السابق ص٧٥ .

تفشت أمراض وظهرت أوجاع لم تكن معروفة من قبل، وقد لا تجد جهازا، أو عضوا من أعضاء الجسم إلا وقد عرف بمرض من الأمراض، حتى كثرت مسميات الأمراض الخاصة بكل عضو من الأعضاء .

وللتقدم الكبير في مجال الطب ودراسة الأمراض فقد خصصت دراسات وأبحاث في مجالات طبية متعددة، لدراسة حالات تلك الأمراض، وإعداد الأدوية والعلاجات المناسبة لها، وأنشئت الوزارات، وافتتحت المستشفيات، وتعددت كليات الطب ،وأقسام العلوم الطبية المختلفة في كل بقاع العالم، كل ذلك من أجل المحافظة على الصحة العامة للإنسان، وسلامته من الأمراض .

وتعد السلامة من الأمراض، والمعافاة منها على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للمؤمن الذي يريد بسلامة صحته التقرب إلى الله تعالى بالعمل الصالح في هذه الدار، حتى ينعم بالسعادة الأبدية في الدنيا وفي الآخرة إذ أن الاعتلال بالأمراض البدنية، قد يقعد عن كثير مما يصبو إليه المؤمن، ويتطلع إليه، وإن كان ذلك لا يعد مانعاً مطلقاً، لكن قد يتسبب في حرمان المسلم بعض الأحوال التي ترنو إليها الهمة، ويهفو إليها الفؤاد من أحوال الهناء والسعادة بأعمال البر والطاعات .

وقد عد النبي عليه الصلاة والسلام المعافاة من الأمراض البدنية من الأمور التي إذا حصلت للمسلم فكأنما ملك الـدنيا جميعها ، وذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : (من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت لـه الدنيا)[٥٠٧].

ونظـراً لأن مفهـوم السـعادة أكثـر التصـاقاً بالمشـاعر والأحوال القلبية والنفسية منه بالبدن والمظاهر الجسـدية فـإن تأثير تنغيص الأمراض البدنية على سعادة المسلم يبقى محدوداً إذا ما قورن بأمراض الأنـواع الأخـرى (النفسـية)، حيـث إن هناك عوامل إيمانية معينة ومؤثرة جداً على تلافي تأثير أمراض الجسد على سعادة المسلم ،والتي منها ما يلي:

١ـ عامل الصبر عـلى المـرض، ممـا ينـتج عنـه تكفـير للخطايـا والآثـام ، وأن ذلـك مـن الابـتلاء للمـؤمن، كـما جـاء في الحديث عن سـعد بـن أبي وقـاص رضي الله عنـه قـال : قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قـال : الأنبيـاء ثـم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه

---

(٥٠٧) رواه الترمذي في كتاب الزهد باب التوكل على الله، برقم ٢٢٦٨ ، ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب القناعة برقم ٤١٣١ .
والحديث حسن لشواهده انظر السلسلة الصحيحة برقم ٢٣١٨ .

فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة)[٥٠٨].

٢ ـ عامل احتساب الأجر في الآلام والأوجاع ، كما ثبت ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام بقوله :(ما يصيب المسلم من هم ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله تعالى بها من خطاياه)[٥٠٩].

٣ ـ عامل الرضا بما قدر الله تعالى على العبد من أمراض، وآلام يورث لدى المسلم حالة من الشعور بالسعادة تقابل ما يشعر به من ألم المرض .

٤ـ النية الصادقة في الاستمرار على العمل الصالح يكتب بها للمسلم الأجر والثواب لمن يتعرض للمرض، كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بذلك بقوله (إذا كان العبد يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض أو سفر كتب له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم)[٥١٠] .

---

(٥٠٨) رواه ابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، برقم ٤٠١٣ صححه ابن حبان، المقاصد الحسنة للسخاوي برقم ٨٣ .

(٥٠٩) رواه البخاري في صحيحه كتاب المرض، باب كفارة المرض، برقم ٥٢١٠ .

(٥١٠) سنن أبي داود كتاب الجنائز باب إذا كان الرجل يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض رقم ٢٦٨٧ والحديث حسن، انظر السلسلة الصحيحة للألباني ٣٠٩١ .

٥ـ الإيمان بالقضاء والقدر : إن الإيمان بهذا الركن العظيم والتكيف الصحيح مع أحداث الحياة ، كفيل بإذن الله تعالى بالوقاية من هذا العائق الذي ينغص على المسلم سعادته، ذلك أن الإيمان بالقضاء والقدر له تأثير كبير على صحة وسعادة الروح ، فالإنسان المؤمن بقضاء الله وقدره مطمئن النفس رضي البال صابراً صامداً تجاه ضربات القدر، كالجبل الأشم لا تؤثر فيه الريح ولا تقلقله الزوابع مهما عتت ، فهو مؤمن أن هذه المصائب شئ مكتوب عليه منذ اللحظة التي نفخ الملك فيها الروح، وكتب عليه ما سيذوق من حلو ومر في بيداء هذه الحياة، كما قال عليه الصلاة والسلام (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً بأربع كلمات، فيكتب عمله، وأجله، ورزقه وشقي أو سعيد)[٥١١]. ولا شك أن للتسليم والرضا ، وتسليم القياد لله أثراً عظيماً في محاربة الآلام والهموم المصاحبة للأمراض ومقاومتها وبالتالي القضاء عليها، ومن تأمل قول الله تعالى: ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها

---

(٥١١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ٣٦٣/٦ .

إن ذلك على الله يسير))[٥١٢] ، وقوله تعالى ((قل لنا يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون))[٥١٣] من تأمل ذلك وجد الطمأنينة واليقين، في أعماله، وما يعترض طريقه من مشكلات ومصاعب،[٥١٤] وسلم أمره للحي القيوم، وإذا تذكر قول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام (...واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)[٥١٥]، إنه إذا تذكر ذلك هانت عليه المصاعب النازلة بساحته من الأمراض، فهو مؤمن بأنها مقدرة عليه ، وستحل به كائناً من كان وكيفما كان .[٥١٦]

---

(٥١٢) سورة الحديد آية ٢٣

(٥١٣) سورة التوبة آية ٥١

(٥١٤) الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية، أنس كرزون ص٦٠

(٥١٥) رواه الترمذي، في سننه، كتاب القيامة والرقائق والورع، باب منه برقم ٢٤٤٠.

(٥١٦) انظر الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة نورة بنت صالح آل علي الناشر دار ابن القيم . ص١٩، ٢٠.

ثانياً : **الأمراض النفسية** :

يعيش العالم حالياً عصر الاضطرابات النفسية، كما تدل على ذلك الأرقام والإحصائيات التي تؤكد أن ما يقرب من نصف سكان العالم يعانون من نوع أو آخر من الأمراض النفسية ، وتشير الإحصائيات إلى أن نسبة الإصابة بحالات القلق النفسي تصل إلى ٣٠٪ في بعض المجتمعات، وحالات الهلع والمخاوف المرضية بنسبة ١٢٪، والاكتئاب النفسي بنسبة ٧٪،والوسواس القهري بنسبة ٣٪، وذلك بالإضافة إلى مرض الفصام العقلي بنسبة ١٪ ، وهذه مجرد أمثلة للانتشار غير المسبوق للأنواع المختلفة من الأمراض والاضطرابات النفسية التي تصيب الإنسان في مختلف بلاد العالم[٥١٧]، ويعود ذلك إلى تعقيدات الحياة المعاصرة، وتناقضاتها ، وإن كانت الأمراض النفسية هي من جملة الأمراض التي يصاب بها الإنسان ، ولا فرق في ذلك بين المسلم والكافر،[٥١٨] ولكن الملاحظ أن انتشار الأمراض النفسية والعقلية في المجتمعات غير المسلمة أكثر، ولعل ذلك بسبب وجود ما يعين المسلم من مؤثرات روحية

---

(٥١٧) من بحث للدكتور/ لطفي الشربيني (استشاري الطب النفسي) من موقع : حياتنا النفسية .

(٥١٨) انظر العلاج النفسي والعلاج بالقرآن، رؤية طبية نفسية شرعية، د. طارق الحبيب ص ٣٦٤ .

تخاطب الروح وتؤثر فيها كآيات القرآن الكريم ، وما يحمل المسلم من معتقدات وتصورات صحيحة عن الحياة ، تؤدي به حتماً إلى التوافق التام والتكامل بين احتياجات الجسم والنفس .

وعندما لا تكون هناك أي أمراض نفسية يتعرض لها الفرد فإنه يوصف بالصحيح نفسيا إذ أن الصحة النفسية هي (حالة إيجابية توجد عند الفرد ، وتكون في مستوى قيام وظائفه النفسية بمهماتها كما يبدو ذلك في عدد من المظاهر : فإن كانت الوظائف النفسية تقوم بمهماتها على شكل حسن ومتناسق، ومتكامل ضمن وحدة الشخصية، كانت الصحة النفسية سليمة وحسنة، وإن لم يكن الأمر كذلك كان من اللازم البحث عن أوجه النظر فيها)[519].

ويذكر المختصون في دراسة الطب النفسي وعلم النفس مظاهر عديدة للإنسان الصحيح نفسياً وهي على النحو التالي :[520]

١ـ تكامل الدوافع النفسية وانسجامها وعدم الصراع النفسي .

٢ـ تقبل الحقيقة بالنسبة للذات والغير وللعالم المحيط.

---

(٥١٩) الصحة النفسية، نعيم الرفاعي، مطبوعات جامعة دمشق الطبعة السابعة، ١٩٨٧م ص ٦ .

(٥٢٠) علم الصحة النفسية ٧ د. مصطفى خليل الشرقاوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشرص٣٦، ٣٧ .

٣ـ تحمل مسئولية الأعمال والمشاعر والأفكار وعدم تحميلها الآخرين.

٤ـ تقبل النقد عند اندماجه في عمل جماعي من أجل تحقيق أهداف مشتركة .[٥٢١]

٥ـ تقدير الحياة والشعور بالرضا للوجود فيها بمعنى أن يكون الشخص سعيداً بحياته ويرى أن لها قيمة وفيها ما يستحق أن يكافح ويعمل من أجله .

٦ـ إدراك الدوافع والأهداف التي يعمل من أجلها، ومعرفة الوسائل التي يستطيع أن يحقق بها هذه الأهداف .

٧ـ التعاون والمبادأة من منطلق الطبيعة الإنسانية في اعتماد الناس بعضهم على بعض، وكذلك المبادرة بالإسهام في تحسين البيئة المحيطة والخدمة والعطاء .

٨ـ الاتزان الانفعالي، فالشخص الصحيح نفسياً يمكنه السيطرة على انفعالاته المختلفة والتعبير عنها بحسب ما تقتضيه الضرورة وبشكل يتناسب مع المواقف التي تستدعي هذه الانفعالات.

٩ـ ثبات الانفعالات في المواقف المتشابهة .

---

(٥٢١) انظر الخلق الكامل، مكتبة محمد صبيح، الأزهر، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ١/ ٣٦٠ .

١٠ـ ثبات السلوك، ويعني التمسك بالمبادئ المعينة التي يرتضيها الفرد والأساليب السلوكية الإيجابية المرتبطة بذلك والتي أصبح يتبعها في حياته .

والاضطرابات النفسية التي قد يتعرض لها الإنسان فتخرجه عن صحته النفسية الكاملة كثيرة مثل حالات الذهان والتي تشمل: الفصام والذهانات الانفعالية، وذهان الزور، ومثل حالات العصاب، والتي تشمل: الهستيريا والقلق العصابي، والخوف العصابي، والوهن العصابي، والوساوس المتسلطة والاكتئاب العصابي[٥٢٢].

ونظراً لأن كل هذه الاضطرابات هي ما يتعلق بشعور الإنسان وتكيفه مع البيئة المحيطة من حوله، فإن لها تأثيراً بيناً في استكمال السعادة والشعور بها، ولذلك فإن مقدار السعادة يتناسب تناسباً عكسياً مع وجود الاضطرابات النفسية فكلما زاد ت الإصابة بعرض من هذه الأعراض صاحبها فقدان من الشعور بالسعادة بمقدار ذلك حيث إن المضطرب نفسياً يسعى للاستقرار الذي هو مظهر من مظاهر السعادة ـ والحديث هنا خاص بالاضطرابات المرضية وليس مجرد

---

(٥٢٢) الصحة النفسية، نعيم الرفاعي، وانظر علم الصحة النفسية ص٤٦ د. مصطفى خليل الشرقاوي ص٢٤٠ .

الاختلاف النفسي فهذا لا يخلو منه أحد غالباً ـ ولأن الأمراض النفسية متعددة ومتنوعة فإن الباحث سوف يقتصر على ذكر نماذج من الأمراض النفسية والتي يرى أنها الأكثر شيوعاً وانتشاراً خاصة في هذا العصر :

الأول: القلق :

يعد القلق من أكثر الأمراض النفسية انتشاراً وشيوعاً ويشمل كثير من الاضطرابات النفسية تقل أو تكثر حسب حدة المرض ، وضعفه .

تعريف القلق :

لغة : الانزعاج ، يقال بات قلقاً وأقلقه غيره[٥٢٣].

والقلق من الحركة، أقلق المرء الشيء أي حركه من مكانه، وأقلق القوم السيوف أي حركوها في غمدها، فالقلق إذن هو الحركة والاضطراب وهو عكس الطمأنينة .[٥٢٤]

اصطلاحا : هو حالة نفسية تتصف بالتوتر والخوف والتوقع ، سواء كان ذلك حيال أمور محددة أم غامضة .[٥٢٥]

---

(٥٢٣) لسان العرب ج ١٠ ص٣٢٤ .

(٥٢٤) القلق وكيف نتخلص منه د. زهير السباعي دار القلم، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ . ص٧ .

(٥٢٥) المصدر نفسه ص٧ .

وهو انفعال عاطفي يتميز بالتخوف والتوجس والترقب، بما يصاحب ذلك من تغيرات فسيولوجية وأعراض بدنية وسلوكية .[٥٢٦]، ويعرفه صاحب كتاب الصحاح في اللغة والعلوم بأنه :

حالة انفعالية تتميز بالخوف مما قد يحدث من المستقبل وهي من خصائص مختلف الاضطرابات النفسية [٥٢٧].

وفي الطب النفسي : هو شعور غامض عام بالخوف والتوجس والتوتر دون إدراك لمصدر الخوف ويكون مرضياً لأنه يصاحب الفرد في كل مكان ولا يمكن مواجهة مصدره أو ملاقاته ويصبح مصدراً للرعب والوساوس والتفكير والضيق والحصر. ويكون مصحوباً بأحاسيس جسمية تتكرر بين حين وآخر يشكل ضيقاً في الصدر والتنفس أو فراغاً في المعدة، أو تسرعاً في نبضات القلب .[٥٢٨]

---

(٥٢٦) نفسه ص ١١ .

(٥٢٧) الصحاح في اللغة والعلوم ا لعلامة الشيخ عبد الله العلا يلي(دار الحضارة العربية بيروت) ص٣٣٦ .

(٥٢٨) أسس الطب النفسي الحديث.د. عطوف محمود ياسين منشورات بحسون الثقافية ص٢٣٩ .

وأما أسباب القلق ، فهناك أسباب كثيرة تؤدي إلى القلـق منها، الضغوط النفسية،[529] واختلاف طبيعة الشخص وطاقتـه الذاتيـة عـلى مواجهـة ومقاومـة الظـروف الضـاغطة نفسـياً، والسند الاجتماعي للشخص سواء المساندة المادية أو المعنويـة، والعاطفية، وأما العوامل الرئيسية التي تظهـر أعـراض القلـق فهي :

١- الخوف والتوجس وترقب السوء حيال أشياء معروفة أو مبهمة.

٢- الصراع بين نوازع الإنسان من جهة والقيود التي تحـول دون هذه النوازع .

٣- الفردية والوحدة ، وما يصاحب ذلـك مـن تركيـز عـلى الذات .

٤ ـ تحميـل الإنسـان نفسـه مـالا تحتمـل مـن الأعـمال والمسؤوليات .

٥ ـ الإفراط والتفريط في الحياة العمليـة ، وعـدم التـوازن في أمور الحياة .[530]

---

(٥٢٩) محاضـرة د. طـارق الحبيـب، طيـف محقـق الأمـن في ذواتنـا . (شـريط كاسيت) .

(٥٣٠) انظر الصحة النفسية ص٤٦ ، والقلق وكيف تتخلص منه ص٧٧ .

الثاني: **الاكتئاب** :

التعريف :

في اللغــة : الكآبـة سـوء الحـال والانكسـار والحـزن، اكتأب اكتئابا واكتئاب حزن واغتم وانكسر فهو كئيب [٥٣١] .

في الاصطلاح : هو مظهر أو نتيجـة مـن نتـائج القلـق يصاحبه شعور بـالبؤس وشـعور بالتوعـك والعجـز والمـزاج السـوداوي وضـيق الصـدر وعـدم الرضـا واليـأس وعـدم الاكتراث بالحوادث أو نتائجها وشعور بالإعياء وعدم القـدرة على إنجاز أي عمل والانحدار في الثقة بالنفس .[٥٣٢]

أسباب الاكتئاب :(**٥٣٣**)

أولاً :**أسباب عضوية**:

١ـ تغيرات في بعض كيميائيات المخ من أهمها مادة السيروتونين ومادة النور ادرينالين التي لها دور هام في حدوث الاكتئـاب النفسي عند نقصهما .كذلك نقص هرومونات الغدة الدرقيـة ونقص الفيتامينات كفيتامين ١٢[٥٣٤] .

---

(٥٣١) لسان العرب ١/٦٤٩ .

(٥٣٢) أسـس الطـب الحـديث ص ٢٤٧ د. عطـوف محمـود ياسـين ، منشـورات بحسون الثقافية .

(٥٣٣) موقع http://www.feedo.net/tellafriend.asp

(٥٣٤) الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة د. عبد الله الخطر كتاب المنتدى. ص٢٦

٢ـ عامل الوراثة :الجينات الوراثية تؤثر في حدوث الاكتئاب، حيث وجد أنه هناك عوامل وراثية لظهور الاكتئاب في بعض العائلات إذ أن الدراسات التي أجريت على التوأم أحادي البويضة وجد أن إصابة أحد التوائم بالاكتئاب يرفع نسبه حدوث الاكتئاب في التوأم الآخر إلي ٧٠ ٪ ويكون عرضة للإصابة بالاكتئاب في مرحلة ما من حياته الشخصية.

٣ـ الروح الانهزامية، والاعتماد علي الغير، والتأثر بالمتغيرات الخارجية والشخصيات التي لها دائماً نظرة تشاؤمية للأمور احتمال إصابتها بالاكتئاب كبيرة .

ثانياً :عوامل بيئية:

١ـ أحداث الدنيا، كفقد عزيز، أو تغير معيشة، أو انقطاع علاقة اجتماعية ونحو ذلك من أحوال مثل كثرة التعرض للعنف والاعتداء النفسي أو الجسدي، وكذلك كثرة الضغوط الخارجية على الإنسان دون وجود متنفس لها تدعو إلي الشعور بعدم جدوى الحياة وهي أهم المؤديات للاكتئاب.

٢ـ الأدوية، فقد ثبت في الدراسات والتجارب التي أجريت أن بعض الأدوية يؤدي إلى تغيرات كيميائية في الدماغ فيؤدي إلى ظهور آثار جانبية منها الاكتئاب .[٥٣٥]

---

(٥٣٥) الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٦ د. عبد الله الخطر كتاب المنتدى .

٣ـ المخدرات :

ثبت أن بعض المخدرات تسـبب الاكتئـاب بنفسـها، وبعضها إذا توقـف عنهـا الإنسـان، مثـل أنـواع الخمـور، والحبوب المنبهة التي يستخدمه سائقو الشاحنات ، إذ أنهـا تحتوي على مادة الأمفيتامين التي إذا توقف عنها المتعـاطي أصيب بالحزن والضيق .[٥٣٦]

أعراض الاكتئاب :

يذكر المختصون في علاج الأمراض النفسـية، مـن الأطبـاء النفسيين جملة من الأعراض لمرض الاكتئاب منها ما يلي :

١ـ الشعور بهبوط الروح المعنوية معظم الوقت .

٢ـ الشعور بعدم الرضا عن النفس وقد يفقد الثقة بالنفس.

٣ ـ سيطرة الأفكار السلبية على تفكير المصاب.

٤ ـ الشعور بالعجز والخواء واليأس .

٥ــ لـوم الـنفس والشـعور بالـذنب تجـاه الأمـور بـدون ضرورة.

٦ـ ضعف التركيز وعدم المقدرة على اتخاذ القرارات .

---

(٥٣٦) نفسه ص٢٦،
وانظر الصحة النفسية نعيم الرفاعي ص ٣١٣.

٧ـ سرعة الانفعال بشكل غير اعتيادي وفقدان الصبر .

٨ ـ اضطرابات وصعوبة في النوم .

٩ـ عدم الاتزان في التغذية ، فقد يفرط المكتئب فيزداد وزنه، أو قد يفرط فيقل وزنه.

١٠ـ لا يتمتع بالأنشطة المبهجة عادة .

١١ـ يعاني من اضطراب في الرغبة الجنسية .

١٢ـ يحاول الهروب إلى استعمال التبغ أو المخدرات أو الكحول رغبة في إزالة الاكتئاب .

١٣ـ يفكر أو يرتكب أفعال إيذاء النفس أو الانتحار.

١٤ـ يعاني من الضعف في النشاط والطاقة .

١٥ـ يبتعد عن الآخرين بدلا من أن يطلب منهم المساعدة أو الدعم .

١٦ـ يكون لديه نظرة يائسة ومتشائمة للمستقبل .[٥٣٧]

ومن خلال النظرة الواقعية لأثر الحضارة المادية المعاصرة ـ البعيدة عن الوحي ـ في إحداث الاضطرابات النفسية لدى الإنسان المعاصر نجد أن الواقع الذي تشهد به الإحصائيات

---

(٥٣٧) موقع multikulti : العربية، الصحة، وانظر الموسوعة النفسية، عبداللطيف شراره، دار إحياء العلوم، بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ. ص١١ .

والأرقام ، وتُسمعنا إياه الأخبار والتحليلات والتعليقات يدل على أن الحضارة المادية المعاصرة أدت إلى تدهور كبير في الصحة النفسية للإنسان المعاصر حيث إن مرضى الاضطرابات النفسية والعقلية يشغلون في أمريكا فقط أكثر من نصف الأسرة في جميع المستشفيات المخصصة للأمراض الأخرى، بمعنى أن هناك مستشفيات مخصصة للأمراض النفسية والاضطرابات العصبية هذه كلها مليئة بهؤلاء المرضى،لكن هناك مستشفيات عامة تصف أعداد الأسرة التي فيها من المرضى النفسانيين الذين يصابون بالاكتئاب والاضطراب والخوف والجزع ، وغير ذلك من هذه الأدواء والعلل. ومن أثر ذلك كان تطور الاعتداء على النفس البشرية بإزهاقها وإعدامها من الوجود ، وذلك يتمثل في جريمة الانتحار التي أعظم أسبابها هو هذه الاضطرابات والأمراض النفسية ، حيث ارتفعت نسبة الانتحار في أمريكا إلى ٧٠٠٠٠ سبعين ألف حالة انتحار في كل عام، وأكثرها من شباب العقد الثالث أي في سن ما بين العشرين والثلاثين.

وفي إحصائيات أخرى بلغ عدد المقدمين على الانتحار خلال عام واحد هو (٢٥٠٠٠٠) مائتين وخمسين ألف شخص ربع مليون – أي بمعدل مئة وعشرين شخصاً في اليوم

الواحد - وبالمقارنة أن هذا العدد أقل من عدد جرائم القتل التي يعتدي فيها الإنسان على الإنسان، فأصبح قتل الإنسان لنفسه أكثر عدداً من جرائم القتل التي يعتدي فيها عليه غيره وفي الدول الإسكندنافية التي[٥٣٨]. تعتبر أكثر دول العالم تحللاً - ليس فيها شيء ممنوع مطلقاً - والتي تمثل أرقى وأعلى مستوى معيشة في العالم ـ سجلت الإحصائيات أكثر نسبة الانتحار بين دول العالم كلها؛ لأنه كلما غاص الإنسان في الوحل كلما ازداد تلطخاً بالأوضار، وكلما زاد في الشهوات المحرمة كلما ضاقت نفسه وضاق صدره وأقبل على إنهاء وجوده مختاراً بنفسه، ولذلك أنشأت في تلك البلاد- ذات الحضارة العريقة التي ينخدع بها الناس- مراكز لتتلقى مكالمات المقدمين على الانتحار، أو الذين لديهم مشكلات عاطفية، والذين يعانون من ضيق الصدر وعندما أنشأت هذه المراكز انهالت عليها مئات الآلاف من المكالمات، التي تكشف عن مدى عمق التمزق النفسي والاضطراب الذي يعيشه أولئك القوم .

ولذلك أنشئت في بعض الجامعات وحدات لمراكز أبحاث متخصصة في شؤون الاكتئاب ، وفي الإحصائيات

---

(٥٣٨) انظر الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي ص٨٤ .

المتأخرة نجد هذه الأرقام في أمريكا نسبة الانتحار تبلغ ما بين ١٠ إلى ١٢ في كل مئة ألف نسمة[٥٣٩].

الثالث : **الأمراض الاجتماعية** :

الأمراض الاجتماعية ، مصطلح شائع لبعض الأخلاق الذميمة، والتي تظهر عند تعامل الإنسان مع الآخرين وتؤثر على سلامة الصحة العامة للمسلم المصاب بها، مثل الحسد، والحقد ، والظلم، والغيبة والنميمة، والغضب، والكبر، والرياء، وغيرها، وهي تسمى عند علماء تزكية النفوس بأمراض القلوب [٥٤٠]، وحتى لا يلتبس الأمر بالنسبة للأمراض القلبية التي تصيب عضو القلب، كما سبق في الأمراض البدنية، فإن المؤلف قد اختار تسمية هذه الأخلاق بالأمراض الاجتماعية نسبة لتعلقها بأفراد المجتمع، أو لظهورها عند المخالطة والانخراط في الناس ، وسوف يذكر نموذجاً من أهم تلك الأمراض والتي يرى المؤلف أنه الأكثر أثراً في تنغيص السعادة ، وأنه ربما كان هو الدافع لكثير من الأمراض الاجتماعية الأخرى التي تؤثر سلباً في سعادة المسلم ، ألا وهو مرض الحسد،

---

(٥٣٩) مرجع هذه الإحصائيات، محاضرة للشيخ علي بادحدح، من موقع إسلاميات، بتصرف .

(٥٤٠) انظر موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للقاسمي ص٢٠٤ .

وسوف يتناوله المؤلف من حيث مفهومه، وحكمه، ومراتبه، وأسبابه، وعلاجه، وذلك على النحو التالي :

الحسد :

أ ـ مفهوم الحسد :

الحسد في اللغة : القشر، وحسد الشجرة قشر عنها لحاءها،[541]

وأما في الشرع فقد تعددت تعريفات العلماء للحسد، فن ذلك :

١ـ يعرفه الماوردي أنه : شدة الأسى على الخيرات تكون لأفاضل الناس .[542]

٢ـ تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للحسد أنه : البغض والكراهة لما يراه من حال المحسود .[543]

٣ـ الغزالي يعرف الحسد أنه : كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه[544]

---

(٥٤١) انظر لسان العرب لابن منظور، مادة حسد ٨٦٨/٢ .

(٥٤٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٢٤٥ .

(٥٤٣) مجموع الفتاوى ١١٢/١ .

(٥٤٤) إحياء علوم الدين ٢٤٩/٣.

٥ـ عرف الجرجاني الحسد أنه : تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد .(٥٤٥)

٦ـ ويعرف ابن حجر العسقلاني الحسد أنه : تمني الشخص زوال النعمة عن مستحق لها أعم من أن يسعى في ذلك أو لا .(٥٤٦)

يظهر من التعاريف السابقة أن بعضها ذكر أسباب الحسد، مثل تغير القلب والحزن والكره والبغض الآخر، أو ذكر آثار الحسد مثل الغم الذي يصيب القلب ، وبعضها ذكر حقيقة الحسد والتي هي تمني زوال النعمة عن الغير، إذ لا حسد إلا عند نعمة ، ولذلك فإن التعريف المختار هو :

الحسد تمني زوال النعمة عن الغير مطلقاً ، أعم من أن يكون صاحب هذه النعمة مستحقاً لها أو لا، وأعم من أن تزول إلى الحاسد أو لا، وأعم من أن يسعى الحاسد في إزالتها أو لا، وأعم من أن يكون السعي بالتفكير، أو التخيل، أو بالنظر بالعين ، أو بالملامسة ، أو بغيرها .(٥٤٧)

---

(٥٤٥) التعريفات، الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣هـ ص١١٧

(٥٤٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٤٢٣/٥ ، وانظر إحياء علوم الدين للغزالي٢٤٩/٣ .

(٥٤٧) وانظر آفات على الطريق ٢٦٩/٦مرجع سابق .

ب ـ حكم الحسد :

الحسد محرم ، لـورود النهـي الصريـح عنـه في قولـه عليـه الصـلاة السـلام : (..لا تباغضـوا ولا تحاسـدوا ولا تـدابروا وكونوا عباد الله إخوانـاً ..).(٥٤٨) ولأن الرسـول عليـه الصـلاة والسلام قد حذر منه الأمة وبين لهـم خطورتـه فقـال:(إيـاكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكـل النـار الحطـب أو قال العشب)(٥٤٩).غير أن وجود الحسد أمر لا يسلم منه إلا مـن عصمه الله تعالى، وفي ذلك يذكر العلامة ابن القيم كلاماً نفيساً إذ يقول : (تأمل تقييده سبحانه وتعالى: شر الحاسد بقوله: (إذا حسد)، لأن الرجل قد يكون عنده حسد، ولكـن يخفيـه ، ولا يترتب عليه أذى بوجه ما، لا بقلبه ، ولا بلسانه، ولا بيـده بـل يجد في قلبه شيئاً من ذلك، ولا يعامل أخـاه إلا بـما يحـب الله ، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصم الله .

وقيل للحسن البصري : أيحسد المؤمن؟ قـال: مـا أنسـاك لإخوة يوسف. لكن الفرق بين القوة التي في قلبـه مـن ذلـك، وهو لا يطيعها، ولا يأتمر بها، بل يعصـيها طاعـة لله، وخوفـاً، وحياءً منه ، وإجلالاً له أن يكره نعمه على عباده، فـيرى ذلـك

---

(٥٤٨) رواه مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم التحاسد .برقم٤٦٤١ .

(٥٤٩) رواه ابو داود كتـاب الأدب بـاب الحسـد بـرقم٤٢٥٧ فيـه راو لم يسـم، الألباني تحقيق رياض الصالحين ١٥٧٧.

مخالفة لله ، وبغضاً لما يحب الله ، ومحبة لما يبغضه فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك، ويلزمها بالدعاء للمحسود، وتمني زيادة الخير له، بخلاف ما إذا حقد على ذلك وحسده، ورتب على حسده مقتضاه : من الأذى بالقلب، واللسان، والجوارح، فهذا الحسد المذموم، هذا كله حسد تمني الزوال ، ومثله : تمني استصحاب عدم النعمة ، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله من جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن الله، أو قلة دينه ، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب ، فهذا حسد على شئ مقدر، والأول حسد على شئ محقق، وكلاهما حاسد عدو نعمة الله وعدو عباده، ممقوت عند الله تعالى وعند الناس ، ولا يسود أبداً ، ولا يواسى ، فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبداً، إلا قهراً ويعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها، فهم يبغضونه وهو يبغضهم)[550].

(٥٥٠) انظر بدائع التفسير لابن القيم دار ابن الجوزي، جمعه، ووثق نصوصه، يسري السيد أحمد . ٥/ ٤٢٣-٤٢٤ .

د ـ أسباب الحسد:

وللحسد أسباب ودوافع متعددة منها ما هو متعلق بالحاسد ومنها ما هو متعلق بالمحسود وهي على النحو التالي :

١ - العداوة والبغضاء والحقد (*من الحاسد*): وهذا من أشد أسباب الحسد وأصل المحاسدات العداوة وأصل العداوة التزاحم على غرض والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهما. والحسد نتيجة من نتائج الحقد وثمرة من ثمراته المترتبة عليه فإن من يحقد على إنسان يتمنى زوال نعمته ويغتابه وينمّ عليه ويعتدي على عرضه ويشمت به لما يصيبه من البلاء ويغتّم بنعمة إن أصابها ويسر بمعصية إن نزلت به وهذا من فعل المنافقين والعياذ بالله.[٥٥١]

٢ - التعزز والترفع(*من الحاسد*): فإذا أصاب أحد زملائه ولاية أو مالاً خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره وافتخاره عليه. ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم فنطأطئ رؤوسنا له فقالوا(لولا نزّل هذا القران على رجل من القريتين عظيم).[٥٥٢]

---

(٥٥١) انظر احياء علوم الدين، للغزالي، ٣/٣٥٣ .

(٥٥٢) سورة الزخرف آية ٣١ .

٣ - الكبر (*من المحسود*): وهـو أن يكـون في طبعـه أن يتكـبر عـلى الحاسد ويستحقره ويستصغره ويستخدمه فإذا نال ولايةً خاف ألاّ يحتمل تكبره فيحسده على ذلك ويتمنى زوال تلك النعمة .

٤ – التعجب (من الحاسد): كما أخبر الله عن الأمم الماضـية إذ ﴿ **قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَـرٌ مِّثْلُنَـا** ﴾ فتعجبـوا أن يفـوز برتبـة الرسل والوحي والقرب من الله بشـر مـثلهم فحسـدوهم وأحبوا زوال النعمة عنهم.(٥٥٣)

٥ - الخوف من المزاحمة وفوات مقصد من المقاصد بين النظراء في المناصب والأموال (من الحاسـد والمحسـود): وذلـك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد وذلك مثل الضـرات عند زوجهن والتلاميذ عند الأستاذ والإخـوة في التـزاحم على نيل المنزلة في قلوب الأبوين ليتوصـل بهـا إلى مقاصـد الكرامة والمال وخدّام الملك في نيل المنزلة من قلبه. والتاجر يحسد التاجر والصانع يحسد الصانع والنجار يحسد النجـار والفلاح يحسد الفلاح وأرباب الجاه يحسدون أرباب الجـاه والمناصب الحكومية يحسد بعضـهم بعضـاً، ومـن الأمثـال المتداولة قولهم: عدو المرء من يعمل عملـه. والحسـد يقـع كثيراً بين المتشـاركين في رئاسـة أو مـال إذا أخـذ بعضـهم

---

(٥٥٣) المصدر السابق ٣/٣٥٤ .

قسطاً من ذلك وفات الآخر.ويكون بين النظـراء لكراهـة أحـدهم أن يفضـل عليـه الآخـر، كحسـد إخـوة يوسـف وكحسد ابني آدم أحدهما لأخيه فإنه حسده لكون الله تقبل من قربانه ولم يتقبل قربان هذا ، فحسده على مـا فضـله الله من الإيمان والتقوى و لهذا قيل: أول ذنـب عصـي الله بـه ثلاثة: الحرص والكبر والحسد. فالحرص من آدم، والكـبر من إبليس، والحسد من قابيل حيث قتل هابيـل. والحسـد يكثر في المناصب والأمـوال، ويقـع لمـا يحصـل للغـير مـن السؤدد والرياسة[554] فأصحاب العلم والمال يُحسدان كثيراً، ولهذا يوجد بين أهل العلم الذين لهم أتباع من الحسد مـالا يوجد فيمن ليس كذلك، وكذلك فـيمن لـه أتبـاع بسـبب إنفاق ماله فذلك ينفع الناس بقوت القلوب، وهذا ينفعهم بقوت الأبدان والناس محتاجون إلى ما يصلحهم مـن هـذا وهذا.[555]

٦ - حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه مـن غـير توصـل بـه إلى مقصود ومن غير قصد شرعـي صـحيح (مـن الحاسـد): وذلك كالرجل الذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء والمدح واستفزه الفرح بما

(٥٥٤) انظر مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص١٩٩.
(٥٥٥) انظر خلق المسلم للغزالي ص٩٤، دار القلم، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ .

يمدح به، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى أقطار الأرض لساءه ذلك وأحب موته أو زوال تلك النعمة التي عند الذي يشاركه بها في المنزلة من شجاعة أو علم أو صناعة أو جمال أو ثروة أو نحو ذلك.[556]

٧ - خبث النفس وحبها للشر وشحها بالخير لعباد الله (من الحاسد): فتجد المتصف بذلك شحيحاً بالفضائل بخيلاً بالنعم وليست إليه فيمنع منها ولا بيده فيدفع عنها لأنها مواهب قد منحها الله من شاء فيسخطه على الله عز وجلّ في قضائه ويحسد على ما منح من عطائه وإن كانت نعم الله عز وجلّ عنده أكثر ومنحه عليه أظهر، وإذا ذكر له اضطراب ونكبات تصيب الناس وكذلك إدبارهم وفوت مقاصدهم وتنغيص عيشهم استنار وجهه وفرح به وصار يبثّه وربما أتى بإشاعة في صورة الترحم والتوجع فهو أبداً يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأن ما أعطاهم الله يؤخذ من ماله وخزانته على أنه ليس بينه وبينهم عدواة وهذا ليس له سبب إلا التعمق في الخبث والرذالة والنذالة والخساسة في الطبع اللئيم ولذلك يعسر

---

(٥٥٦) انظر كوكبة الخطب المنيفة، د. عبد الرحمن السديس، ص٣٩٠ مكتبة إمام الدعوة العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

معالجة هذا السبب لأنه ظلوم جهول وليس يشفي صـدره ويزيـل حـزازة الحسـد الكـامن في قلبـه إلا زوال النعمـة فحينئذ يتعذر الدواء أو يعزّ .

وهذا النوع من الحسد أعمها وأخبثهـا إذ لـيس لصـاحبه راحة ولا لرضاه غاية ، فإن اقترن بشر وقـدرة كـان بـوراً وانتقاماً وإن صادف عجزاً ومهانة كان جهداً وسقاماً.[557]

٨ - ظهور الفضل والنعمة على المحسود: بحيث يعجز عنه الحاسد فيكره تقدمه فيه واختصاصه به فيثير ذلك حسداً لـولاه لكـفّ عنه وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة ولكنها مع عجـز فصارت حسداً. وعلى قدر فضل الإنسان وظهور النعمة عليـه يكون حسد الناس لـه فإن كثر فضله كثر حسّاده وإن قـلّ قلّـوا لأن ظهور الفضل يثير الحسد وحدوث النعمة يضاعف الكمد ولـذلك ورد في الحـديث (اسـتعينوا عـلى إنجـاح حـوائجكم بالكتمـان فإن كل ذي نعمة محسـود).[558]

٩ - حب الدنيا : فمنشأ التزاحم حب الـدنيا فـإن الـدنيا هـي التي تضيق على المتزاحمين فيتنافسون فيها أما الآخرة فـلا ضيق فيها أبداً.

---

(٥٥٧) انظر إحياء علوم الدين ٣/٣٥٥ .

(٥٥٨) انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس ١/ ١٣٥.

د ـ وسائل العلاج :

١ - التقوى والصبر: فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فليستعمل معه الصبر والتقوى فيكره ذلك الحسد في نفسه.(٥٥٩)

٢ - القيام بحقوق المحسود: من الناس الذين عندهم دين لا يعتدون على المحسود، فلا يعينون من ظلمه ، ولكنهم أيضاً لا يقومون بما يجب من حقه ، بل إذا ذمه أحدٌ لم يوافقوه على ذمه ولا يذكرون محامده ، وكذلك لو مدحه أحدٌ لسكتوا وهؤلاء مدينون في ترك المأمور في حقه مفرطّون في ذلك لا معتدون عليه، وجزاؤهم أنهم يبخسون حقوقهم فلا ينصفون أيضاً في مواضع ولا ينصرون على من ظلمهم كما لم ينصروا هذا المحسود. أما من اعتدى بقول أو فعل فذلك يعاقب ، ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه.

٣ – الإخلاص لله تعالى في الأعمال ومناصحة المسلمين ولزوم جماعتهم : فإن هذه الخصال لها شأن عظيم في رفع الغل عن قلب المؤمن، كما أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام عن ذلك بقوله:(ثلاث لا يغل عليهم قلب المؤمن

---

(٥٥٩) انظر بدائع التفسير لابن القيم ٥/٤٢٥ .

إخلاص العمل والنصيحة لولي الأمر ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تكون من ورائه)[٥٦٠].

٤ - العلم بأن الحسد ضرر على الحاسد في الدين والدنيا ومنفعته للمحسود في الدين والدنيا: فلا ضرر به على المحسود لا في الدنيا ولا في الدين بل ينتفع به فيهما جميعاً. أما ضرره في الدين فلأنه سخطٌ لقضاء الله وقدره وكراهة لنعمته على عبده المؤمن وانضم إليه غش المسلم وترك نصحه وترك العمل بقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٥٦١] وانضم أيضاً إلى ذلك أنه شارك إبليس في ذلك، وهذه خبائث تأكل الحسنات.

وأما ضرره في الدنيا فإنه الألم الحاضر والعذاب الأليم الذي يتقطع له قلب الحاسد للنعمة حسرات .

وأما كونه لا ضرر على المحسود فواضحٌ لأن النعمة لا تزول بالحسد. وأما منفعته في الدين فهو أن المحسود مظلوم من جهة الحاسد لا سيما إذا أخرج الحسد صاحبه إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهذه

(٥٦٠) رواه احمد برقم ١٦١٣٨ورواياته الأخرى في صحيح الجامع برقم ٦٧٦٦.
(٥٦١) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه برقم ٦٤.

هدايا تُهدى إليه ، وأما منفعته في الدنيا للمحسود فهو أن أهم مقاصد أكثر أبناء الدنيا إيصال الضرر والهمّ إلى أعدائهم وهو متوفر في الحسد وقد فعل الحاسد بنفسه مرادهم.

٥ - الثناء على المحسود وبرَّه: فيكلف نفسه الثناء عليه من غير كذب ويلزم نفسه بره إن قدر، والإهداء إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فهذه الأفعال تعمل على تطِييب قلب المحسود ويحب الحاسدَ ويصير ما يتكلفه أولاً طبعاً آخراً. ولم يتم العثور على إدخالات فهرسة.لا يعمل بوساوس الشيطان أنَّ هذا عجزٌ ونفاق وخوف لأن ذلك من خدعه ومكائده فهذا الدواء إلا أنه مرٌّ قلَّ من يقدر عليه .قال تعالى﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾(٥٦٢). والعمل النافع فيه عدم البغي وكذلك أن يناقض الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكون نقيضه فإن بعثه الحسد على القدح في محسوده كلَّف لسانه المدح له والثناء عليه ، وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه ، وإن بعثه على كفّ الإنعام عليه، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه

(٥٦٢) سورة فصلت ٣٤ .

ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه وتولَّد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعَم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه.

د ـ أثر الحسد في تنغيص سعادة المسلم :

لو لم يكن في الحسد إلا التأسي بأشقى الأشقياء إبليس، ومصاحبته لكان ذلك كافياً في تنغيص السعادة وتكديرها، ذلك أن أول معصية عصي بها الله تعالى هي هذا المرض القلبي (الحسد) عندما حسد إبليس آدم على نعمة التكريم التي كرمه الله بها عند أمره الملائكة بالسجود ، فكان بذلك من الأشقياء أبداً .

فالذي يحسد إخوانه عباد الله على ما آتاهم الله من نعم، هو قد جارى الشيطان واتبعه ، وليس ذلك فحسب بل إن الحسد هو دأب الكافرين والمشركين والمنافقين ، على مر العصور، فما الذي منع زعماء قريش من الدخول في الإسلام إلا حسدهم رسول الله نعمة النبوة ، وما الذي منع أهل الكتاب من اليهود والنصارى من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم غير الحسد .

والحاسد أول مايصيبه مرض في حسده، يعاني من حسراته، وأسقامه، ثم لا يجد لحسراته انتهاء ولا يأمل لسقامته شفاء [٥٦٣]، وذلك من أجل نعمة أنعم الله بها على غيره ، فيكون بذلك مرضاً في قلبه، ويتلذذ بزوال النعمة عنه، وإن لم يحصل نفع بزوالها، ولكن نفعه يكون بزوال الألم الذي كان في نفسه، وبذلك يكون الحاسد في عدم ارتياح ، ولا يمكن أن يطمئن، لأن قلبه منشغل بالمحسود وما هو فيه من نعمة ، ولا شك أن انشغال القلب هذا هو المبعد للمسلم عن السعادة.

وهذا الداء الخطير، في هذا العصر (زمن الفتن) لم يسلم منه حتى من عرف بالخير والصلاح ، والعلم والدعوة، وذلك لتحقق بعض أسبابه، ولعل من أهمها، انبساط الدنيا على أهلها، وانفتاحها حتى حصل التنافس، الذي حذر منه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله للصحابة رضي الله عنهم :(إذا فتحت عليكم فارس والروم ، أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف : نقول كما أمرنا الله ، قال عليه الصلاة والسلام: أو غير ذلك، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك ثم تنطلقون إلى مساكن المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض)[٥٦٤].

---

(٥٦٣) أدب الدنيا والدين، الماوردي ص٢٤٦ .

(٥٦٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الزهد باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر برقم ٥٢٦٢ .

فهذا كلام موجه لخير القرون وهم الصحابة رضي الله عنهم ، فكيف بمن بعدهم ، من القرون ،الذين قد بعد عنهم عهد نور النبوة وإشراقها ، لا شك أن أمر الحسد خطير، ويحتاج المسلم الى تصفية قلبه وإلى أن يحب إخوانه المؤمنين جميعاً ، وأن يحب لهم من النعم كما يحب لنفسه ، وأن يستعيذ بالله من شر الشيطان الرجيم الذي يحاول بين الحين والآخر أن يسوق معه من استطاع من العباد حتى يدخلهم في زمرته نعوذ بالله من شره وكيده .

الخلاصة :

ومجمل القول أن الأمراض التي يتعرض لها المسلم في حياته ـ سواء الأمراض البدنية ، أو النفسية ، الاجتماعية ـ هي منغص من المنغصات التي تعترض حياة المسلم ، وبمعرفة ذلك ووضوحه يستطيع المسلم أخذ الاحتياطات اللازمة، والحذر من كل ما يحول بينه وبين تحقيق السعادة ، مؤمناً بالله تعالى ، مستسلماً لقضائه وقدره .

***

الخاتمة

الحمد لله وحده ،والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ...

أما بعد :

أحمد الله العلي الكبير، ذي الجلال والإكرام، المتفضل، الحميد المجيد، الذي أكرمني كرماً لا منتهى لحدوده ، وأنعم علي بنعم لا تعد ولا تحصى، ومن أجل هذه النعم، وتلك المكارم ، أن هداني لاختيار هذا الموضوع ، ودراسته ، والكتابة فيه ، وأن وفقني لذلك وأعانني عليه ، إعانة لا نكران لها، فله الحمد حتى يرضى وله الحمد إذا رضي وله الحمد بعد الرضا، فهو المنعم المتفضل سبحانه وبحمده ، وهو العالم بأنني قد استفدت بمطالعتي وبحثي لكثير من المصادر والمراجع، في هذا الموضوع ، ما لم أحصله في كثير من مراحلي التعليمية السابقة ، فله الحمد كله ، وإليه يرجع الأمر كله علانيته وسره، وسوف أذكر في خاتمة هذا المؤلف، ملخصاً إجمالياً، والنتائج والتوصيات، والمصادر والمراجع التي اعتمدت عليه في كتابته ، وذلك على النحو التالي :

أولاً : **ملخص الكتاب** :

يمكن أن ألخص المؤلف في نقاط أربع رئيسة تالية كما يلي :

الأولى : تعريف السعادة : غاية ما يطلبه الإنسان من النعيم الدائم ، في الدنيا وفي الآخرة، تتمثل في الدنيا بالشعور بالطمأنينة والرضا، عند توفيق الإنسان بين مصالحه الدينية والدنيوية، وفي الآخرة بالفوز برضوان الله تعالى ودخول الجنة.

الثانيةً : أسباب السعادة في الإسلام هي :

١ـ الإيمان .

٢ ـ العمل الصالح .

٣ ـ التواصي بالحق .

٤ ـ التواصي بالصبر .

الثالثة : أسباب سعادة المسلم في حياته الأسرية هي :

١ ـ الزوجة الصالحة .

٢ ـ المسكن الواسع .

٣ ـ المركب الهنئ .

٤ ـ الجار الصالح .

الرابعة : عوائق السعادة هي :

١ ـ قصور الفهم السليم لحقيقة السعادة .

٢ـ ضعف التربية الإيمانية للمسلم .

٣ ـ الأمراض التي يتعرض لها المسلم .

وقد اشتمل المؤلف على تفصيل دقيق لكل ذلك ، سائلاً الله تعالى السعادة لنا، ولمن يقرأ هذا المؤلف أو يطلع عليه، أو أعانني على شيء منه .

ثانياً :النتائج والتوصيات :

من خلال فصول هذا البحث ومباحثه توصل المؤلف إلى نتائج مهمة ، انبثقت منها توصيات مهمة للمسلم المعاصر وهي على النحو التالي :

١ ـ أن هدف الأهداف، وغاية الغايات، التي يجمع عليها كل البشر ، هي السعادة ، وأنها لا يمكن أن تكون لأي أحد إلا بالطريق الذي بينه رب البشر ـ سبحانه وتعالى، وهو منهجه الذي أراده لعباده في هذه الأرض، والذي بينه كتابه الكريم، وتوضحه سنة خاتم المرسلين، عليه الصلاة والسلام، ولذلك فلا يصح أن تطلب السعادة من غير هذين المصدرين، لأنها لا توجد إلا بهما .

٢ ـ الحياة الدنيا بما فيها من متاع، وزخرف ، وعيش رغيد، لا تمثل السعادة أبداً ، إلا إذا ربطت بالحياة الآخرة ، لأن مفهوم السعادة مرتبط بهما جميعاً، وعلى ذلك فينبغي للمسلم مريد السعادة أن يستحضر حياته الأخرى وهو يعيش في هذه الحياة الدنيا لأنها مصيره الذي لابد له منه ، والذي يكمل به نعيمه المطلق .

٣ ـ أن من مكملات السعادة عند المسلم ، ما يرتبط بجانب الأسرة ، والذي حثت عليه الأحاديث النبوية الشريفة، وظهر أثناء البحث أن سعادة المسلم الأسرية في الدنيا مكملة للسعادة العظمى التي يرغب فيها ،ومعينة على تحقيقها ، ولهذا لابد للمسلم أن يهتم بالجانب الأسري ويوليه اهتماما بالغاً من جميع النواحي، إذ هو من مكملات السعادة التي يرجوها ويأمل فيها .

٤ ـ ظهر المؤلف من خلال البحث أن للسعادة أركاناً أربعة، لا تقوم إلا بها، ولا تتحقق إلا بتحقيقها، وهي الإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله، والأخلاق الحسنة، وبالتالي فإن القيام بهذه الأركان الأربعة مجتمعة أمر لازم للمسلم لا يسعد إلا بذلك، على تفاوت في التكاليف والمسؤوليات كل بحسبه .

٥ ـ الحضارة المعاصرة، جل اهتمام أهلها بالمادة فقط، ولـذلك فإن ما يقدم منها على اعتبار أنه سـعادة ، فهـو لا يلبـث أن يزول وينتهي ، وعلى هذا فينبغي على المؤسسـات التربويـة الإسلامية ، التي تعمل على تربية أبناء الإسـلام أن تراعـي ذلك عند وضـع المنـاهج والخطـط والوسـائل المؤديـة إلى تحقيق أهـداف التربيـة الإسـلامية وأن تعتـبر أن الحضـارة المعاصرة بكـل وسـائلها وتقنياتهـا ونظرياتهـا، إن لم تكـن مرتبطة بالتصور الصحيح للحياة والكون والإنسان ، فإنها ستظل قاصرة عن تحقيق السعادة .

٦ ـ المخالفات الشرعية لأوامر الله تعالى وأوامـر رسـوله عليـه الصلاة والسلام ، والبعد عن الله تبارك وتعالى ـ بأي وجـه مـن الوجـوه ـ يـؤدي إلى حيـاة غـير سـعيدة ـ بالتناسـب العكسي بين المخالفات والحياة السعيدة ـ بل يؤدي ذلـك إلى اضـطرابات اجتماعيـة، ونفسـية، مـن شـأنها أن تعيـق المسلم من أن يعيش متوافقاً بين ما يجـب عليـه أن يكـون، وما يمارسه، ويطبقه في واقع الحياة .

٧ ـ تحقيـق العبوديـة التامـة لله جـل وعـلا، والرجـوع إليـه، والاسـتعانة بـه ، في جميـع الأحـوال وشـتى الظـروف، والتقرب إليه بالطاعات والأعمال الصالحات ،كفيلة بـإذن

الله تعالى أن يحيا معها المسلم حيـاة سـعيدة ، ومـن تحقيـق العبودية لله تعالى في هذا العصر السعي مـن أجـل انتصـار دينه ، ورفعته ، وتحكيم شرعه في الأرض ، والعمل الدائم لذلك .

***

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

-الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد ياجن، مكتبة الخانجي، الطبعة ١٣٩٢هـ

-أثر الدعاء في كشف المحذور ورفع البلاء ، محمد عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء ١٤١٢٤هـ

-إحياء علوم الدين، الغزالي، دار الخير للطباعة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ

-اختيار جنس الجنين ، عبد الرشيد قاسم .

-أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ

-الأذكار للنووي، محيي الدين النووي، دار القلم، ١٤٠٩هـ

-أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي جريشة، ومحمد شريف .

-الاستشفاء بالصلاة ، زهير رابح ، هيئة الإعجاز العلمي ، ١٤١٧هـ

-أسس الطب النفسي الحديث عطوف محمود ياسين منشورات بحسون الثقافية .

-الإسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ، دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة ١٩٦٥م

-الإسلام والعولمة، سامي دلال ، كتاب المنتدى، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ

-الإسلام ومستقبل البشرية ، عبد الله عزام ، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤١٠هـ

-الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله ، في العصر الحاضر، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، الطبعة ١٤١٠هـ، خالد خياط

-أصول التربية الإسلامية، النحلاوي ، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ

-أصول التربية الإسلامية ، دار الفكر للطباعة ، ١٤١٧هـ

-أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ

-الأعلام، خير الدين الزركلي ،دار العلم للملايين، الطبعة الثانية عشر، ١٩٧٧م

-آفات على الطريق ، محمد نوح، دار اليقين، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ

-آفاق بلا حدود، د. محمد التكريتي، دار المعارج، طبعة ١٤١٩هـ

-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأثره في حفظ الأمة، عبد العزيز المسعود، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ

-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، الطبعة الرابعة، ١٤١٠هـ

-الأمل طبيعته وآثاره والطرق الموصلة إليه، رضا المصري، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

-الإنسان الصالح وتربيته من منظور إسلامي، علي خميس الزهراني، دار طيبة الخضراء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ

-الإنسان والعقل، د. نا يف معروف، دار سبيل الرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ

-الإيمان والحياة، القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشر ١٤٠٧هـ

-أين نحن من أخلاق السلف عبد العزيز الجليل دار طيبه للنشر الطبعة الأولى ١٤١٤هـ

-بدائع الصنائع في التفسير، ابن القيم ، دار ابن الجوزي، تحقيق يسري السيد أحمد

-بر الوالدين، أم حفص الشويحي، دار طيبة ، ١٤٢٤هـ

-بر الوالدين، قيمة إسلامية عظيمة ، عبد الله عبد العزيز، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

-بصمات على ولدي، طيبة اليحيى، دار الوطن للنشر، ١٤١٢هـ

-بغية الطالبين من إحياء علوم الدين، أحمد عساف، دار إحياء العلوم بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣هـ

-تاج العروس للفيروز أبادي .

-التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، عبد العزيز الحميدي، دار الأندلس الخضراء، الطبعة ١٤١٦هـ

-التبيان في آداب حملة القرآن ،محيي الدين النووي، مكتبة المؤيد، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ

-تحفة العروس، الإستانبولي، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

-تحفة المودود في أحكام المولود ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية .

-تربيـة الأولاد في الإسـلام ، عبـد الله علـوان، دار السـلام للطباعـة، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ

-التربية الترويحية في الإسلام، احمد سمك ، دار النفائس، ١٤٢٠هـ

-تربية العظماء ، جمال الحوشبي، دار الأندلس الخضـراء ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

-تربية النشء في ظلال الإسلام محمود عمارة ، مطبوعات الرابطة ، مجلة دعوة الحق عدد(٢٦) ، ١٤٢١هـ

-الترغيب والترهيب ، المكتبة البخارية ، ١٣٧٩هـ

-تفسـير الزمخشـري ، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، لبنـان، الطبعـة ١٤١٥هـ

-تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيـق سـامي السـلامة، دار طيبـة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ

-تفسير القرطبي، دار الحديث، القاهرة .

-التفكـير السـديد طريقـك إلى النجـاح والتفـوق، حمـد الأمـيري، دار المعرفة، للاستشارات التربوية .

-تهذيب سير أعلام النبلاء ، للذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانيـة، ١٤١٣هـ

-تهـذيب شرح العقيـد ة الطحاويـة، صـلاح الصـاوي، دار الأنـدلس الخضراء، الطبعة لثانية، ١٤٢٢هـ

-تهذيب مدارج السالكين، محمد العزي، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ

-التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، مكتبة دار الأقصى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

-التوكل وعلاقته بالأسباب ، عبد الله الدميجي ، دار الوطن ، ١٤٢١هـ

-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ابن سعدي ، دار عالم الكتب ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ

-ثقافة الطفل المسلم ، مفهومها وأسس بنائها، احمد الحليبي دار الفضيلة الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

-ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات ، موسى ابراهيم ، دار عمار، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ

-جامع العلوم والحكم ، مكتبة طيبة ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ

-جدد حياتك ، محمد الغزالي ، دار القلم .

-الجواب الكافي ، ابن القيم ، مكتبة الحرم الطبعة ١٣٤٦هـ

-حتى لا تكون كلا ، د. عوض القرني ، دار الأندلس الخضراء ، طبعة ١٤١٨هـ.

-الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة عبد الله الخاطر كتاب المنتدى.

-حصن المسلم ، سعيد القحطاني، دار الطرفين ، طبعة ١٤٢٢هـ

-حلية الأولياء، أبو نعيم، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.

-حلية طالب العلم، ضمن المجموعة الكاملة، ابوزيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

-خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الثانية ١٩٦٥م .

-الخلق الكامل، محمد أحمد جاد ، مكتبة ومطبعة محمد علي ، الأزهر، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ

-خلق المسلم، الغزالي، دار القلم، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ

-دليلك الشخصي للسعادة والنجاح، إبراهيم القعيد، الناشر، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ

-الرائد في التربية والدعوة، مازن الفريح، دار المنطلق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ

-الركائز الأساسية لطالب العلم، مكتبة التابعين، ١٤١٧هـ

-الزواج، ابن عثيمين، دار الوطن الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ

-السعادة بين الوهم والحقيقة ، ناصر العمر، دار الوطن للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ

-السعادة عند بعض علماء الإسلام، محمد الخضر حسين، مكتبة السلفية، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ

-السعادة من المنظور الإسلامي، عبد الله العامري ، بحث ماجستير بجامعة بغداد .

-السلسلة الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف، للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة ١٤١٥هـ

-سنن ابن ماجه ، بشرح السنــدي، بحاشـية تعليقـات الزجاجـة، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

-السنن الإلهية في الأمم والأفراد والشعوب، في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ

-سنن الترمذي، دار الفكر، للطباعة، الطبعة ١٤١٤هـ

-السنن الكبرى، البيهقي، (ت ٤٥٨)، دار الفكر، بيروت

-الشباب المسلم في مواجهـة التحـديات، عبـد الله علـوان، دار القلـم، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ

-شخصـية المسـلم كـما يصـوغها الإسـلام في الكتـاب والسـنة، محمـد الهاشمي، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة لتاسعة ١٤٢٢

-شرح ريـاض الصـالحين، ابـن عثيمـين، دار الـوطن، الطبعـة الأولى ١٤١٦هـ

-الصحاح في اللغة والعلوم العلامـة عبـدا لله العـلا يـلي دار الحضـارة العربية

-الصحة النفسية نعيم لرفاعي جامعة دمشق الطبعة السابعة ١٩٨٧م

-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ

-صحيح البخاري، الإمام أبو عبـد الله محمـد بـن إسـماعيل البخـاري، توزيع مكتبة دار الباز، دار الكتـب العلميـة بـيروت، الطبعـة الأولى ١٤١٢هـ

-صحيح الجامع، الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ .

-صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار المعرفة ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
-الصدق منجاة ، سعيد عبد العظيم، دار الإيمان.
-صفة الصفوة ابن الجوزي دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ
-صيد الخاطر، لابن الجوزي ، دار اليمامة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
-الضيق أسبابه وعلاجه ، في ضوء الكتاب والسنة ، عبد الله شقيبل
-ظاهرة ضعف الإيمان ، المنجد ، دار الوطن ، الطبعة ١٤٢٠هـ ،
-العادات العشر للشخصية الناجحة، إبراهيم القعيد، دار المعرفة للتنمية البشرية ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
-العبادات القلبية ، محمد عقيل موسى ، دار المجتمع للنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ
-عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين ، ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ
-عش هانئاً، عبد الكريم بكار ، مركز الراية للتنمية الفكرية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ
-العلاج النفسي بالقرآن رؤية طبية نفسيه شرعيه د طارق الحبيب .
-علم الصحة النفسية مصطفى خليل الشرقاوي دار النهضة العربية للطباعة
-العولمة حقائق وأرقام ، عبد سعيد عبد إسماعيل، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

-الفتاة المسلمة، والأزمة الأخلاقية في الإعلام المعـاصر، باحـارث، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة١٤٢٣هـ

-فتح الباري ، ابن حجر ، دار الريان ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

-فتح القدير للشوكاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ

-الفوائد لابن القيم، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

-الفوضوية في حياتنا، عادل عبد العـال، مؤسسـة الجريسـي، الطبعـة الأولى .

-في ظلال الإيمان، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشـق، الطبعـة الثالثـة ١٤١٥هـ

-في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق .

-القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مجد الـدين محمـد يعقـوب، لطبعـة الأولى ١٣٧١هـ مكتبة مصطفى اللبان

-قضية تحرير المرأة، محمد قطب، دار الأندلس، الطبعة ١٤١١هـ

-القلق وكيف نتخلص منـه زهـير السـباعي دار القلـم الطبعـة الثالثـه ١٤٢٠هـ

كتاب السنن، ابو داود ، تحقيق محمد عانة، مؤسسة الريان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

-كشف الخفاء ومزيل الإلباس، العجلوني، مؤسسـة الرسـالة، الطبعـة الرابعة ، ١٤٠٥هـ.

-كوكبة الخطب المنيفة، السد يس، مكتبة إمام الـدعوة ، الطبعـة الأولى، ١٤٢٣هـ

-كيف تجعل الطفل رجل المستقبل الصالح، بهية السبيت، ١٤١٦هـ
-كيف يربي المسلم ولـده، محمـد سـعيد مولـوي، دار رمـادي للنشـــر، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ
-لا تحزن ، عائض القرني ، مكتبة العبيكان الطبعة الأصلية ١٤٢٥هـ
-لسان العرب، ابن منظور جمـال الـدين يحـي (٧١١هــ)، دار صـادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ
-ما تحت الأقنعة ، محمد الصغير، مطبعة سفير، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ
-ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبوالحسن النـدوي، دار الكتـاب العربي، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .
-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي للنشـر والتوزيـع الطبعـة ١٤١٤هـ القاهرة ، تحقيق حسام الدين القدسي
-مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم الحنـبلي، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ
-مختار الصحاح ، الرازي ، دار الفكر للطباعة والنشر .
-المختار من التراث العربي، منشورات، دار الثقافة ، والإرشاد القومي، بدمشق، عام ١٩٧٨م ، اختيار سهيل عثمان ومحمد درويش .
-مختصر جامع بيان العلم وفضله، دار الخير، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ
-مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ، مكتبة الشباب المسـلم ، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ
-المدخل إلى علم التاريخ، د. محمد صامل السلمي دار الـوطن للنشـــر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ

-المرشد للسعادة والنجاح، إبراهيم القعيد، دار المعرفة للتنمية البشرية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ

-مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد، في مرحلة الطفولة، عدنان با حارث ، دار المجتمع، الطبعة السادسة ، ١٤١٨هـ

-المستدرك على الصحيحين، ابو عبد الله الحاكم، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، حلب

-مشكل الآثار للطحاوي، دار صادر، بيروت ، الطبعة الأولى

-المعاصي وآثارها على الفرد والمجتمع، حامد المصلح، مكتبة الضياء ١٠١، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢هـ

-المعجم الفلسفي، ابراهيم حاج علي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩هـ

-المعجم الفلسفي، جميل صليبيا، دار الكتاب اللبناني .

-معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ.

-مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، خالد اللاحم، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

-مفتاح دار السعادة ، ابن القيم ، تحقيق محمد بيومي، مكتبة الأوس، المدينة المنورة .

-المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، مكتبة الإنجلو المصرية

-مفهوم السعاة في الفكر الإسلامي، عبد العزيز أبو مندور، بحث ماجستير(غير منشور)، بجامعة الإسكندرية .

-مقدمة ابـن خلـدون ، المكتبـة التجاريـة ، البـاز، تصـحيح وفهرسـة، ابوعبدالله السعيد .

-مقومات الشخصية المسلمة، ماجد الكيلاني، دار الاسـتقامة، الطبعـة الأولى ، ١٤١٦ هـ .

-المنطلق ، محمد الراشد ، دار المنطلق للنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ

-منهاج النبـوة في الـدعوة إلى الله ، مهـدي مبجـر، مؤسسـة الحـرمين، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

-منهج الإسلام في تزكية النفوس، أنس كرزون ، دار ابن حزم، الطبعـة الثانية ١٤٢١هـ

-منهج لقـاء المـؤمنين، رضـا النحـوي، دار النحـوي للنشـــر، الطبعـة ١٤١٣هـ

-الموسوعة الحديثة مسند الإمام أحمد (١٦٤ـ ٢٤١) هـ عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، توزيـع وزارة الشـئون الإسـلامية بالمملكـة العربيـة السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ

-الموسوعة العربية العالميـة، النـاشر مؤسسـة أعـمال الموسـوعة للنشـــر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤١٩هـ .

-الموسوعة النفسية، عبد اللطيف شرارة ، دار إحيـاء العلـوم، بـيروت، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٨هـ

-موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، القاسمي، دار الكتب العلمية، الطبع الأولى ١٤١٥هـ ،

-نحو فهم أعمق للواقع الإسلامي، عبد الكريم بكار، دار المسلم.

-نزههة العقلاء ، دار الأندلسي ، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ
-نظام الأسرة في الإسلام ، محمد عقيلة ، مكتبة الرسالة الحديثة، الطبعة الأولى ١٩٨٠عـ .
-النية والإخلاص ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ
-الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية، أنس كرزون، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
-هداية المشتاق إلى محاسن الأخلاق ، عبد اله شقيبل، دار القاسم الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ
-هذه أخلاقنا، حين نكون مؤمنين حقاً، محمود خزندار، دار طيبة للطباعة، الطبعة التاسعة ١٤٢٥هـ
-الهزيمة النفسية عند المسلمين ، عبد الله الخاطر ، كتاب المنتدى .
-الوابل الصيب، لابن القيم، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ
-الوسطية في التربية الإسلامية، عبد الله محمد الزهراني، دار طيبة، للطباعة ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ
-الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة نوره صالح آل علي دار ابن القيم .

مواقع الإنترنت التي استفاد منها المؤلف :

١ـ موقع الإسلام اليوم .
٢ ـ موقع إسلاميات .
٣ـ موقع حياتنا النفسية .
٤ ـ موقع الصحة العربية .
٥ ـ موقع الدر السنية

دورات استفاد منها المؤلف :

١ـ دورات في البرمجة اللغوية العصبية (أ.حسن الفيلالي)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ

٢ـ دورة أسرار النفس البشرية (د.موسى الجويسر)، مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .

٣ـ مقدمة في العلاقات الإنسانية (أ. عادل با بطين)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ

٤ـ رتب حياتك ، طارق السويدان ، مؤسسة قرطبة للإنتاج أوالتوزيع.

٥ـ السعادة في ثلاثة شهور، صلاح الراشد ، مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .

٦ـ كن شجاعاً ، صلاح الراشد ، مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .

٨ـ كن متفائلاً ، صلاح الراشد،مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .

٩ـ كن مطمئناً ، صلاح الراشد مؤسسة قرطبة للإنتاج والتوزيع .

١٠ـ كيف تريح بالك وتطرد الوساوس، صلاح الراشد ، أحد للإنتاج الإعلامي والتوزيع.

١١ـ الثقة بالنفس ، موسى المزيدي ، دار البلاغ للإنتاج والتوزيع .

أشرطة كاسيت افاد منها المؤلف :

١ـ السعادة وحل المشاكل النفسية، صلاح الراشد، مركز الراشد للتنمية الاجتماعية والنفسية .

٢ـ العيش في الزمان الصعب، عبد الكريم بكار، تسجيلات اليقين...

٣ـ التربية النفسية في حياة الأسرة المسلمة، طارق الحبيب، مؤسسة أحد للإنتاج والتوزيع .

٤ـ لمسات نفسية في الحياة الزوجية، طارق الحبيب، أحد للإنتاج والتوزيع .

٥ـ فنون تربية الأبناء ، عبد الحميد البلالي، مؤسسة قرطبة للإنتاج التوزيع .

٦ـ كيف نحقق الأمن في ذواتنا، الوقاية من القلق والاكتئاب، د. طارق الحبيب، الينبوع للإنتاج، والتوزيع .

٧ـ اللمسات المؤمنة للأسرة المسلمة ، أحمد القطان ، تسجيلات حنين الإسلامية .

٨ ـ الأمن النفسي، د. محمد عقيل موسى ، دار البلاغ للإنتاج والتوزيع .

٩ـ كيف نحقق الأمن في ذواتنا ، د. طارق الحبيب ، تسجيلات التقوى.

١٠ ـ القلق والاكتئاب ، د. طارق الحبيب ، تسجيلات التقوى .

***

المؤلف في سطور :

١) الاسم : عبد الكريم بن عوض اللبيني السلمي

٢) الميلاد : ١٣٩٠هـ، في قرية السويلة، التابعة لمركز الظبية والجمعة بمحافظة خليص بنمطقة مكة المكرمة

٣) الدراسة والمؤهلات :

- تخرج من ثانوية قديد عام ١٤٠٩هـ بتقدير ممتاز
- حاصل على المؤهلات العلمية التالية :
- البكالوريوس في العلوم مع الدبلوم التربوي من جامعة أم القرى ١٤١٤هـ
- الدبلوم العالي في الشريعة والدراسات الإسلامية من جامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ
- الماجستير في الدراسات الإسلامية من كلية الآداب بالجامعة الوطنية بالجمهورية اليمنية عام ١٤٢٥هـ
- حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم براوية حفص عن عاصم .
- حاصل على أكثر من ٥٠٠ ساعة تدريبية معتمدة في المهارات الشخصية وتطوير الذات
- حاصل على شهادة المدرب المعتمد من بيت الخبرة بجامعة الملك عبد العزيز

٤) العمل والنشاط :

- إمام وخطيب جامع الإجابة بمكة المكرمة
- المشرف على حلقات الإيمان لتحفيظ القرآن الكريم بجامع الإجابة
- يعمل معلماً تربوياً في التعليم الثانوي المطور نظام المقررات ، بثانوية أبي أيوب الأنصاري بمكة المكرمة
- عضو الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

- يمارس التدريب الدعوي في عدة جهات حكومية وأهلية منها :
* مشروع تعظيم البلد الحرام : شارك في تأهيل وتدريب أكثر من ١٠٠٠ شاب للعمل في خدمة البلد الحرام
* تدريب الأمن العام : قدم برامج تدريبية في مهارات التعامل لأكثر من ١٦٠٠ رجل أمن بمكة المكرمة
* تقديم برامج تدريبية اجتماعية لجمعية مراكز الأحياء بمكة المكرمة
* تقديم برامج تدريبية تربوية للمعلمين بالتعاون مع مركز التدريب التربوي ، بالإدارة العامة للتربية والتعليم بالعاصمة المقدسة
* تقديم برامج تدريبية تربوية للطلاب بالتعاون مع مركز تدريب الطلاب بالإدارة العامة للتربية والتعليم بالعاصمة المقدسة
- شارك في تقديم أحاديث وندوات تربوية متعددة في إذاعة المملكة العربية السعودية البرنامج الثاني .
- شارك في برامج الأندية الصيفية بوزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية من عام ١٤١٥ ــــ إلى عام ١٤٢٨هـ
- البريد الإلكتروني : aasolami@gawab.com

فهرس المحتويات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصـــل الأول : مفهوم السعادة	١١
المبحث الأول : معنى السعادة	١٣
المبحث الثـاني : اختلاف الناس في فهم السعادة وتصورها .	١٦
أ- السعادة عند العامة	١٦
ب- مفهوم السعادة عند علماء الإسلام	١٨
ج- تعريف المؤلف للسعادة	٢٦
المبحث الثالث : التصور الصحيح للسعادة	٣٦
المبحث الرابع : الفرق بين السعادة والنجاح	٥٥
الفصـــل الثاني : أسباب السعادة في الإسلام	٦٧
المبحث الأول : الإيمـــان	٧٢
أ ـ مفهوم الإيمان	٧٢
ب- مظاهر الإيمان	٧٥
أولاً : التوكل	٧٥
ثانياً : الإخلاص	٨٤
ثالثاً : الرجاء	٩٠

رابعاً : المحبة.. ١٠٤
خامسا : الرضا.. ١٠٨
المبحث الثاني : العمل الصالح.. ١١٤
أولاً:الصلاة... ١١٧
أ- أهمية الصلاة.. ١١٧
ب- أثر الصلاة في حياة المسلم المعاصر...................................... ١١٨
ج- خطوات تحقيق الخشوع والتنعم بلذة الصلاة ١٢٢
ثانياً : ذكر الله.. ١٢٧
أ- معنى الذكر.. .... ١٢٧
ب-أوجه ورود الذكر في القرآن الكريم.................... ١٢٧
والسنة النبوية .
ج- أثر الذكر في حياة المسلم المعاصر.......................... ١٣١
د- نماذج من الذكر ١٣٨
الأول : تلاوة القرآن الكريم ١٣٨
١ - آداب التلاوة.. ١٣٨
٢- حاجة المسلم المعاصر لتلاوة القرآن ا.................................. ١٤٢
٣- التأثير الفسيولوجي لتلاوة القرآن الكريم...................... ١٤٦
على الجهاز العصبي
الثاني :الدعاء... ١٤٨

أ ـ معنى الدعاء وحقيقته.. ١٤٩
ب ـ نماذج من الأدعية ١٥١
المبحث الثالث : الدعوة إلى الله.. ١٥٩
أ ـ معنى الدعوة إلى الله ١٦٠
ب- وجوب الدعوة إلى الله.. ١٦١
ج- مجالات الدعوة إلى الله.. ١٦٣
د- أثر الدعوة إلى الله في تحقيق السعادة ١٦٥
في حياة المسلم المعاصر
نماذج من مجالات الدعوة إلى الله.. ١٦٨
أولاً : تعلم العلم وتعليمه ١٦٨
ثانياً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ١٧٥
أ- أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٧٦
في تحقيق السعادة .
ب- صور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ١٧٨
ثالثاً : الجهاد في سبيل الله.. ١٨٠
المبحث الرابع: حسن الخلق.. ١٨٥
أولاً : معنى الخلق.. ١٨٦
ثانياً : معنى حسن الخلق.. ١٨٨
ثالثاً : أركان حسن الخلق.. ١٨٩

الركن الأول :العلم الموافق للكتاب والسنة........................ ١٩٠
الركن الثاني :الشجاعة.. ١٩١
الركن الثالث :العفة.. ١٩٢
الركن الرابع : الصبر.. ٢٠٢
تطبيقات عملية للتدريب واكتساب حسن الخلق............... ٢٠٥
الفصـــل الثالث: عوائق السعادة.. **٢١١**
المبحث الأول: قصور الفهم السليم لحقيقة السعادة ٢١٥
أولاً : المادية المعاصرة ٢١٥
أ - الانفجار المادي المعاصر... ٢١٦
ب- أثر الانفجار المادي في إضعاف ٢٢١
شعور المسلم بالسعادة .
ج- التوسط والاعتدال في معايشة ٢٢٥
المادية المعاصرة
ثانياً : التأثير الفكري.. ٢٢٩
أ - الإعلام السلبي.. ٢٣٣
ب- سوء التربية... ٢٣٦
ج- العولمة الثقافية... ٢٤٠
ثالثاً : المجاراة والتبعية.. ٢٤٢

المبحث الثاني ضعف التربية الإيمانية للمسلم........................٢٤٧
الأول : ضعف الإيمان...٢٤٨
الثاني: التفريط في الأعمال الصالحة..................................٢٥٤
المبحث الثالث: الأمراض التي يصاب بها المسلم في حياته......٢٦٥
أولاً : الأمراض البدنية..٢٦٥
ثانياً : الأمراض النفسية :..٢٧١
ثالثاً : الأمراض الاجتماعية...٢٨٤
الخاتمة...٣٠١
أولاً : ملخص الكتاب...٣٠٢
ثانياً : النتائج والتوصيات..٣٠٣
المصادر والمراجع...٣٠٧
الفهرس..٣٢٥

هذا الكتاب

لما كانت الحياة المعاصرة مليئة بالمتغيرات والمستجدات، بل والتقلبات في شتى الميادين والاتجاهات، والمسلم يريد أن يحيا هذه الحياة بمنهجية صحيحة، وبسعادة دائمة، كان لزاماً أن يكون ثمة رؤية واضحة تجلي له السعادة التي يريدها توضح له سبيلها، وأسبابها، وتبين عوائقها ومنغصاتها، بأسلوب تربوي معاصر.

وهذا الكتاب هو كذلك، يحدد مفهوم السعادة التي يبحث عنها كل أحد، ويجلي أسبابها ويذكر معوقاتها، مستمداً هذه الرؤية من النبع الصافي، القرآن الكريم، ومن حياة أسعد البشر أجمعين نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، وأيضاً من واقع الحياة المعاصرة وأحداثها.

ردمد ٢٤٣٤ - ١٣١٩ ISSN